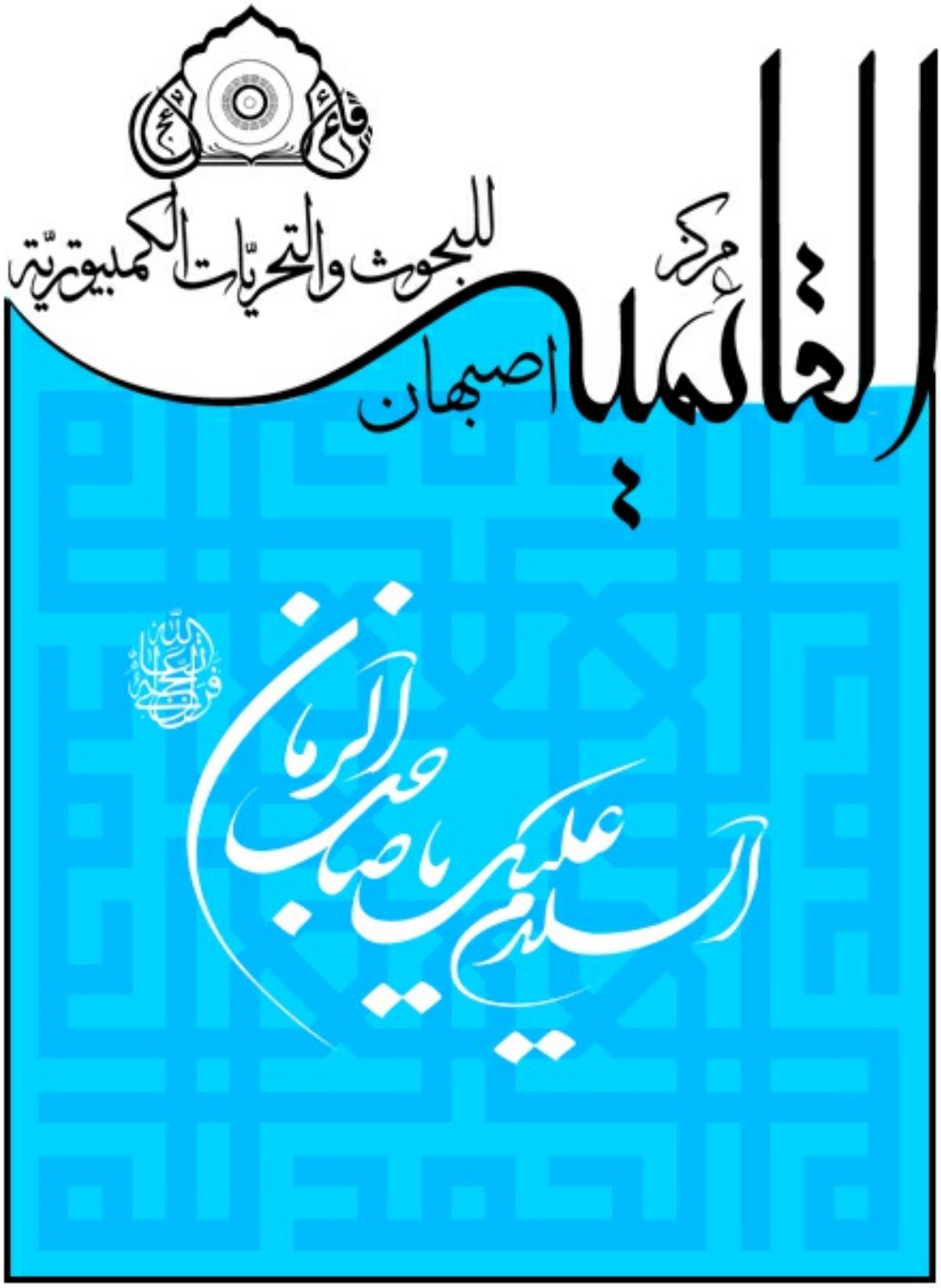

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

موسوعة

الإمام أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب عليه السلام

« ١ »

تأليف

بسم الله الرحمن الرحیم

موسوعة الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه‌السلام

كاتب:

باقر شريف قرشي

نشرت في الطباعة:

مجمع جهاني شيعه شناسي

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

موسوعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) المجلد 1 16

اشارة 16

اشارة 16

مقدمة التحقيق 18

اشارة 18

الإهداء 19

كلمة النّاشر 20

كلمة شكر 22

تقديم 24

النّسب الوضّاح 32

اشارة 32

المآثر الكريمة: 34

اشارة 34

1 - عبادة اللّه: 34

2 - حلف الفضول: 35

3 - إخراج ماء زمزم: 36

4 - سقاية الحاج: 37

5 - إطعام الطعام: 37

أعمدة الشرف من الهاشميّين: 38

اشارة 38

1 - هاشم: 38

2 - عبد المطّلب: 39

3 - أبو طالب: 40
اشارة 40
رعايته للنبيّ صلّي اللّه عليه و آله: 40
حمايته للإسلام: 41
مع النبيّ في الشعب: 44
تبنّي أبي طالب الدعوة الإسلامية: 46
وصيّته الخالدة: 47
في ذمّة الخلود: 48
تأبين النبيّ له: 49
4 - فاطمة بنت أسد أمّ الإمام عليه السّلام: 51
اشارة 51
سبقها إلي الإسلام: 51
مبايعتها للنبيّ: 51
رعايتها للنبيّ: 51
روايتها للحديث: 51
إقامتها في بيت الإمام: 52
وفاتها: 52
وليد الكعبة 54
اشارة 54
كيفيّة ولادته: 57
مشرق النور: 57
مع الشعراء: 58
اشارة 58
1 - السيّد الحميري: 58
2 - بولس سلامة: 59

3 - منعم الفرطوسي: 59
تسمية امّه له: 60
تسمية أبي طالب له: 61
سنة ولادته: 62
ألقابه: 62
اشارة 62
1 - الصدّيق: 62
2 - الوصي: 62
اشارة 62
مع الشعراء: 63
اشارة 63
1 - خزيمة بن ثابت: 63
2 - عبد الرحمن الجمحي: 64
3 - جرير بن عبد اللّه البجليّ: 64
4 - سعيد بن قيس: 64
5 - حجر بن عدي: 65
6 - النعمان بن عجلان: 65
7 - أبو الأسود الدؤلي: 65
8 - الفضل بن العباس: 66
9 - حسّان بن ثابت: 66
10 - الكميت: 66
11 - المتنبّي: 66
12 - أبو تمام الطائي: 67
13 - دعبل الخزاعي: 68
3 - الفاروق: 68

4 - يعسوب الدين: 69
5 - الوليّ: 70
6 - أمير المؤمنين: 71
7 - الأمين: 72
8 - الهادي: 72
9 - الاذن الواعية: 72
10 - المرتضي: 73
11 - الأنزع البطين: 73
12 - الشريف: 73
13 - بيضة البلد: 74
14 - خير البشر: 74
15 - سيّد العرب: 75
16 - حجّة اللّه: 75
كناه: 76
اشارة 76
1 - أبو الريحانتين: 76
2 - أبو السبطين: 76
3 - أبو الحسن: 76
4 - أبو الحسين: 77
5 - أبو تراب: 77
اشارة 77
مع الأمويّين: 80
ملامحه و صفاته: 81
اشارة 81
1 - وصف النبيّ له: 81

2 - وصف ضرار للإمام: 82
3 - وصف ابنه محمّد له: 83
4 - وصف المغيرة له: 83
5 - وصف بعض المعاصرين له: 84
نشأته 85
اشارة 85
احتضان النبيّ للإمام: 87
التربية النبوية للإمام: 88
اشارة 88
1 - نكران الذات: 89
2 - التحلّي بالصفات الكريمة: 90
3 - الاجتناب عن الصفات المذمومة: 92
سبقه للإسلام: 96
حبّه للنبيّ: 98
قيامه بخدمة النبيّ: 98
نماذج من أدعيته للنبيّ: 99
تمجيده للنبيّ: 102
كتابته للوحي: 103
كتابته لعهود الرسول: 104
تحطيمه للأصنام: 104
نقش خاتم الإمام: 106
اجتنابه للخضاب: 106
دار سكناه: 107
عناصره النّفسيّة 109
اشارة 109

إيمانه الوثيق باللّه: 111
إنابته للّه تعالي: 112
العصمة من الذنوب: 116
زهده: 119
اشارة 119
صور مذهلة من زهده: 119
اشارة 119
1 - لباسه: 120
2 - طعامه: 122
بطولته النادرة: 125
قوّته الهائلة: 127
حلمه: 128
اشارة 128
بوادر من حلمه: 128
صبره: 131
تواضعه: 132
اشارة 132
شذرات من تواضعه: 133
عيادته المرضي: 134
كراهته للمدح: 135
إجابته لدعوة من دعاه لتناول الطعام: 136
سخاؤه: 136
اشارة 136
شذرات من جوده: 137
الرأفة بالفقراء: 139

عدله: 142
اشارة 142
بوادر من عدله: 142
سعة علومه: 146
سرعة الجواب: 147
الإمام عليه السّلام 149
اشارة 149
الآيات النازلة في حقّه 151
الآيات النازلة في أهل البيت عليهم السّلام 158
اشارة 158
احتجاج العترة بالآية: 160
اشارة 160
الإمام أمير المؤمنين: 160
الإمام الحسن عليه السّلام: 160
الإمام زين العابدين عليه السّلام: 161
الآيات النازلة في الإمام و خيار الصحابة 170
الآيات النازلة في حقّه و ذمّ مخالفيه 171
الإمام عليه السّلام في ظلال السّنّة 175
اشارة 175
الكوكبة الاولي 177
اشارة 177
مكانته عند النبيّ: 177
اشارة 177
1 - الإمام نفس النبيّ: 178
2 - الإمام أخو النبيّ: 178

3 – النبيّ و الإمام من شجرة واحدة: 181
4 – الإمام وزير النبيّ: 182
5 – الإمام خليفة النبيّ: 183
6 – الإمام من النبيّ كهارون من موسي: 184
اشارة 184
احتجاج الإمام بالحديث: 187
7 – الإمام باب مدينة علم النبيّ: 187
8 – الإمام باب حكمة النبيّ: 188
9 – الإمام أحبّ الناس إلي النبيّ: 189
10 – الإمام شبيه الأنبياء: 189
11 – الإمام سيّد العرب: 190
12 – الإمام أحبّ الخلق إلي اللّه: 190
13 – إطاعة الإمام إطاعة للرسول: 191
14 – من أحبّ عليّا فقد أحبّ اللّه: 191
15 – حبّ عليّ إيمان، و بغضه نفاق: 193
16 – عنوان صحيفة المؤمن حبّ عليّ: 194
17 – إخبار النبيّ بما يجري علي الإمام من بعده: 194
18 – النبيّ يخبر الإمام بغدر الامّة به: 195
الكوكبة الثانية 196
اشارة 196
منزلة الإمام في الدار الآخرة: 196
اشارة 196
1 – الإمام حامل لواء الحمد: 196
2 – الإمام صاحب حوض النبيّ: 197
3 – الإمام قسيم الجنّة و النار: 199

4 - الاجتياز علي الصراط بإجازة من الإمام: 199
5 - الإمام مع النبيّ في الجنّة: 200
الأخبار النبوية في فضل العترة 201
اشارة 201
حديث الثقلين: 201
حديث السفينة: 204
أهل البيت أمان للامّة: 206
النبيّ سلم لمن سالم أهل بيته: 206
من أحبّ أهل البيت كان مع النبيّ: 207
معرفة أهل البيت أمان من العذاب: 207
السؤال عن محبّة أهل البيت: 207
الاقتداء بأهل البيت: 207
الممات علي حبّ أهل البيت: 208
مع الثّورة الإسلاميّة 209
اشارة 209
1 - تحطيم الأصنام: 211
2 - تحرير العبيد و المستضعفين: 213
3 - تحرير المرأة: 214
اشارة 214
أ - وأد البنات: 214
ب - حرمانها من الميراث: 214
ج - الزواج بأرملة الأب: 215
4 - المساواة بين الناس: 215
5 - حماية الحقوق: 216
6 - تحريم الربا: 216

7 - تحريم الخمر: 216
8 - تحريم الاستغلال: 217
9 - إقصاء الفقر: 217
10 - إشاعة العلم: 217
الإمام يصف الإسلام: 217
اشارة 217
الإمام أوّل من صلّي مع النبيّ: 219
الإمام مع النبيّ في بداية دعوته: 221
فزع القرشيّين: 224
إجراءات قاسية: 224
اشارة 224
1 - إغراء صبيانهم بمحاربة النبيّ: 225
2 - اتّهام النبيّ بالجنون: 225
3 - اتّهامه بالسحر: 225
4 - تعذيب المؤمنين: 226
5 - تعاهد سادات قريش علي حبس النبيّ صلّي اللّه عليه و آله و أهل بيته في شعب أبي طالب: 226
اشارة 226
الافراج عن النبيّ و آله: 227
وفاة أبي طالب و خديجة: 228
إجماع القرشيّين علي قتل النبيّ: 229
هجرة النبيّ إلي يثرب: 229
مبيت الإمام علي فراش النبيّ: 230
دعاء الإمام: 232
مرافقة أبي بكر للرسول: 233
استقبال المدينة للرسول: 234

هجرة الإمام إلي يثرب: 235
الاخوّة بين المسلمين: 236
تأسيس الجامع النبوي: 236
المحتويات 239
تعريف مركز 257

موسوعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) المجلد 1

اشارة

سرشناسه:قرشي، باقرشريف، 1926 - م.

Qarashi, Baqir Sharif

عنوان و نام پديدآور: موسوعة الامام اميرالمومنين علي بن ابي طالب عليه السلام/ مولف باقر شريف القرشي

مشخصات نشر:قم: مجمع جهاني شيعه شناسي

مشخصات ظاهري:11ج.

شابك:دوره: 978-600-6164-72-4 ؛ 90000 ريال: ج. 1: 978-600-6164-65-6 ؛ ج.2و3 978-600-94930-7-4 : ؛ ج. 4 978-622-962924-6:

وضعيت فهرست نويسي:فيپا

يادداشت:ناشر جلد دوم و سوم و چهارم انتشارات دارالتهذيب است .

مندرجات:ج. 1. زندگاني و فضايل امام علي عليه السلام در قرآن و سنت.- ج.2 و 3. امام علي (ع) در عهد پيامبر و دوران خلافت

موضوع:علي بن ابي طالب (ع)، امام اول، 23 قبل از هجرت - 40 ق.

موضوع:علي بن ابي طالب (ع)، امام اول، 23 قبل از هجرت - 40ق. -- سرگذشتنامه

شناسه افزوده:مجمع جهاني شيعه شناسي

شناسه افزوده:The World Center for Shite Studies

رده بندي كنگره:BP37/ق36م8041 1393

رده بندي ديويي:297/951

شماره كتابشناسي ملي:3726762

ص: 1

اشارة

موسوعة الامام اميرالمومنين علي بن ابي طالب عليه السلام

مولف باقر شريف القرشي

ص :2

مقدمة التحقيق

اشارة

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ راكِعُونَ المائـدة: 55 يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ التوبة: 119 وَ الَّذِي جـاءَ بِالصِّدْقِ وَ صـدَّقَ بِهِ أُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ الزّمر: 33 إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحـاتِ أُولئِـكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ البيّنة: 7

ص:3

الإهداء

إلي.. رائـد النهضـة الفكريـة إلي.. صانع الحضارة الإنسانيـة إلي... المنقذ، و المحرّر لإرادة الإنسان و سـلوكه إلي... سـيّد الأنبياء و خاتم المرسـلين النبيّ محمّد صلّي اللّه عليه و آله أرفع إلي سموّ مقامه الرفيع هذه الدراسة عن وصيّه و باب مدينة علمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام راجيا التلطّف عليّ بالرضا و القبول ليكون ذخرا لي يوم ألقي اللّه تعالي.

ص:4

كلمة النّاشر

« بسم اللّه الرّحمن الرّحيم » إِنَّمـا أَنْتَ مُنْـذِرٌ وَ لِكُـلِّ قَوْمٍ هادٍ إذا أراد إنسان كامل الحجي متتامّ النّهيـة كالنبي صـلّي اللّه عليه و آله، بيان ما يتمتّع به شـخص من المنزلـة لـديه، و المكانـة عنده، فقد يسـتخدم لأداء ذلك تعابير شتّي، فإذا أراد بلوغ الغاية في الإطراء و المديح، فليس أقصي من أن يقرنه بنفسه، و لا أبلغ في بيان مكانته عنده، من أن يقول: هو نفسي، او بمنزلتي، و ما شاكل ذلك من التعابير.

و لشـدّ ما نتساءل هل كان بإمكانه صـلّي اللّه عليه و آله في بيانه لمكانـة أمير المؤمنين و سـيّد العابدين عليّ بن أبي طالب عليه السّـلام من نفسه، أن يزيد علي ما قاله ممّا اتّفقت عليه كلمة أهل الإسلام، من أمثال قوله:

«عليّ أخي، وصـيّي، حربك حربي، سـلمك سـلمي، أنا المنذر و عليّ الهادي، لا يؤدّي عنّي إلاّ أنا أو عليّ، رفيقي في الجنّة، من أطاع عليّا فقـد أطاعني، من عصـي عليّا فقد عصاني، عليّ منّي بمنزلتي من ربّي، بمنزلة رأسـي من بدني، خير من أترك بعدي، خير أمّتي، وزيري، عيبة علمي، باب علمي، من أحبّه أحبّني، من أبغضه أبغضـني، وارثي، إنّ عليّا منّي و أنا منه، وليّ كلّ مؤمن بعـدي، اللّهمّ وال من والاه و عاد من عاده، من كنت مولاه فهذا وليّه، خير البريّة، و غير ذلك

ممّا يضيق عن ذكره المجال.

هـذا بعـد قوله تعالي في آية المباهلة مع نصاري نجران: وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَكُمْ يعني عليّا، فلعمر الحقّ، ما هذا بجزاف من القول، بل فيه آيات بيّنات.

و أمّا هـذا السّفر الـذي بين يـديك، الجليل بجلالـة موضوعه، و الكريم بكريم محتواه، فهو ممّا حبّرته يراعة الكاتب الفذّ، و العالم الملهم، صاحب التآليف القيّمة، و القلم السمح بسهولة اللفظ، و جودة البيان، و حسن التنسيق، الذي أثري مكتبة التراث بمؤلّفاته المعطاءة، سماحة الشيخ باقر شريف القرشي حفظه اللّه و أطال عمره المبارك في خدمة معارف الإسلام.

و إنّه لمن دواعي السرور لدي مؤسّسة الكوثر للمعارف الإسلامية التي تعني بفرائد الكتب، أن تتصدّي لطبع و نشر هذا السّفر الشريف.

مؤسّسة الكوثر للمعارف الإسلاميّة الخامس من ذي القعدة 1422 ه

كلمة شكر

« بسم اللّه الرّحمن الرّحيم » عند ما يسعي المرء في إبراز فضائل سيّد الأوصياء عليه السّلام و تتظافر اهتماماته علي رصف الكلم، و تحرير الصفحات للتعريف بمناقب الآية الكبري و النبأ العظيم، فإنّ ذلك من دواعي الشرف الوفير، و الافتخار و الاعتزاز، حين يوفّق المرء لهذا العمل، لما فيه من التقرّب إلي اللّه تعالي، و إلي رسوله صلّي اللّه عليه و آله، الذي شرّف الدنيا بوجوده و بآله الطيّبين الطاهرين، و في طليعتهم أمير المؤمنين عليه السّلام الذي كان هو نفس النبيّ صلّي اللّه عليه و آله بنصّ القرآن، و باب مدينة علمه.

و هذه الموسوعة تبحث عن تلك الصورة المشرقة من سيرة مولي الموحّدين و الآفاق المضيئة من حياته المباركة التي تعبق منها المثل الكريمة، و الخصال الجميلة، و الأبعاد الإنسانية بما للكلمة من معني.

و نحن نحمد اللّه عزّ و جلّ علي ما وفّقنا إليه من المتابعة و الإشراف و تقويم النصوص لهذه الموسوعة لتخرج بحلّتها القشيبة و لتكون بين يدي القارئ الكريم، الذي كان ينتظرها بشوق ليتعرّف علي تلك السيرة العطرة.

و لا يسعني و أنا اشاهد هذا الأثر النافع يري النور، إلاّ أن أتقدّم

بالشكر و التقدير للإخوة الذين ساهموا في مساعدتي في إخراج هذه الموسوعة.

و كذلك أرفع آيات الشكر و التقدير لمؤسّسة الكوثر للمعارف الإسلاميّة لتحمّلها مسئولية نشر هذا التراث الكبير.

و أخيرا نسأله تعالي أن يتقبّل منّا هذا الجهد، إنّه سميع مجيب.

و الحمد للّه أوّلا و آخرا مهدي باقر القرشي 11 ذي الحجّة 1422 ه

ص:8

تقديم

1 من جهاد الرسول الأعظم محمّد صـلّي اللّه عليه و آله، و كفاح أخيه و وصـيّه الإمام أمير المؤمنين عليه السّـلام انطلقت أشـعة النور التي أضاء سـناها في سـماء الجزيرة العربيـة، و امتـدّت موجاتها المشـرقة إلي امم العالم و شـعوب الأرض، و هي تحمل التحرير الكامل لفكر الإنسان و إرادته و سـلوكه، و تقـدّم له منهجا متطوّرا و إصـلاحا شاملا لجميع مناحي حياته، التي منها إشاعـة العلم و إقصاء الجهل و تنمية العقل و رفع مستوي الإنسان من مساوئ الحياة إلي حياة تزدهر بالوعي و النور.

من فم الرسول صـلّي اللّه عليه و آله ارتفعت أسـمي كلمـة في دنيـا الوجود إنّها كلمـة التوحيـد التي تحمل جميع ألوان التحرّر للإنسان، و تحسم جميع ألوان العبودية لغير اللّه تعالي خالق الكون و واهب الحياة. و تبنّي الرسول صـلّي اللّه عليه و آله بصورة إيجابية كلمة التوحيد و أعلنها في مكّـة، و حمل لواءها وصـيّه و باب مدينـة علمه، و هو يلوّح بها في فضاء مكّة التي كانت موئلا للأصـنام و الأوثان، و مركزا لجهل الإنسان و خرافاته.

و هبّت في وجه الرسول صـلّي اللّه عليه و آله الاسـر العاتيـة من قريش مجمعة علي إخماد نور الرسالة، و لفّ لواء القرآن، و إعادة الجاهلية إلي مجتمعها، فانبري إليهم بطل الإسـلام الخالد الإمام أمير المؤمنين بشـجاعته النادرة محاميا عن النبيّ صـلّي اللّه عليه و آله و مدافعا عنه فكان

القوّة الضاربة التي وقفت إلي جانب الرسول صلّي اللّه عليه و آله و حمته من شرّ اولئك الوحوش.

2 و ليس في دنيا الإسـلام و غيره شخصية تضارع شخصية أبي الحسن في مواهبه و عبقرياته و سائر ملكاته التي استوعبت - بشرف و فخر - جميع لغات الأرض، و تحدّث عنها العلماء بإكبار و إعجاب، و كان من جملة مواهبه إحاطته الكاملة بأسـرار الشـريعة و أحكام الدين فكان فيها العلم البارز. و لم تقتصـر مواهبه و طاقاته العلمية علي فقه الشـريعة و أحكام الدين و إنّما كانت شاملة لجميع شئون الكون في فضائه و كواكبه و مجرّاته، و هو القائل: «سلوني عن طرق السماء فإنّي أعلم بها من طرق الأرض...».

إنّ هذا العملاق العظيم قد بهر العالم بعلومه و مواهبه التي لا تخضع للحصر...

و قد أراد أن يقيم في هذا الشـرق العربي صروحا للعلم بجميع صوره و أنواعه، و يؤسّس مراكز للتطوّر و التقدّم التكنولوجي، و يشيع العلم و المعرفة في العالم الإسـلامي، و لكنّ العتاة الظلمة وقفوا أمام تطلّعاته و رغباته كما وقفوا من قبل أمام أخيه و ابن عمّه الرسول صلّي اللّه عليه و آله، فسعوا مجمعين جاهدين إلي إفشال مخطّطاته و وضعوا أمامه الحواجز و السدود.

3 و كان من أهمّ ما يتطلّع إليه الإمام و يصـبو إليه أن يؤسّس في دنيا الإسـلام حكومة قائمة علي العدل الخالص و الحقّ المحض، و يوزّع خيرات اللّه تعـالي علي عباده، فلا يختصّ بها فريق دون فريق و لا قوم دون آخرين، و أن ينعم الإنسان في ظلّ حكومته، و لا يبقي في البلاد أي شبح للبؤس و الحرمان، فالكفر و الفقر في شريعة الإمام سواء، فكما يجب مكافحة الكفر كذلك يجب مكافحة الفقر.

إنّ الإمام أخو الفقراء و أبو البؤساء و أمل المحرومين و المعـذّبين في الأرض، و قد جهد علي إسـعادهم و إشاعة الرفاهية و السـعة بينهم، و لكنّ القوي الباغيـة التي يمثّلها الأمويّون قد خاصـموه و حاربوه و صدّوه عن سياسـته و أهدافه، و لو أنّ الامور اسـتقامت له لرأي الناس من صنوف العدل في ميادين الحكم و الإدارة ما لم يروه في جميع فترات التاريخ.

4 إنّ هـذا الإمام الملهم العظيم أوّل مظلوم في دنيا الإسـلام، فقـد طافت به المحن و الأزمات يتبع بعضـها بعضا بعـد وفاة أخيه و ابن عمّه الرسول صلّي اللّه عليه و آله، و راحت القوي الحاقدة عليه تهتف بقوي محمومة: «لا تجتمع النبوّة و الخلافة في بيت واحد...».

و اقصـي الإمـام عن الخلافـة و قيـادة الامّـة، و قبع في أربـاض بيته يسـامر الهموم و يبارح الأحزان و يصـعّد آهات آلامه، فقـد عامله القوم كمواطن عادي، و الغيت في حقّه جميع وصايا الرسول.

و لمّا آلت إليه الخلافـة بعـد مقتل عثمان عميـد الاسـرة الأمويـة قامت قيامـة القرشـيّين و ورمت آنافهم، فقد خافوا علي مصالحهم و علي امتيازاتهم و ما نهبوه من الثراء العريض في أيام حكومة عثمان، فجنّدوا جميع ما يملكونه من طاقات مادية و سياسية للاطاحة بحكومته. لقد أبغضوه و نقموا عليه لأنّه لم يتجاوب مع مصالحهم، لقـد أخلص للحقّ و جهد في إقامة العدل، و تبنّي قضايا المحرومين و البائسـين، و آثر رضا اللّه تعالي علي كلّ شيء.

إنّ القوي الحاقـدة علي الإمـام كانت علي يقين لا يخامره شكّ أنّ الإمام لا يقيم أي وزن لمصالحهم و رغباتهم التي هي أبعـد ما تكون عن منهج الإسـلام و مصـلحة المسـلمين، فقد صـحبوه طفلا و شابا و كهلا، و عرفوا شدّة وطأته و تنمّره في ذات اللّه تعالي، و شاهدوا ضـرباته القاصمة في فجر الدعوة الإسلامية حينما حصد رءوس

أعلامهم، و ما أشاعه في بيوتهم من الثكل و الحزن و الحـداد. فإذا هم خصومه و أعداؤه قبل أن يكون خليفة، و بعد أن صار حاكما و خليفة عليهم.

5 إنّ الأحداث الجسام التي ألمّت بالإمام عليه السّلام بعد وفاة أخيه الرسول الأعظم صلّي اللّه عليه و آله يجب أن تدرس بعمق و شمول و ينظر في محتوياتها و أبعادها حسب الـدراسات العلميـة البعيدة عن الأهواء و العواطف، فقد تركت تلك الأحداث بصـماتها علي مجريات الأحداث في العالم الإسلامي و أغرقته بالمحن و الخطوب.

من المؤسف أنّ التاريخ الإسـلامي في عصوره الاولي لم يكتب له أن يدرس دراسة واعية مسـتوعبة، بعيدة عن التيارات المذهبية، و إنّ من الحقّ أن ينظر إلي تلك الحقبة الخاصّة من الزمن التي أعقبت وفاة الرسول صلّي اللّه عليه و آله فتدرس دراسة ملمّة بشئونها و ملابساتها، فقد احيطت بالقيود و الأغلال و ظلّت قابعة بالتعتيم و الغموض و الإبهام.

إنّ كلّ شـيء في عصـر النهضة الفكرية خاضع للدراسة العلمية، فقد خضع الفضاء و المجرّات للدراسة سوي التاريخ الإسلامي الذي ظلّ مكبّلا بقيود الطائفية و رواسب التقاليد الموروثة، و ابتعد عن التحقيق و التدقيق.

6 إنّ من أهمّ الأحداث التي جرت في العصـر الإسلامي الأوّل مؤتمر السقيفة و الشوري، فلم يقرّر فيهما مصير الامّة الإسلامية و قضاياها المصـيرية، فقـد قـدّمت فيهما المصالح الشخصـية و الرغبات الخاصّة و اسـتهدفت فيها إقصاء الإمام عن الحكم و إبعاده عن كلّ ما يتعلّق بالدولة الإسـلامية، و ما يرتبط بشـئونها السياسـية و العسـكرية... و قد تمّ ذلك بوضوح فقد عزل الإمام و ابعد، و حرمت الامّة من مواهبه و عبقرياته، و ما أراده لها من

التطوّر و التقدّم و السيادة العامّة علي جميع امم العالم و شعوب الأرض.

7 و مني العالم الإسلامي بأحداث رهيبة من جرّاء إقصاء الإمام عليه السّلام عن قيادة الامّة، كان من أفجعها محنة و أقساها بلاء أن آلت الخلافة الإسلامية التي هي ظلّ اللّه تعالي في الأرض إلي بني اميّة الذين هم من ألدّ أعداء الرسول صلّي اللّه عليه و آله و من أكثرهم حقدا عليه و من أشدّ الناقمين علي قيمه و مبادئه، فأنزلوا الضربات القاصمة علي آله الذين هم وديعته و خزنة علومه، و طاردوا شيعتهم، و أشاعوا المنكر و الفساد في الأرض.

و بعد أن طويت حكومة الأمويّين و استولي العباسيّون علي الحكم نشروا الجور و الظلم، و سخّروا اقتصاد الامّة صوب شهواتهم و لياليهم الحمراء، و صبّوا جام غضبهم علي السادة العلويّين دعاة الاصلاح الاجتماعي، و علي شيعتهم بصورة أكثر بشاعة، و أقسي عنفا ممّا اقترفه الأمويّون تجاههم.

و علي أي حال فإنّ جميع ما عاناه المسلمون من الكوارث و الأزمات أيام الحكم الأموي و العباسي كان ناجما - من دون شكّ - من مؤتمر السقيفة و الشوري، و سندلل علي ذلك في بحوث هذا الكتاب.

8 أمّا الإمام عليه السّلام فهو من مغارس النبوّة، و من مشارق أضوائها، إنّه من الشجرة المباركة التي أصلها ثابت و فرعها في السماء، تؤتي اكلها كلّ حين بإذن ربّها.

إنّ تاريخ الإمام يرتبط ارتباطا وثيقا بسيرة الرسول صلّي اللّه عليه و آله فهو جزء لا يتجزّأ من سيرته و نضاله، فهو المثل الأعلي له، و القوّة الضاربة التي وقفت إلي جانبه أيام محنة الإسلام و غربته، فقد جاهد معه كأعظم ما يكون الجهاد حتي قام الإسلام علي سوقه

عبل الذراع ينشر الوعي، و يفتح آفاق الفكر و يضيء جوانب الحياة و يدمّر الجهل، و يحطّم الشرك.

9 و استوعبت شخصية هذا الإمام الملهم العظيم أفكار العلماء و روّاد الفكر من مسلمين و غيرهم في جميع الأعصار و الأمصار، فقد أذهلهم ما أثر عنه من العلوم و المعارف التي لم يعرفها الشرق العربي و غيره، و تحدّثوا – بإعجاب – عن روعة قضائه، و سموّ بلاغته، و إعجاز فصاحته و ما خلّفه من ثروات تعدّ من مناجم الأدب و ذخائر الفكر و البيان، يقول ابن أبي الحديد: «ما أقول في رجل تعزي إليه كلّ فضيلة، و تنتهي إليه كلّ فرقة، و تتجاذبه كلّ طائفة، فهو رئيس الفضائل و ينبوعها، و سابق مضمارها، و مجلّي حلبتها».

و قد تناول العلماء و الادباء البحث عن شخصيّته، و كتبوا عشرات الكتب عن سيرته، و مئات المقالات عن حياته و مآثره، و من المؤكّد أنّهم لم يلمّوا بجميع مناحي شخصيّته و إنمّا ألقوا الأضواء عليها.

إنّ معالم شخصية الإمام و ما خلّفه من الثروات الفكرية و العلمية قد حفل بها الكثير من المخطوطات العربية التي ضمّتها خزائن المخطوطات في مكتبات العالم.

و علي أي حال فإنّي علي يقين لا يخامرني شكّ أنّه لا يستطيع أي عالم مهما بذل من جهد شاق أن يلمّ بشخصية هذا العملاق العظيم و يحيط بمكوّناته النفسية و العلمية فإنّ الإحاطة بذلك أمر بعيد المنال.

10 لا أعتقد أنّ شخصية في التاريخ الإنساني اختلفت فيها آراء الناس كشخصية

الإمام عليه السّلام، فقد تباينت فيها آراء محبّيه و مبغضيه و اختلفوا فيه كأشدّ ما يكون الاختلاف، فقد غالي فيه بعض محبّيه غلوّا فاحشا، و أسرفوا إسرافا مقيتا، فزعموا أنّه المدبّر لهذا الكون و الموجد للحياة دفعهم - فيما أحسب - إلي هذا الغلوّ الفاحش ما رأوه من سموّ ذاته وسعة علومه و شجاعته النادرة و بسالته في الحروب و اندفاعه نحو الحقّ، فاعتقدوا جازمين بإلهيّته.

و أفرط آخرون في بغضه و كراهته، فذهبوا إلي كفره و مروقه من الدين لأنّ الإمام قد وترهم و أباد آباءهم في سبيل الإسلام، و هؤلاء هم النواصب... و تبعهم الخوارج في بغض الإمام و هم الذين أرغموه علي قبول التحكيم حينما أحرزت جيوشه النصر الحاسم علي معاوية و صار في متناول أيديهم، فرفع أصحابه المصاحف ففتنوا بها، و دعوه إلي تحكيمها، فيما شجر بينه و بين معاوية من خلاف، و عرّفهم الإمام أنّهم إنّما رفعوا المصاحف غيلة و مكرا، و أنّهم لا يؤمنون بالقرآن و لا يدينون بأحكامه فلم يستجيبوا له، و شهروا سيوفهم و رماحهم في وجهه، و أرغموه علي التحكيم، و لمّا استبان لهم ضلال ما ذهبوا إليه حكموا بكفره لأنّه استجاب لهم أوّلا، و قد امتحن الإمام عليه السّلام بهم كأشدّ ما يكون الامتحان، فقد جرّعوه نغب التهمام - علي حدّ تعبيره -، و منذ ذلك الوقت أيقن بافول دولة الحقّ و استعلاء كلمة الباطل لأنّه لم تكن له قوّة يركن إليها. و بقي في أرباض الكوفة يصعّد آهاته و أحزانه حتي وافته المنيّة علي يد مجرم باغ أثيم من الخوارج.

و علي أي حال فالغلاة و النواصب و الخوارج خارجون عن هدي الإسلام و مارقون من الدين و لا نصيب لهم من هدي القرآن.

11 و ليس من الوفاء، و لا من الانصاف في شيء أن لا اشيد بإجلال و تعظيم ما أسداه عليّ من الطاف سماحة المغفور له حجّة الإسلام و المسلمين أخي الشيخ هادي شريف

القرشـي نضّـر اللّه مثواه، فقد تتابعت عليّ أياديه منذ فجر صباي حتي بلغت سن الشيخوخة، و واساني في السرّاء و الضرّاء، و لم يبق أي لون من ألوان البرّ و الإحسان إلاّ تكرّم به عليّ، ففي ذري عطفه واصـلت مسـيرتي في الدراسة و التأليف، و إنّي أتضـرّع إلي اللّه تعالي أن يجازيه عنّي خير ما يجازي عباده الصالحين، و أن يجزل له المزيد من الرحمة و الغفران.

و من الحقّ عليّ أن أذكر بكل خير سـماحة اسـتاذنا المعظّم حجّـة الإسـلام و المسـلمين الشـيخ حسـين الخليفة علي ألطافه المتواصـلة و تشجيعه لي في خدمة أهل البيت عليهم السّلام، شكر اللّه مساعيه و أعزّ به الدين.

كما أنّ من الواجب أن اشيد بألطاف أخي في اللّه سماحة حجّة الإسلام و المسلمين سيّدنا المعظّم السيّد الجواد الوداعي دامت بركاته، فقد كان له الفضل الوافر علي مكتبة الإمام الحسن عليه السّلام، فقد أمدّها بالكثير من شئونها، و إنّي أسأل من اللّه تعالي أن يجزل له المزيد من الأجر و يحفظه ذخرا لأهل العلم و التوفيق بيد اللّه تعالي يهبه للصالحين من عباده.

إنّه ولي التوفيق النّجف الأشرف باقر شريف القريشي 18 /محرّم الحرام/ 1418 ه

النّسب الوضّاح

اشارة

ص:17

ليس في دنيا الأنساب نسب وضّاح التقت به جميع عناصر الشرف و الكرامة كنسب الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام، فهو من صميم الاسرة الهاشـمية التي عرفت بالنبل و الشـهامة و قراية الضـيف و نجدة الضـعيف و حماية الجار و غير ذلك من الصفات الكريمة التي جعلتها في طليعة الاسـر العربية سـموّا و إشـراقا و شـرفا، و نشـير - بإيجاز - إلي بعض مآثرها الرفيعة و إلي كوكبة من أعمدتها و ساداتها الذين سجّلوا الفخر و الاعتزاز لا لاسرتهم فحسب و إنّما لجميع أبناء العالم العربي.

المآثر الكريمة:

اشارة

نقل المؤرّخون بعض المآثر الكريمة التي تميّزت بها الاسرة الهاشمية منذ فجر تأريخها، و قد شاعت مآثرهم في مجتمع بعيد كلّ البعد عن الفضائل النفسـية التي يسـمو بها الإنسان، فقـد كانت السـمت البارز لأخلاق قبائل مكّـة الغلظـة و التكبّر و الأنانية و القسوة و الحسد و وأد البنات و عبادة الأوثان و الأصنام، و غير ذلك من صنوف الانحطاط.

و من المؤكّد أنّه لم تكن في مكّة اسرة عرفت بالنبل و الشهامة سوي الاسرة الهاشمية، و من بين مآثرها:

1 - عبادة اللّه:

و كانت عبادة الأصنام هي السائدة في قبائل مكّة، فقد كانت أصنامهم معلّقة

علي ظهر الكعبة، فلكلّ قبيلة صنم يعبدونه من دون اللّه سوي الاسرة الهاشمية فانّها وحدها تعبد اللّه وحده، و تدين بدين إبراهيم شيخ الأنبياء. يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام:

«و اللّه! ما عبد أبي و لا جدّي عبد المطّلب و لا عبد مناف و لا هاشم صنما، و إنّما كانوا يعبدون اللّه، و يصلّون إلي البيت علي دين إبراهيم متمسّكين به...» (1).

و تلك كرامة للاسرة الهاشمية دلّت علي نضوجهم الفكري و إيمانهم العميق باللّه و نبذهم التامّ لخرافات الجاهلية و أوثانها، فقد سخروا من الأصنام و الأوثان، و اعتنقوا ملّة جدّهم إبراهيم عليه السّلام الذي حارب الأوثان و أعلن الإيمان باللّه.

2 - حلف الفضول:

و كان أهمّ حدث اجتماعي ظهر في مكّة هو حلف الفضول الذي كان من أبرز بنوده القيام بنجدة المظلوم و الأخذ بحقّه، سواء أ كان من قريش أم من غيرهم، و كان هذا الحلف يتّفق مع طباع الهاشميّين الذين يمثّلون المروءة و النجدة و الشهامة و النبل، و قد

شهده الرسول صلّي اللّه عليه و آله و اعتزّ به، و قال: شهدت في دار عبد اللّه بن جدعان حلفا ما احبّ أنّ لي به حمر النعم، و لو ادعي به في الإسلام لأجبت[2].

و تخلّف الأمويّون عن هذا الحلف الذي يتجافي مع ميولهم التي طبعت عليها الاثرة و الأنانية، و هم علي نقيض تامّ من طباع السادة الهاشميّين الذين تبنّوا هذا الحلف بصورة إيجابية. و من الجدير بالذكر أنّه حدثت مشادّة بين الإمام الحسين عليه السّلام و بين الوليد بن عتبة حاكم المدينة، فغضب الإمام عليه السّلام و نادي بحلف

1- إكمال الدين _ الصدوق : ١٠٤.

الفضول فاستجاب له عيون القرشيّين، فخاف الوليد و ردّ علي الإمام ظلامته(1).

و علي أي حال فإنّ حلف الفضول من أروع الحركات الإصلاحية التي ساهم الهاشميّون في دعمها و تأسيسها.

3 - إخراج ماء زمزم:

من المآثر الكريمة التي نسبت للهاشميّين، و التي هي من مواضع الاعتزاز و الفخر، إخراج عين ماء زمزم التي خفيت حقبة من الزمن علي القرشيّين و لم يهتدوا لموضعها، و قد أنفقوا علي ذلك جهدا شاقّا و عسيرا فلم يظفروا بها.

و انبري زعيم الهاشميّين عبد المطّلب للبحث عنها فأصاب موضعها، و في أثناء حفره عنها أصاب كنزا فيه غزالان من ذهب و سيوف و دروع، فرفع صوته بالتكبير، فأسرع القرشيّون إليه و بهروا بما رأوه من الكنز، و تنازعوا فيه، فقال هشام ابن المغيرة: إنّه لقريش لأنّه وجد في البيت الحرام، و كلّ ما وجد فيه فهو لعامّة قريش، و أنكر عليه حرب بن اميّة، فردّ عليه بعنف قائلا: إنّما هو لعبد مناف خاصّة فهم الذين حفروا البئر و ظفروا به، و ما ينبغي لقريش أن تشاركهم فيه، و اشتدّ النزاع بين القوم، و كان عبد المطّلب ساكتا يسمع مقالة قريش، فانبري إليه حرب فقال له:

ما لك لا تتكلّم و أنت الذي عثرت عليه؟ فقال عبد المطّلب بأناة غير حافل بصيرورة الكنز إليه: «ما ينبغي أن يكون الكنز لأحد منّا حتي نضرب بالقداح فنجعل للكعبة قد حين ولي قد حين و لكم قد حين»، فاستجابوا له، فضرب بين قريش و الكعبة فخرج للكعبة ثلاثة أقداح، فصاح بهم عبد المطّلب قائلا: «تفرّقوا يا معشر قريش، و يا بني عبد مناف ليس لأحد منكم في هذا الكنز نصيب... أمّا هذا الذهب فسيصاغ

1- السيرة النبوية ١ : ١٢٧.

صفائح و يوضع علي باب الكعبة...».

و أكبرته قريش علي هـذا النبل و السـموّ، و بعثوا بالـذهب إلي الصاغة فصاغوه صـفائح و وضـعوه علي الكعبة(1). و أكـبر الظنّ أنّ أوّل ما كسيت به الكعبة المشرّفة بالذهب علي يد عبد المطّلب سيّد قريش.

و عمّت الأفراح و المسـرّات جميع أهالي مكّـة بماء زمزم الـذي أخرجه لهم عبد المطّلب، فقد وفّر لهم أعظم نعمة و أعزّ ما في الحياة و هو الماء.

4 - سقاية الحاج:

من مكارم الهاشـميّين و أريحيّتهم و انـدفاعهم نحو الخير سـقايتهم للحجّاج و بـذل الماء لهم بسـخاء، و كان عزيز الوجود، و أوّل من بادر منهم إلي هـذه الفضـيلة هـاشم فكـان - فيما يقول الرواة - إذا وفـد الحجّاج إلي بيت اللّه الحرام قام خطيبا في قريش رافعا عقيرته قائلا: «يا معشـر قريش، إنّكم جيران اللّه و أهل بيته، و إنّكم يأتيكم في هـذا الموسم زوّار اللّه و حجّاج بيته، و هم ضـيف اللّه و أحقّ بالكرامة ضـيفه، فاجمعوا له ما تصنعون لهم به طعاما أيامهم هذه التي لا بدّ لهم من الإقامة بها...»(2).

و هذه الدعوة دعوة نبل و شهامة و شرف، و يقوم القرشيّون بدورهم بالتبرّع بجمع المال و شراء الماء و الطعام.

5 - إطعام الطعام:

و ثمّة مكرمة اخري للهاشميّين و هي إطعامهم الطعام و بذلهم بسخاء للغرباء

1- السيرة النبوية _ ابن هشام ١ : ١٣٦.

2- المصدر السابق : ١٤٣.

و البؤساء، و أوّل من عرف بهـذه المكرمـة منهم زعيم الاسـرة الهاشـميّة، و هو هاشم فقد كان يهشم الثريد و يبذله بطيب نفسه لقومه، و من أجل ذلك لقّب بهاشم، و فيه يقول الشاعر:

عمرو العلي هشم الثّريد لقومه و رجال مكّة مسنتون عجاف

و ورث هـذه الظاهرة معظم أبنائه و أحفاده، و كان من أبرزهم ريحانـة رسول اللّه صـلّي اللّه عليه و آله الإمام الحسن عليه السّلام، فقد كان أجود أهل زمانه، و مضرب المثل في سخائه حتي لقّب بكريم أهل البيت مع أنّهم معدن الكرم و الجود، و كان يضارعه في كرمه أخوه سيّد شباب أهل الجنّة و أبو الأحرار الإمام الحسـين عليه السّلام، فقد كان من أروع و أسـمي أمثلة السـخاء في دنيا الإسـلام، و كان عبد اللّه بن جعفر من ألمع الأسـخياء في العالم العربي... و هكذا كان الهاشـميّون اصولا و فروعا من أندي الناس كفّا، و من أكثرهم برّا و سـخاء حتي عدّ الكرم من عناصرهم و ذاتياتهم.

أعمدة الشرف من الهاشميّين:

اشارة

و حظيت الاسرة الهاشمية بأفذاذ الرجال و عيونهم كان منهم السادة التالية أسماؤهم:

1 - هاشم:

أمّا هاشم فهو أشرف من في مكّة، و كان مضرب المثل في جوده، و هو الذي كان يطعم الحجّاج بمكّة و مني و عرفة(1)، و هو أوّل من سنّ الرحلتين لقريش الرحلة إلي اليمن و الرحلة إلي الشام(2)، و فيه يقول الشاعر:

1- السيرة النبوية ٣ : ٤٥٨.

2- تاريخ الطبري ٢ : ١٨٠.

سنّت إليه الرّحلتان كلاهما سفر الشّتاء و رحلة الأصياف(1)

2 - عبد المطّلب:

من سادات بني هاشم و من عيونهم و من مفاخر قريش السيّد الجليل عبد المطّلب، فقد كان في شبابه من أنبل فتيان قريش، و في شيخوخته كان من أوقر و أجلّ شيوخ عصره حتي لقّب بشيبة الحمد، و ذلك لكثرة حمد الناس و ثنائهم عليه(2)، و قد اسندت إليه رفادة الحجّاج و سقايتهم بعد وفاة عمّه، و قد لاقي جهدا شاقّا و عسيرا في جمع الماء، فكان يجمعه من المطر و غيره في أحواض من الأدم و يقدّمه لحجّاج بيت اللّه الحرام، و هو الذي أخرج ماء زمزم بعد أن جهل القرشيّون موضعه، و لمّا توفّي كان له صدي حزن و أسي في جميع أوساط القرشيّين و رثاه مطرود بن كعب الخزاعي بقوله:

يا أيّها الرجل المحوّل رحله ألاّ نزلت بآل عبد مناف

هبلتك امّك لو نزلت عليهم ضمنوك من جوع و من إقراف

الآخذون العهد من آفاقها و الرّاحلون لرحلة الإيلاف

و المطعمون إذا الرياح تناوحت و رجال مكّة مسنتون عجاف

و المفصلون إذا المحول ترادفت و القائلون هلمّ للأضياف

و الخالطون غنيّهم بفقيرهم حتي يكون فقيرهم كالكافي

كانت قريش بيضة فتفلّقت فالمخّ خالصة لعبد مناف(3)

1- تاريخ الطبري ٢ : ١٨٠.

2- قيل : إنّما لقّب بشيبة الحمد لأنّه كان في ذؤابته شعرة بيضاء حين ولد ، جاء ذلك في معرفة الصحابة ١ : ٢٧٦.

3- أمالي المرتضي ٢ : ٢٦٨ ، وذكرت هذه الأبيات باختلاف في أمالي القالي ١ : ٢٤١.

و حكي هـذا الشـعر كرم الاسـرة الهاشـميّة و قريها للضـيف و سـخاءها اللامحـدود، و من الجدير بالذكر أنّ النبيّ كان عمره بعد وفاة عبد المطّلب ثمان سنين(1).

3 - أبو طالب:

اشارة

أمّا أبو طالب فهو حامي الإسـلام، و الرصـيد الأعظم للدعوة الإسلامية منذ بزوغ نورها، فهو القوّة الضاربة التي حمت الإسلام حينما هبّت طغاة قريش و عتاتهم لإطفاء نور اللّه و إخماد شـعلة التوحيد، و من المؤكّد أنّه لو لا حماية أبي طالب للنبيّ صلّي اللّه عليه و آله لما استطاع أن يبلّغ رسالة ربّه، و يقف بعزم و شـموخ أمام تلك الوحوش الكاسرة مستهينا بها محتقرا لأصنامها ساخرا من تقاليدها و عاداتها، و نعرض - بإيجاز - إلي بعض مواقفه البطوليـة في نصـرة الإسـلام، و الـذبّ عن حمي الرسول صـلّي اللّه عليه و آله التي سـجّلت له بمداد من النور و الفخر، و فيما يلي ذلك:

رعايته للنبيّ صلّي اللّه عليه و آله:

و عني أبو طالب عنايـة بالغـة بالنبيّ صـلّي اللّه عليه و آله، و قام بجميع خـدماته و شـئونه، و تولّي رعايته منـذ نعومـة أظفاره، فكان المربّي و الحارس له، فقد علم بما سـيكون في مسـتقبل حياته من السـمو و العظمة، و أنّه سيملأ الدنيا نورا و وعيا، و أنّه رسول ربّ العالمين، و خاتم المرسـلين، و سـيّد النبيّين، و قـد أحاطه الكهّان علما بذلك، و حذّروه من فتك اليهود و اغتيالهم له، يقول الرواة: إنّ أبا طالب سافر للتجارة إلي الشام مع النبيّ صـلّي اللّه عليه و آله فسارع إليه الراهب فقال له: إنّي أنصـحك أن ترجع بابن أخيك من مكانك هـذا و إن أدّي ذلك إلي ذهاب أموالك و خسارتك في تجارتك، فإنّي لا آمن

1- الامتاع والمؤانسة ٢ : ٨١.

عليه من دسائس الشـرك و مكائـد اليهود؛ فإنّهم إن عرفوا الذي عرفته فلا يولّوا حتّي يلحقوا به الأذي، بل يغتالونه بكلّ نشاط و قوّة(1)، و قفل أبو طالب راجعا إلي مكّة، و لم يمض في تجارته إلي الشام حفظا لابن أخيه، و بلغ من رعايته له أنّه كان يصحبه معه في فراشه خوفا عليه(2)، كما كان ينقله في غلس الليل من مكان إلي مكان، و يمضي ليله ساهرا علي حراسته لئلا يغتاله أحد.

حمايته للإسلام:

و لمّا أعلن النبيّ صلّي اللّه عليه و آله دعوته الخالدة الهادفة لتحرير الإنسان و إنقاذه من ظلمات الجهل و عبادة الأوثان هبّت قريش عن بكرة أبيها فزعة كأشدّ ما يكون الفزع له لإطفاء شعلة التوحيد.

لقـد أوجدت الدعوة الإسـلامية في المجتمع الجاهلي انقلابا فكريا و تحوّلا اجتماعيا مهيبا، فقد خافت قريش علي مصالحها و تقاليدها، و خافت علي نسائها و أبنائها من الانجراف بالشـعارات و المبادئ التي أعلنها النبيّ صـلّي اللّه عليه و آله، لقد خافوا علي آلهتهم و أصـنامهم التي سـخر منها النبيّ و دعا إلي تحطيمها و تـدميرها، فورمت آنافهم، و انتفخ سـحرهم، و أجمعوا اكتعين علي مناجزته و إطفاء نور رسالته، إلاّ أنّ أبا طالب، بطل الإسـلام وقف سدّا منيعا لحمايته، و كان يبعث النشاط و الحماس في نفس ابن أخيه لإشاعة مبادئه، و قد خاطبه بهذه الأبيات:

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة و ابشر بذاك و قرّ منك عيونا

و دعوتني و علمت أنّك ناصحي و لقد صدقت و كنت ثمّ أمينا

و لقد علمت بأنّ دين محمّد من خير أديان البريّة دينا

1- سيرة ابن هشام ١ : ٩٠.

2- السيرة الحلبية ١ : ١٤٠.

و اللّه لن يصلوا إليك بجمعهم حتّي أوسّد في التّراب دفينا(1)

و حكت هذه الأبيات إيمانه العميق بالإسلام و وقوفه إلي جانب النبيّ صلّي اللّه عليه و آله و حمايته لدعوته، و أنّ القوي المعادية له مهما بذلت من جهد فإنّها لن تستطيع أن تصدّه عن إشاعة مبادئه و تبليغ رسالة ربّه.

و قد صمّم أبو طالب علي حماية النبيّ صلّي اللّه عليه و آله و الذبّ عنه بجميع طاقاته، و قد خاطب القرشيّين قائلا:

كذبتم و بيت اللّه نخلي محمّدا و لمّا نطاعن دونه و نناضل

و ننصره حتّي نصرّع حوله و نذهل عن أبنائنا و الحلائل(2)

و معني ذلك أنّه لا يخلي عن النبيّ صلّي اللّه عليه و آله و لا يترك قريشا تعتدي عليه، و سيدافع عنه حتّي يصرع هو و أهل بيته دونه.

لقد هام أبو طالب في ولائه للنبيّ، و ملك عواطفه و مشاعره، و هو القائل فيه:

و أبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامي عصمة للأرامل

و قد وقع هذا البيت في نفس النبيّ صلّي اللّه عليه و آله موقعا عظيما، و يقول الرواة: إنّ أهل المدينة أصابهم قحط شديد فشكوا ذلك إلي رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله، فصعد المنبر فاستسقي، فما لبث أن جاء من المطر ما خشي منه أهل المدينة من الغرق، فشكوا ذلك إلي

رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله فقال: «اللّهمّ حوالينا و لا علينا»، فانجاب السحاب عن

1- أسني المطالب في نجاة أبي طالب : ٢٥.

2- المغازي ـ الواقدي ١ : ٧٠.

المدينة و صار حواليها،

فقال النبيّ: «لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسرّه»، فالتفت الإمام عليه السّلام إلي النبيّ فقال له: «كأنّك أردت قوله:

و أبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامي عصمة للأرامل»(1)

كما كان لهذا البيت وقع خاصّ عند الاسرة النبوية، فقد

أنشدته سيّدة نساء العالمين عليها السّلام في الساعات الأخيرة من حياة أبيها فقال لها أبوها بلطف: «هذا قول عمّي أبي طالب»، و تلا قوله تعالي: وَ ما مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ... الآية(2).

و علي أي حال فقد خفّ جماعة من رؤساء قريش إلي أبي طالب و عرضوا عليه أن يسلّم لهم النبيّ صلّي اللّه عليه و آله لتصفيته جسديا و يعطوه عوض ذلك عمارة و هو من أنبل فتيان قريش، و من أصبحهم وجها، فسخر منهم أبو طالب و صاح بهم: «و اللّه ما أنصفتموني أيّها الحمقي، تبّا لكم و سحقا! أ تريدون منّي أن اعطيكم روحي و ولدي لتقتلوه، و تعطوني ابنكم اربّيه لكم! ما لكم كيف تحكمون، أ ترجون منّي أن أستبدل محمّدا بعمارة بن الوليد، فو الذي نفسي بيده لو أعطيتموني العالم كلّه لما استبدلته بظفر من رجل محمّد، فإليكم عنّي، لا تكلّموني، و إلاّ علوت رءوسكم بالسيف».

و انصرفوا خائبين خاسرين، قد خيّب آمالهم و سخر منهم أبو طالب و وقف بصلابة لحماية النبيّ صلّي اللّه عليه و آله. لقد وقف أبو طالب منافحا عن النبيّ صلّي اللّه عليه و آله، و لو لا حمايته له لما أبقي القرشيّون للنبيّ و لا لدعوته أيّ ظلّ.

1- خزانة الأدب ٢ : ٦٩.

2- آل عمران : ١٤٤.

مع النبيّ في الشعب:

و ضـاق القرشـيّون ذرعـا من دعوة النبيّ صـلّي اللّه عليه و آله، و اشـتدّ فزعهم منها، و زادهم أسـي و حزنا إيمان بعض أبنائهم و غلمانهم و نسائهم و عبيدهم، و هم يسـخرون بآلهتهم و يعيبون عليهم تقاليدهم و عاداتهم، و يحكمون بنجاستهم فأجمع رأي الطغاة و الرؤساء منهم علي اعتقال النبيّ، و سائر بني هاشم و بني المطّلب، و حبسـهم في شـعب أبي طالب خارج مكّـة، و كتبوا فيهم صـحيفة سـجّلوا فيها بنودا قاسية و علّقوها في جوف الكعبة، و هذه بعض موادها:

1 – حرمانهم من المواد الغذائية.

2 – منع الدخول عليهم.

3 – عدم الزواج منهم.

4 – منع ايصال الماء لهم.

5 – منع ايصال الفراش لهم.

6 – عدم فكّ الحصار عنهم، إلاّ أن يسلّموا لهم النبيّ.

7 – إقامة حرس علي باب الشعب لمنع كلّ من يحاول الهرب منهم(1).

و وقّع علي الصحيفة أبو سفيان، و أبو جهل، و العاص بن وائل، و أبو البختري، و أبو لهب، و عمرو بن العاص و غيرهم من طغاة القرشيّين، و علّقوا الصحيفة في جوف الكعبة.

و حـاول مردة القرشـيّين اغتيال النبيّ في الشـعب، فخاف عليه أبو طالب فكان يقيم ولـده الإمام أمير المؤمنين في مكانه، و اسـتمر الحصار الظالم ثلاث سنين

1– السيرة الحلبية ١ : ٣٧٤ _ ٣٧٥ وغيرها.

عجاف، و كانت السيّدة الزكية أمّ المؤمنين خديجة هي التي تمدّهم بما يحتاجونه من الطعام و الشراب و غير ذلك من النفقات حتي أنفقت عليهم جميع ما عندها من الثراء العريض حتي فرّج اللّه عنهم.

و بعث اللّه تعالي الأرضة علي صحيفتهم فأتت عليها، و لم تترك منها كلمة سوي لفظ الجلالة، و أحاط النبيّ صلّي اللّه عليه و آله عمّه أبا طالب علما بذلك فخرج من الشعب إلي الحرم فاجتمع القرشيّون فقال لهم:

إنّ ابن أخي أخبرني أنّ اللّه أرسل علي صحيفتكم الأرضة فأكلت ما فيها من قطيعة رحم و ظلم، و تركت اسم اللّه تعالي فأحضروها فإن كان صادقا علمتم أنّكم ظالمون لنا قاطعون لأرحامنا، و إن كان كاذبا علمنا أنّكم علي حقّ و إنّا علي باطل.

فانبروا مسرعين إلي الصحيفة فوجودها كما أخبر عنها أبو طالب و اشتدّت صولته، و خاطب قريش قائلا:

إنّكم أولي بالظلم و القطيعة، و قال في ذلك:

و قد كان في أمر الصّحيفة عبرة متي ما يخبّر غائب القوم يعجب

محا اللّه ذكراهم و أفني عقوقهم و ما نقموا من ناطق الحقّ معرب

فأصبح ما قالوا من الأمر باطلا و من يختلق ما ليس بالحقّ يكذب(1)

و أفرج اللّه تعالي عن نبيّه و سائر من كان معه من الهاشميّين، فقد انبري ابن اميّة إلي قريش فخطب فيهم خطابا بليغا، و طلب منهم فكّ الحصار عن الهاشميّين فردّه أبو جهل ردّا عنيفا إلاّ أنّ كوكبة من قريش انضمّوا إلي زهير و دعموا مقالته فاستجابت قريش لهم و رفعوا الحصار عن النبيّ و سائر من معه.

1- الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ٢ : ٣٣.

تبنّي أبي طالب الدعوة الإسلامية:

و قام أبو طالب بـدور إيجابي و متميّز في الدعوة إلي الإسـلام، و قد دعا ملك الحبشة إلي اعتناق الإسـلام، و كتب له رسالة بذلك، و ختمها بهذه الأبيات:

أتعلم ملك الحبش أنّ محمّدا نبيّ كموسي و المسيح بن مريم

أتي بالهدي مثل الّذي في هداهما فكلّ بأمر اللّه يهدي و يعصم

و أنّكم تتلونه في كتابكم بصدق حديث لا حديث التّراجم

فلا تجعلوا للّه ندّا و أسلموا فإنّ طريق الحقّ ليس بمظلم(1)

لقد كان أبو طالب داعية الإسلام و حاميه و الذابّ عنه، و كان يذيع فضائل النبيّ صلّي اللّه عليه و آله و ينشر مناقبه و مآثره، و ممّا قال فيه:

ظهرت دلائل نوره فتزلزلت منها البسيطة و ازدهت أيّام

و هوت عروش الكفر عند ظهوره و بسيفه قد شيّد الإسلام

و أتاهم أمر عظيم فادح و تساقطت من حوله الأصنام

صلّي عليه اللّه خلاّق الوري ما أعقب الصّبح المضيء ظلام

و قال أيضا:

ألا يا بني فهر أفيقوا و لا تقم نوائح قتلاكم لتدعي بالتّندّم

علي ما مضي من بغيكم و عقوقكم و إتيانكم في أمركم كلّ مأثم

و ظلم نبيّ جاء يدعو إلي الهدي و أمر أتي من عند ذي العرش قيّم

فلا تحسبونا مسلميه و مثله إذا كان في قوم فليس بمسلم

فهذي معاذير و تقدمة لكم لئلاّ تكون الحرب قبل التّقدّم(2)

1- سيرة ابن هشام ١ : ٣٥٧. شرح نهج البلاغة _ ابن أبي الحديد ٣ : ٢٢٤.

2- إيمان أبي طالب : ١٨٩.

لقـد كانت مواقف أبي طالب متميّزة بروح الإيمان، فقد اعتنق الإسـلام و جاهد في سبيله كأعظم ما يكون الجهاد، و لو لاه لما قام الإسـلام علي سوقه عبل الذراع شامخ الكيان، فما أعظم عائدته علي الإسلام و المسلمين.

وصيّته الخالدة:

و أوصـي أبو طالب عملاق الإسـلام أبناءه و سائر أفراد اسـرته بهذه الوصية التي حفلت بمكارم الأخلاق، و محاسن الآداب، و الولاء العارم لابن أخيه سيّد الكائنات صلّي اللّه عليه و آله، و هذه بعض بنودها:

«اوصيكم بتعظيم هذه البنية - يعني الكعبة المقدّسة - فإنّ فيها مرضاة الربّ، و قواما للمعاش، و ثباتا للوطأة، صلوا أرحامكم و لا تقطعوها؛ فإنّ صـلة الرحم منسأة للأجل، و زيادة في العـدد و اتركوا البغي و أعطوا السائل، و عليكم بصـدق الحديث و أداء الأمانة، فإنّ فيها محبّة في الخاص و مكرمة في العام...».

و حكي هذا المقطع كلّ فضيلة يسمو بها الإنسان، و التي هي من صميم القيم الكريمة التي أعلنها الرسول صلّي اللّه عليه و آله.

و من بنود هذه الوصـية حثّه للاسـرة الهاشـميّة و غيرها علي الولاء و الاخلاص للرسول صـلّي اللّه عليه و آله و مناصرته و الذبّ عنه قال: «و إنّي اوصـيكم بمحمّد صـلّي اللّه عليه و آله فإنّه الأمين في قريش، و الصديق في العرب، و هو الجامع لكلّ ما أوصيتكم به، و لقد جاءنا بأمر قبله الجنان و وعاه القلب. و أيم اللّه كأنّي أنظر إلي صـعاليك العرب و أهل الأطراف، و المستضعفين من الناس، و قد أجابوا دعوته و صدّقوا كلمته، و عظّموا أمره، فخاض بهم غمار الموت، و صارت رؤساء قريش و صناديدها أذنابا، و دورها خرابا، و إذا بأعظمهم عليه أحوجهم إليه، و أبعدهم عنه أحظاهم عنده، قد محضته العرب ودادها، و أعطته قيادتها، دونكم يا معشر قريش، دونكم

ابن أخيكم كونوا له ولاة و لحزبه حماة، فو اللّه! لا يسلك أحد سبيل محمّد إلاّ رشد، و لا يأخذ به إلاّ سعد و لو كان لنفسي مدّة، و في أجلي تأخير لكففت عنه الهزاهز، و لدفعت عنه الدواهي، غير أنّي أشهد بشهادته و اعظّم مقالته»(1).

حكت هذه الوصية إيمان أبي طالب بالنبيّ صلّي اللّه عليه و آله و اعتناقه للإسلام و تفانيه في الدفاع عنه.

لقد استشفّ هذا العملاق العظيم المستقبل الزاهر للإسلام، و أنّه سيؤمن به المستضعفون في الأرض، و أنّهم سيشكّلون قوّة ضاربة للدفاع عنه، و ستكون صناديد قريش و ساداتها أذلاّء صاغرين يستعطفون النبيّ و أصحابه، و يطلبون ودّهم، و لم تمض الأيام حتي تحقّق ذلك علي مسرح الحياة، و إذا بجبابرة قريش أذلاّء صاغرون، و يقول الرواة: إنّ امرأة من المسلمين خطبها معاوية فجاءت إلي النبيّ و طلبت رأيه في ذلك، فنهاها عن الزواج به و قال لها: «إنّه صعلوك»(2).

و علي أي حال فإنّ وصيّة أبي طالب حافلة بالقيم الكريمة و المثل العليا و الإيمان العميق بالإسلام.

في ذمّة الخلود:

و لاقي أبو طالب جهدا شاقّا و عسيرا في حمايته للنبيّ صلّي اللّه عليه و آله و نصرته للإسلام، و كفاحه للقوي المعادية لابن أخيه، و قد تعرّض لأقسي ألوان المحن و الخطوب من طغاة القرشيّين و عتاتهم، و قد ألمّت به العلل و الأمراض و دنا منه الموت، و كان أهمّ ما يعانيه مصير الرسول صلّي اللّه عليه و آله من بعده، و ما ذا سيلاقيه من ذئاب قومه الذين تنكّروا لجميع القيم و الأعراف، فأخذ و هو علي حافة الموت يوصي أبناءه و أفراد اسرته

1- شرح نهج البلاغة _ ابن أبي الحديد ٢ : ٢١٣. الدرجات الرفيعة : ٦١. أسني المطالب : ٢٠. ثمرات الأوراق : ٢٩٤ ، وغيرها.
2- حياة الإمام الحسن ٢ : ١٥٠.

بنصـرة الرسول و الوقوف إلي جانبه، و حمايته من كيد القرشيّين و بطشهم و أخذ المرض يزداد فيه حتي وافته المنيّة في شهر شوّال أو في ذي القعدة، و ذلك بعد خروج النبيّ من الشعب(1).

لقد انتقل هذا العملاق إلي حضـيرة القدس بعد ما أدّي ما عليه من جهد في نصـرة الإسلام و الذبّ عن الرسول صلّي اللّه عليه و آله، و لمّا اذيع نبأ وفاته اهتزّت مكّة من هول الفاجعة، فتصدّعت القلوب، و غامت العيون كما فرح الطغاة و الجبابرة بموته.

و سارع الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام فغسّل جسد أبيه الطاهر و أدرجه في أكفانه، و قد ذابت نفسه عليه حزنا و أسي، و هرعت الجماهير إلي دار أبي طالب فحملوا الجثمان المقدّس بمزيد من الحفاوة و التكريم، و واروه في مقرّه الأخير، و قد واروا معه الشرف و الإيمان.

لقـد انطوت حياة هـذا المجاهد العظيم الذي وهب حياته للّه تعالي، فنصـر الإسـلام، و قاوم الشـرك، و قارع الباطل، فسـلام اللّه عليه، فما أعظم عائدته علي الإسلام و المسلمين!

تأبين النبيّ له:

و وقف النبيّ صـلّي اللّه عليه و آله علي حافّة قبر عمّه، و هو واجم حزين، قد روي ثري قبره بدموعه، و أخذ يصوغ من حزنه كلمات في تأبينه قائلا:

«وصـلتك رحم يا عمّ، جزيت خيرا، فلقـد ربّيت و كفلت صـغيرا، و آزرت و نصـرت كبيرا، أما و اللّه يا عمّ لأسـتغفرنّ لك، و أشـفعنّ فيك شفاعة يعجب منها الثّقلان...»(2).

1- الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ٢ : ٣٤.

2- أبو طالب وبنوه : ١٠٣.

و بلغ من تأثّر النبيّ صلّي اللّه عليه و آله و شدّة حزنه علي عمّه أنّه سمّي العام الذي توفّي فيه «عام الحزن».

و قد فقد النبيّ صلّي اللّه عليه و آله المحامي و الناصر، و الركن الشديد الذي كان يأوي إليه، فقد استوحدته قريش و أجمعت علي التنكيل به و قال: «ما نالت قريش شيئا أكرهه حتّي مات أبو طالب»(1). و قد بالغت قريش في إيذائه، فجعلوا ينثرون التراب علي رأسه، و طرح بعضهم عليه رحم الشاة و هو يصلّي... إلي غير ذلك من صنوف الاعتداء عليه(2)، و قد أجمعوا علي قتله، فخرج في غليس الليل البهيم بعد ما أحاطوا بداره ميمّما وجهه تجاه يثرب، و ترك أخاه و وصيّه الإمام في فراشه كما سنعرض لذلك في البحوث الآتية.

و علي أي حال فأبو طالب حامي الإسلام و ناصره، و المساهم الأوّل في إقامة دعائمه، فله اليد البيضاء علي كلّ مسلم و مسلمة، فما أعظم عائدته علي الإسلام! و من سخف القول إنّ هذا المجاهد العظيم مات كافرا و لم يكن يدين بدين الإسلام، فإنّ هذا البهتان من صنع الأمويّين و العبّاسيّين الحاقدين علي الاسرة النبوية، و ممّا يدعم زيف ذلك شدّة حزن النبيّ صلّي اللّه عليه و آله عليه بعد وفاته و تسميته لعام موته بعام الحزن، فإنّه إذا كان كافرا كيف يحزن عليه؟ و كيف يترحّم عليه و يذكره بمزيد من التكريم و التعظيم؟ و كيف يأكل و يشرب في داره؟ و حكم الإسلام صريح واضح في نجاسة الكافر؟ و كيف يكون هذا المؤمن المجاهد في النار و ابنه الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام قسيم الجنّة و النار؟ إنّ من المآثر و الفضائل و الأوسمة الشريفة التي يتحلّي بها الإمام عليه السّلام أنّه نجل هذا المجاهد العظيم الذي حمي الإسلام في أيام محنته و غربته فجزاه اللّه عن

1- الكامل ٢ : ٣٤.

2- الكامل ٢ : ٣٤.

الإسلام و أجزل له الأجر، و حشره مع النبيّين و الصدّيقين و الشهداء و حسن اولئك رفيقا.

و بهذا العرض الموجز عن جهاد أبي طالب في نصرة الإسلام و حمايته للنبيّ صلّي اللّه عليه و آله نطوي الحديث عنه، لنلتقي بالسيّدة الزكية فاطمة بنت أسد أمّ الإمام عليه السّلام.

4 - فاطمة بنت أسد أمّ الإمام عليه السّلام:

اشارة

أمّا أمّ الإمام عليه السّلام فهي السيّدة الزكية فاطمة بنت أسد، و هي من سيّدات عصرها في عفّتها و طهارتها و سموّ ذاتها، و هذا عرض لبعض شئونها:

سبقها إلي الإسلام:

كانت هذه السيّدة المعظّمة من السابقات لاعتناق الإسلام و بذلك فقد نالت الشرف العظيم، فقد أسلمت بعد عشرة أشخاص(1).

مبايعتها للنبيّ:

و هذه السيّدة الزكية أوّل امرأة بايعت النبيّ صلّي اللّه عليه و آله(2) حينما أخذ العهد علي السيّدات بالعفّة و الطهارة و اجتناب المنكر.

رعايتها للنبيّ:

و قامت هذه السيّدة الطاهرة بدور مهمّ في خدمة النبيّ صلّي اللّه عليه و آله، و كانت تفضّله في الرعاية و الحنان علي أولادها، و كان النبيّ صلّي اللّه عليه و آله يكرمها و يعظّمها و يدعوها امّه(3).

روايتها للحديث:

و عدّها علماء الحديث من رواة الحديث عن النبيّ صلّي اللّه عليه و آله، فقد رووا عنها

1- شرح نهج البلاغة _ ابن أبي الحديد ١ : ١٤.

2- المصدر السابق.

3- المصدر السابق.

(46) حديثا، و قد أخرج لها في الصحيحين حديث واحد متّفق عليه(1).

إقامتها في بيت الإمام:

و لازمت هذه السـيّدة الطاهرة ولدها الإمام أمير المؤمنين عليه السّـلام و لم تقم مع بقيّة أبنائها، و لمّا تزوّج الإمام عليه السّـلام بسـيّدة نساء العالمين زهراء الرسول صلّي اللّه عليه و آله قال الإمام لامّه:

«اكفي فاطمة بنت رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله سقاية الماء و الذّهاب في الحاجة، و تكفيك في داخل البيت الطّحن و العجين».

وفاتها:

ألمّت الأمراض بهذه السـيّدة المعظّمة فكانت زهراء الرسول تقوم برعايتها و شئونها حتي انتقلت إلي حضيرة القدس، فقام ولدها الإمام عليه السّـلام بتجهيزهـا، و أخبر النبيّ صـلّي اللّه عليه و آله بوفاتهـا فحزن عليها حزنا عميقا، و أمر عليّا بتكفينها في قميصه، و لمّا انتهي تجهيزها شيّعها النبيّ و حفروا لها قبرا فاضطجع فيه، و جزّاها الخير و دعا لها بالرحمة و الرضوان، و ذلك لما أسدت عليه من البرّ و الإحسان،

و قيل للنبيّ: ما رأيناك صنعت بأحد كما صنعت بهذه؟ فقال:

«لم يكن بعد أبي طالب أبرّ بي منها، إنّما ألبستها قميصي لتكسي من حلل الجنّة، و اضطجعت في قبرها ليهوّن عليها»(2).

1- أعلام النساء ٣ : ١١٣.

2- اسد الغابة ٥ : ٥١٠. الاستيعاب (المطبوع علي هامش الإصابة) ٤ : ٢٦٩. شرح نهج البلاغة _ ابن أبي الحديد ١ : ١٤. معرفة الصحابة ١ : ٢٧٩.

أ رأيتم كيف قابل رسول اللّه صـلّي اللّه عليه و آله هذه السـيّدة المعظّمة بمزيد من التكريم و التعظيم! لقد آمنت هذه الفاضـلة باللّه و رسوله صلّي اللّه عليه و آله، و بذلت قصاري جهودها في خدمته، و حسـبها فخرا و شـرفا و سموّا أنّها أمّ الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام، و ممّا لا ريب في أنّ الإمام ورث فضائلها و سـجاياها، كما ورث فضائل آبائه الـذين سادوا العرب بمكارمهم و مآثرهم، و بهـذا نطوي الحـديث عن نسبه الوضّاح.

ص:38

وليد الكعبة

اشارة

ص:39

الشـيء المحقّق الـذي اتّفق عليه المؤرّخون و الرواة هو أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام قد ولد في الكعبة المقدّسـة(1) و لـم يولد بها أحـد سواه، و كان ذلك من آيات سـموّه و عظيم مكانته عند اللّه تعالي، فقد اختار لولادته أفضل مكان في الأرض و هو البيت المعظّم. قال شهاب الدين السيّد محمود الآلوسي في شرحه لقول عبد الباقي العمري:

أنت العليّ الّذي فوق العلي رفعا ببطن مكّة عند البيت إذ وضعا

قال: و كون الأمير كرّم اللّه وجهه ولد في البيت أمر مشهور في الدنيا، و ذكر في كتب الفريقين: السنّة و الشيعة... و لـم يشتهر وضع غيره كرّم اللّه وجهه به كما اشتهر وضعه، بل لـم تتّفق الكلمة إلاّ عليه، و ما أحري بإمام الامّة أن يكون وضعه فيما هو

1- مستدرك الحاكم ٣ : ٤٨٣ ، قال الحاكم : « وتواترت الأخبار أنّ فاطمـة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب في الكعبة ». وذكر ذلـك كلّ من المسـعودي في مروج الـذهب ٢ : ٢. ابن الصـباغ المالكي في الفصول المهمّة : ١٤. محمّد بن طلحة الشافعي في مطالب السئول : ١١. السبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص : ٧. والشنقيطي في كفاية الطالب : ٣٧. الشبلنجي في نور الأبصار : ٧٦. عبد الرحمن الصـفوري الشافعي في نزهة المجالس ٢ : ٢٠٤. الشـيخ علي القاوي الحنفي في شرح الشفاء ١ : ١٥١. علي الحلبي الشافعي في السيرة النبوية ١ : ١٥٠. والبردواني في روائح المصطفي : ١٠. علاء الدين الكتواري في محاضرة الأوائل : ١٢٠. عبد الحقّ الدهلوي في غاية الاختصار : ٩٧. العقّاد في عبقرية الإمام : ٣٨.

قبلة للمؤمنين، و سبحان من يضع الأشياء في موضعها و هو أحكم الحاكمين»(1).

كيفيّة ولادته:

وصف الرواة كيفيّة ولادة إمام المتّقين فقالوا: إنّ والـدته السـيّدة الزكيـة فاطمـة لمّا أحسّت بالطلق نهضت و هي مبهورة الأنفاس، فاتّجهت صوب الكعبة المقدّسة، و هي علي يقين لا يخامره شكّ أن لحملها شأنا كبيرا عند اللّه تعالي، و لمّا مثلت أمام الكعبة اتّجهت بعواطفها نحو اللّه تعالي، و أخذت تناجيه و تدعوه أن ييسّر لها ولادتها، و تعلّقت بأستار الكعبة قائلة:

«ربّ إنّي مؤمنـة بك و بما جاء من عندك من رسل و كتب، و إنّي مصدّقة بكلام جدّي إبراهيم الخليل... و انّه بني البيت العتيق، فبحقّ الذي بني هذا البيت و بحقّ المولود الذي في بطني لمّا يسّرت عليّ ولادتي...»(2).

و حكت هذه الكلمات إيمانها العميق باللّه تعالي و برسـله و كتبه و بما جاء من عنده، و أنّها لم تؤمن بالأوثان و الأصنام التي لوّثت جدران الكعبة التي أقامها القرشيّون يعبدونها من دون اللّه تعالي، و قد اتّجهت بعواطفها نحو اللّه تعالي ليسهّل لها ولادة مولودها العظيم.

و ما انتهت السـيّدة فاطمـة من دعائها حتي انشقّ لها جدار البيت المعظّم فدخلت فيه و قلبها مطمئن بذكر اللّه تعالي و بعظمة وليدها الذي ستضيء الدنيا به.

مشرق النور:

و لم تمكث السيّدة فاطمة في حرم البيت المعظّم إلاّ زمنا قليلا حتي وضعت

1- شرح الخريدة الغيبية في شرح القصيدة العينية : ١٥.

2- بحار الأنوار ٣٥ : ٨.

وليدها المبارك حجّة اللّه في أرضه الذي طوّق الدنيا بمواهبه و عبقرياته.

وليدها المبارك حجّة اللّه في أرضه الذي طوّق الدنيا بمواهبه و عبقرياته.

لقد ولد هذا العملاق العظيم في أقدس بيت من بيوت اللّه ليضيء رحابه و يرفع فيه شعلة التوحيد و الإيمان.

لقد ولد أخو النبيّ المصطفي، و باب مدينة علمه، و ناصر دينه، و حامي رسالته.

لقد ولد أبو الغرباء، و أخو الفقراء، و ملاذ المنكوبين، و صديق المحرومين.

لقد ولد هذا الإمام العظيم الذي غيّر بكفاحه و نضال ابن عمّه مجري التأريخ و أقاما كلمة العدل و الحقّ في الأرض.

مع الشعراء:

اشارة

و انبرت كوكبة من الشعراء من قدامي و محدّثين إلي نظم ولادة الإمام في بيت اللّه الحرام، كان منهم:

1 - السيّد الحميري:

أمّا السيّد الحميري فهو من أعلام الفكر الشيعي الذي هام بحبّ أهل البيت عليهم السّلام و نظم ببليغ نظمه مآثرهم و مناقبهم، قال في ولادة الإمام عليه السّلام في الكعبة:

ولدته في حرم الإله و أمنه و البيت حيث فناؤه و المسجد

بيضاء طاهرة الثّياب كريمة طابت و طاب وليدها و المولد

في ليلة غابت نحوس نجومها و بدت مع القمر المنير الأسعد

و السيّد الحميري قريب من عصر الإمام عليه السّلام فقد نظم هذه المأثرة التي شاعت في عصره، و قد حكت هذه الأبيات الثناء العاطر علي أمّ الإمام و أنّها كريمة الأصل طاهرة الذيل، و أنّها ولدت الإمام في ليلة لا نحس فيها.

2 - بولس سلامة:

عرض الشاعر الملهم المسيحي بولس سلامة في ملحمته الرائعة في أهل البيت إلي ولادة الإمام في أعزّ بيت من بيوت اللّه تعالي، قائلا:

صبرت فاطم علي الضّيم حتّي لهث اللّيل لهثة المكدود

و إذا نجمة من الافق خفّت تطعن اللّيل بالشّعاع الجديد

و تدانت من الحطيم و قرّت و تدلّت تدلّي العنقود

تسكب الضّوء في الأثير دفيقا فعلي الأرض وابل من سعود

و استفاق الحمام يسجع سجعا فتهشّ الأركان للتّغريد

بسم المسجد الحرام حبورا و تنادت حجاره للنّشيد

كان فجران: ذلك اليوم فجر لنهار و آخر للوليد(1)

3 - منعم الفرطوسي:

أمّا شاعر أهل البيت العلاّمة الزكي الشيخ عبد المنعم الفرطوسي فقد كان من أعلام الشعراء، و قد وهب حياته و فكره للأئمّة الطاهرين، و قد نظم في ملحمته الكثير من مناقبهم و فضائلهم، و هي أهمّ موسوعة شعرية في الأئمّة عليهم السّلام، قال فيما يخصّ ولادة الإمام بالبيت الحرام:

قبسات من الهداية شقّت ظلمات العمي بصبح مضاء

و لواء التّوحيد رفّ فلفّت عذبات الإلحاد و الكبرياء

و يقين أهاب بالشّكّ حتّي أذهب الرّيب من ضمير الرّياء

نفحات من الإمامة أوحت بشذاها شمائل الأنبياء

حملتها أمانة و رعتها حين أدّت ما عندها بوفاء

1- ديوان بولس سلامة : ٤٨.

خير أمّ عذراء قدسا و طهرا هي أسمي قدرا من العذراء

وضعتها في حيث أزكي مكان فتجلّت كالدّرّة البيضاء

حين شقّ البيت الحرام جلالا يوم ميلاد سيّد الأوصياء

فأقامت فيه ثلاثا بأمن و ثمار الجنان خير غذاء

و قريش في حيرة تتقرّي غامض السّرّ في ضمير الخفاء

و إذا بالفضاء يزهو بهاء من محيّا مبارك وضّاء

و عليّ كالبدر يشرق نورا و هي بشر تضيء كالجوزاء

حملته كالذّكر بين يديها حين وافت لسيّد البطحاء

فتجلّي و الحقّ فجر مبين دامغا كلّ باطل و افتراء

و يقينا يمحو الظّنون و تمحو آية النّور آية الظّلماء(1)

تسمية امّه له:

و بهرت السـيّدة فاطمة بمنظر وليدها العظيم، فقد رأت الفروسـية بادية عليه، و الشـجاعة ماثلة فيه، و رأت سلامة جسده فسمّته حيدرة، و هو من أسـماء الأسد، و كان الإمام كما سـمّته امّه بالأسد، فقد كان أسد اللّه و أسد رسوله، و هو الذي حصد بسـيفه رءوس شجعان العرب في سبيل الإسلام، و كان عليه السّلام يعتزّ بهذه التسمية، و خاطب فارس العرب عمرو بن عبد ودّ حين نازله في ميدان الحرب فقال له:

«أنا الّذي سمّتني امّي حيدره كليث غابات شديد قسوره»

و لم يلبث أن أطاح برأس عمرو، و كان ذلك من الانتصارات الباهرة التي أحرزها الإسلام.

و يقول الشاعر الملهم بولس سلامة:

1- ملحمة الفرطوسي ٢ : ٧ _ ٨.

هالت الامّ صرخة جال فيها بعض شيء من همهمات الاسود

دعت الشّبل حيدرا و تمنّت و أكبّت علي الرّجاء المديد

أسدا سمّت ابنها كأبيها لبدة الجدّ اهديت للحفيد(1)

تسمية أبي طالب له:

أمّا أبوه شيخ البطحاء و مؤمن قريش فإنّه دخل الكعبة المقدّسة و ناجي اللّه تعالي بإخلاص أن يلهمه تسمية وليده المبارك قائلا:

يا ربّ هذا الغسق الدّجي و القمر المنبلج المضيّ

بيّن لنا من أمرك الخفيّ ما ذا تري في اسم ذا الصّبيّ

فألهمه اللّه تعالي أن يسمّيه عليّا، فخرج من البيت الحرام و هو ينشد أمام قريش:

سمّيته بعليّ كي يدوم له عزّ العلوّ و فخر العزّ أدومه

لقد كان هذا الاسم المبارك الذي سمّته به السماء من أحسن الأسماء و أجملها، فقد كان الإمام عاليا في مواهبه و عبقرياته، و عاليا في إيمانه و سموّ أخلاقه، و عاليا فيما وهبه اللّه من طاقات الفضل و الأدب و الكمال. يقول عبد الباقي العمري:

أنت العليّ الّذي فوق العلي رفعا ببطن مكّة عند البيت إذ وضعا

سمّتك امّك بنت اللّيث حيدرة أكرم بلبوة ليث أنجبت سبعا(2)

1- ديوان بولس سلامة : ٤٨.

2- ديوان عبد الباقي العمري : ٩٦.

سنة ولادته:

ولد أمير البيان و رائد العدالة الإسلامية الإمام عليه السّلام في يوم الجمعة الثالث عشر من رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة(1) و بالحساب الميلادي كانت ولادته سنة (600 م)، و قد ولد قبل البعثة النبوية باثنتي عشرة سنة، و قيل أقلّ من ذلك.

ألقابه:

اشارة

أمّا الألقاب التي تضفي علي الشخص فإنّها تحكي صفاته و نزعاته. يقول الشاعر:

و قلّما أبصرت عيناك من رجل إلاّ و معناه إن فكّرت في لقبه

و ألقاب الإمام عليه السّلام تشير إلي بعض محاسن صفاته، و هي:

1 - الصدّيق:

لقّبه النّبيّ صلّي اللّه عليه و آله بذلك(2)، و إنّما لقّب به لأنّه صدّق رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله و آمن بجميع ما جاء به من عند اللّه تعالي، و قد أسلم قبل أن يسلم غيره، قال عليه السّلام:

«أنا الصّدّيق الأكبر آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر، و أسلمت قبل أن يسلم»(3). و قد اشتهر هذا اللقب في عصره و عرف به. يقول الصحابي الكبير مالك الأشتر مخاطبا الإمام عليه السّلام: «أنت الصدّيق الأكبر». أجل و اللّه إنّه الصدّيق الأكبر الذي لا يضارعه أحد من المسلمين في ذلك.

2 - الوصي:

اشارة

من الألقاب الكريمة التي عرف بها الإمام عليه السّلام «الوصي» أي وصي

1- مناقب آل أبي طالب ٣ : ٩٠ ، وفي تاريخ الخميس أنّه ولد بعد عام الفيل بسبع سنين.

2- تأريخ الخميس ٢ : ٢٧٥.

3- المعارف : ٧٣. الذخائر : ٥٨. الرياض ٢ : ٢٥٧.

رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله، و قد أضفاه عليه الرسول، فقد منحه ذلك في كوكبة من الأحاديث كان منها: -

قال صلّي اللّه عليه و آله لعليّ: «هذا وصيّي، و موضع سرّي، و خير من أترك بعدي»(1).

-

قال صلّي اللّه عليه و آله: «إنّ وصيّي، و موضع سرّي، و خير من أترك بعدي، و ينجز عدتي، و يقضي ديني، عليّ بن أبي طالب»(2).

-

سأل سلمان الفارسي رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله فقال له: من وصيّك؟ فقال له:

«يا سلمان، من كان وصيّ موسي؟»، قال: يوشع بن نون، قال: «فإنّ وصيّي و وارثي، يقضي ديني، و ينجز موعدي، عليّ بن أبي طالب»(3).

لقد شاع هذا اللقب للإمام بين العامّة و الخاصّة، و استمدّوا ذلك من النبيّ صلّي اللّه عليه و آله.

مع الشعراء:

اشارة

و انتشر هذا اللقب في جميع العصور الإسلامية، و نظمه الشعراء من قدامي و محدثين، و لنستمع إليهم:

1 - خزيمة بن ثابت:

أمّا خزيمة فهو من ألمع أصحاب الإمام و أكثرهم ولاء له، و كان من قادة جيشه في حرب الجمل، خاطب الإمام بقوله:

يا وصيّ النّبيّ قد أجلت الحر ب لنا و سادت الأضغان

1- تهذيب التهذيب ٣ : ١٠٦.

2- كنز العمّال ٦ : ١٥٤.

3- الرياض النضرة ٢ : ١٧٨.

و قد نقم علي عائشة و أنكر عليها خروجها لحرب الإمام قائلا لها:

أ عائش خلّي عن عليّ و عيبه بما ليس فيه إنّما أنت والده

وصيّ رسول اللّه من دون أهله و أنت علي ما كان من ذاك شاهده

إنّ خزيمة بن ثابت من أوثق الصحابة، و من أكثرهم تحرّجا في دينه، و أنّه علي بيّنة أنّ الإمام عليه السّلام وصيّ رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله و خليفته من بعده علي امّته.

2 - عبد الرحمن الجمحي:

و لمّا بويع الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام بالخلافة انبري عبد الرحمن يهنّئ المسلمين ببيعته قائلا:

لعمري لقد بايعتم ذا حفيظة علي الدّين معروف العفاف موفّقا

عليّ وصيّ المصطفي و وزيره و أوّل من صلّي لذي العرش و اتّقي

لقد كان لقب الوصيّ من أشهر ألقاب الإمام و أكثرها ذيوعا بين الناس.

3 - جرير بن عبد اللّه البجليّ:

أمّا جرير بن عبد اللّه البجليّ فهو من أفذاذ أصحاب الإمام عليه السّلام، و قد أنكر علي شرحبيل بن السمط الكنديّ انضمامه إلي معاوية و مناجزته للإمام، و قد أرسل له أبياتا من الشعر عاب فيها حربه للإمام كان منها هذا البيت الذي نظم فيه «الوصاية»:

وصيّ رسول اللّه من دون أهله و فارسه الحامي به يضرب المثل

4 - سعيد بن قيس:

و سعيد بن قيس من طلائع أصحاب الإمام، و من أكثرهم ولاء له، و كان معه في حرب الجمل الذي قادته عائشة بنت أبي بكر لإسقاط حكومة الإمام عليه السّلام، و قال سعيد في وصف الحرب و ضراوتها، و قد نظم لفظ الوصيّ قال:

أيّة حرب أضرمت نيرانها و كسّرت يوم الوغي مرّانها؟(1)

قل للوصيّ أقبلت قحطانها فادع بها تكفيكهم همدانها

هم بنو هاشم و هم إخوانها

5 - حجر بن عدي:

كان حجر بن عدي من خيار صحابة النبيّ صلّي اللّه عليه و آله، و من أكثرهم ولاء لوصيّه و باب مدينة علمه الإمام عليه السّلام و قد استشهد في سبيل ولائه له، قتله معاوية بن هند، و كانت شهادته من الأحداث الجسام في ذلك العصر.

و كان حجر من قادة جيش الإمام في حرب الجمل، و هو القائل:

يا ربّنا سلّم لنا عليّا سلّم لنا المبارك المضيّا

المؤمن الموحّد التّقيّا لا خطل الرّأي و لا غويّا

بل هاديا موفّقا مهديا و احفظه ربّي و احفظ النّبيّا

فيه فقد كان له وليّا ثمّ ارتضاه بعده وصيّا

6 - النعمان بن عجلان:

كان النعمان بن عجلان مع الإمام في معركة صفّين، فقال محرّضا لجيش الإمام علي حرب معاوية:

كيف التّفرّق و الوصيّ إمامنا لا كيف إلاّ حيرة و تخاذلا

فذروا معاوية الغويّ و تابعوا دين الوصيّ لتحمدوه آجلا

7 - أبو الأسود الدؤلي:

و نظم العالم الكبير أبو الأسود الدؤلي تلميذ الإمام لفظة الوصيّ بهذا البيت:

1- مرّانها : رماحها.

احبّ محمّدا حبّا شديدا و عبّاسا و حمزة و الوصيّا

8 – الفضل بن العباس:

قال الفضل بن العباس في مدحه للإمام عليه السّلام:

إلا إنّ خير النّاس بعد محمّد وصيّ النّبيّ المصطفي عند ذي الذّكر

و أوّل من صلّي و صنو نبيّه و أوّل من أردي الغواة لدي بدر

9 – حسّان بن ثابت:

نظم حسّان بن ثابت أبياتا في مدح الإمام عليه السّلام ذكر فيها لفظ الوصيّ:

حفظت رسول اللّه فينا و عهده إليك و من أولي به منك من و من؟

أ لست أخاه في الهدي و وصيّه و أعلم فهر بالكتاب و بالسّنن؟

10 – الكميت:

أمّا الكميت الأسدي فهو من طلائع الفكر الإسلامي، و تعدّ هاشميّاته من ذخائر الأدب العربي، و قد صوّر فيها – بصدق – حقيقة أهل البيت عليهم السّلام و ما عاني شيعتهم من المحن و الخطوب. قال في مدح الإمام:

و الوصيّ الّذي أمال التّجوبي به عرش أمّة لانهدام

كان أهل العفاف و المجد و الخي ر و نقض الامور و الإبرام

11 – المتنبّي:

أمّا المتنبّي فهو شاعر الحياة علي امتداد التأريخ، و لم يؤثر عنه – فيما نعلم – مدح للإمام سوي هذين البيتين، و قد ذكر فيهما لفظ الوصيّ:

و تركت مدحي للوصيّ تعمّدا إذ كان نورا مستطيلا شاملا

و إذا استطال الشّيء قام بذاته و صفات ضوء الشّمس تذهب باطلا

12 – أبو تمام الطائي:

أمّا أبو تمام الطائي فهو من ألمع شعراء العربية في العصر العبّاسي، قال في

ص:51

مدحه للإمام، و قد ذكر لفظ الوصيّ:

و من قبله أحلفتم لوصيّه بداهية دهياء ليس لها قدر

فجئتم بها بكرا عوانا و لم يكن لها قبلها مثلا عوان و لا بكر

أخوه إذا عدّ الفخار و صهره فلا مثله أخ، و لا مثله صهر

و شدّ به أزر النّبيّ محمّد كما شدّ من موسي بهارونه الأزر

13 - دعبل الخزاعي:

أمّا دعبل الخزاعي فقد وهب حياته لآل النبيّ صلّي اللّه عليه و آله و ناضل في سبيلهم كأشدّ و أقسي ما يكون النضال، لقد نشر مآثرهم في العصر العباسي الذي تنكّر للسادة العلويّين و طاردهم تحت كلّ حجر و مدر، و كان من نظمه في الإمام عليه السّلام مع ذكر الوصيّ بهذه الأبيات:

سلام بالغداة و بالعشيّ علي جدث بأكناف الغريّ

و لا زالت عزالي النّوء تزجي إليه صبابة المزن الرّويّ(1)

ألا يا حبّذا ترب بنجد و قبر ضمّ أوصال الوصيّ

وصيّ محمّد بأبي و امّي و أكرم من مشي بعد النّبيّ

و قال في رثاء أبي الأحرار الإمام الحسين عليه السّلام و قد ذكر لفظ الوصيّ:

رأس ابن بنت محمّد و وصيّه يا للرّجال علي قناة يرفع!

هذه شذرات ممّا نظمه أعلام الشعر العربي في مدح الإمام عليه السّلام، و قد حفلت بذكر الوصيّ الذي هو من أكثر ألقابه شيوعا و انتشارا.

3 - الفاروق:

لقّب الإمام عليه السّلام بالفاروق لأنّه يفرق بين الحقّ و الباطل، و قد اقتبس هذا اللقب

1- عزالي النوء : الغيوم الممطرة.

من الأحاديث النبوية التي أضفت عليه ذلك، و هذه بعضها:

-

روي أبو ذرّ و سلمان أنّ النبيّ صلّي اللّه عليه و آله أخذ بيد عليّ عليه السّلام و قال: «إنّ هذا أوّل من آمن بي، و هذا أوّل من يصافحني يوم القيامة، و هذا الصّدّيق الأكبر، و هذا فاروق هذه الامّة يفرق بين الحقّ و الباطل»(1).

-

روي الصحابي الجليل أبو ذرّ قال: سمعت رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله يقول لعليّ: «أنت الصّدّيق الأكبر، و أنت الفاروق الّذي تفرق بين الحقّ و الباطل»(2).

-

روي أبو ليلي الغفاري قال: سمعت رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله يقول: «ستكون من بعدي فتنة، فإذا كان ذلك فألزموا عليّ بن أبي طالب فإنّه أوّل من آمن بي، و أوّل من يصافحني يوم القيامة، و هو الصّدّيق الأكبر، و هو فاروق هذه الامّة»(3).

4 - يعسوب الدين:

اليعسوب في اللغة فحل النحل، ثمّ اطلق علي السيّد الشريف في قومه، و هو من ألقاب الإمام عليه السّلام،

لقّبه النبيّ صلّي اللّه عليه و آله بذلك، فقد قال له: «هذا - و أشار إلي الإمام - يعسوب المؤمنين، و المال يعسوب الظّالمين»(4).

و قال صلّي اللّه عليه و آله: «عليّ يعسوب المؤمنين». و روي أبو سعد قال: دخلت علي عليّ عليه السّلام و بين يديه ذهب فقال: «أنا يعسوب المؤمنين، و هذا - أي الذهب - يعسوب المنافقين»، ثمّ قال: «بي يلوذ المؤمنون، و بهذا يلوذ المنافقون»(5).

1- مجمع الزوائد ٩ : ١٠٢. فيض القدير ٤ : ٣٥٨. كنز العمّال ٦ : ١٥٦. فضائل الصحابة ١ : ٢٩٦.

2- الرياض النضرة ٢ : ٦٥٥.

3- الاصابة ٧ : ١٦٧. اسد الغابة ٥ : ٢٨٧. الاستيعاب ٢ : ٦٥٧.

4- مجمع الزوائد ٩ : ١٠٢.

5- كنز العمّال ٦ : ٣٩٤. الصواعق المحرقة : ٧٥. وفي تأريخ الخميس ٢ : ٣٧٥ : « أنّ الإمام كان يلقّب بيعسوب الأئمّة ».

5 - الولي:

من الألقاب الرفيعة التي تقلّدها الإمام عليه السّلام (الوليّ)، و قد منحته السماء هذا الوسام العظيم، قال تعالي:

إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ راكِعُونَ(1).

نزلت الآية الكريمة في حقّ الإمام عليه السّلام حينما تصدّق بخاتمه علي المسكين، و قد حصرت الآية الولاية العامّة علي الناس في اللّه تعالي و رسوله و الإمام، و عبّرت عنه بصيغة الجمع، و هي: وَ الَّذِينَ آمَنُوا دون المفرد؛ تعظيما لشأنه و إكبارا لسموّ منزلته.

و ممّا يزيد في أهمّية هذا الحصر و تأكيده اسمية الجملة و هي أبلغ في التأكيد من الجملة الفعلية، بالإضافة إلي حصرها بكلمة «إنّما» التي هي من أدوات الحصر، و قد أضفي النبيّ صلّي اللّه عليه و آله هذا اللقب بكوكبة من الأحاديث و هذه بعضها:

-

روي ابن عبّاس أنّ رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله قال لعليّ: «أنت وليّ كلّ مؤمن بعدي»(2).

-

روي الخطيب البغدادي بسنده عن الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه قال:

قال رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله: «سألت اللّه فيك خمسا فأعطاني أربعا و منعني واحدة؛ سألته فأعطاني فيك أوّل من تنشق الأرض عنه يوم القيامة، و أنت معي، معك لواء الحمد و أنت تحمله، و أعطاني أنّك وليّ المؤمنين بعدي...» الحديث(3).

-

روي النسائي بسنده أنّ قوما شكوا عليّا إلي رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله فتألّم، و الغضب

1- المائدة : ٥٥.

2- سنن أبي داود ١ : ٣٦٠.

3- تاريخ بغداد ٤ : ٣٣٩.

يبصر في وجهه، و قال: «ما تريدون من عليّ؟ إنّ عليّا منّي و أنا منه، و هو وليّ كلّ مؤمن من بعدي»(1).

و المتأمّل في هـذه الأحاديث يتجلّي له الأمر بوضوح أنّ النبيّ صـلّي اللّه عليه و آله أقام الإمام من بعـده خليفـة و وليّا علي امّته، فإنّ معني الوليّ هو: مالك الأمر و المتصرّف في شئون من يتولّي عليه.

6 - أمير المؤمنين:

من الألقاب الشائعة للإمام عليه السّلام (أمير المؤمنين) حتّي أنّه إذا اطلق فلا ينصرف إلي سوي الإمام، يقول الدكتور زكي مبارك:

«أمير المؤمنين هو اللقب الاصـطلاحي لعليّ بن أبي طـالب، فـإن رأي القارئ في كتاب قـديم من غير نصّ علي اسم فليعرف أنّ المراد هو عليّ بن أبي طالب»(2)، و قد أفضي النبيّ صلّي اللّه عليه و آله هذا اللقب عليه.

روي أبو نعيم بسـنده عن أنس قـال: قال رسول اللّه صـلّي اللّه عليه و آله: «يا أنس، اسـكب لي وضوءا»، ثمّ قام فصـلّي ركعتين، ثمّ قال: «يا أنس، أوّل من يـدخل عليك من هـذا الباب أمير المؤمنين، و سـيّد المسـلمين، و قائد الغرّ المحجّلين، و خاتم الوصـيّين»، قال أنس: قلت: اللّهمّ اجعله رجلا من الأنصار و كتمته، إذ جاء عليّ عليه السّلام، فقال:

«من هـذا يا أنس؟» فقلت: عليّ، فقام مستبشـرا فاعتنقه ثمّ جعل عرق وجهه بوجهه و يمسح عرق عليّ بوجهه، قال علي: «يا رسول اللّه، لقد رأيتك صنعت شيئا ما صنعت بي من قبل»، قال: «و ما يمنعني و أنت تؤدّي عنّي؟ و تسمعهم

1- خصائص النسائي : ١٩. الرياض النضرة ٢ : ١٧١. كنز العمّال ٦ : ١٩٤. معرفة الصحابة ١ : ٢٩٦.

2- عبقرية الشريف الرضي ٢ : ٢٢٨.

صوتي، و تبيّن لهم ما اختلفوا فيه بعدي»(1).

حكت هذه الرواية سموّ منزلة الإمام عليه السّلام و عظيم شأنه عند النبيّ صلّي اللّه عليه و آله و أنّه لم يحظ بمثل ذلك أحد سواه.

7 - الأمين:

من ألقاب الإمام عليه السّلام (الأمين) لقّب بذلك لأنّه كان أمينا علي امور الدين و أسرار خاتم المرسلين،

و قد منحه هذا اللقب الرسول صلّي اللّه عليه و آله فقد قال له:

«يا عليّ، أنت صفيّي و أميني»(2).

8 - الهادي:

من ألقاب الإمام عليه السّلام (الهادي)، فقد كان هاديا للمسلمين و مرشدا للمتّقين و وليّا للمؤمنين، و قد اقتبس هذا اللقب من

قول النبيّ صلّي اللّه عليه و آله:

«أنا المنذر و عليّ الهادي، و بك يهتدي المهتدون»(3).

9 - الاذن الواعية:

من الألقاب الكريمة للإمام عليه السّلام (الاذن الواعية)، فقد كان عليه السّلام اذنا واعية لجميع ما انزل علي النبيّ صلّي اللّه عليه و آله، و قد

قال له النبيّ حينما نزلت عليه الآية وَ تَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ :

«سألت ربّي أن يجعلها اذنك يا عليّ»، فقال عليّ: «فما نسيت شيئا بعد،

1- حلية الأولياء ١ : ٦٣.

2- ذخائر العقبي : ٥٧. تأريخ الخميس ٢ : ٣٧٥.

3- مستدرك الحاكم ٣ : ١٢٩. كنز العمّال ٦ : ١٥٧. وجاء هـذا المعني في ذيل تفسير الآيـة : (إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) من سورة الرعد. تفسير الطبري ١٣ : ٧٢. تفسير الحقائق : ٤٢ ، وكذلك ذكره الفخر الرازي.

و ما كان لي أن أنسي»(1).

10 - المرتضي:

من ألقابه الكريمة (المرتضي) لقّب بذلك لأنّ اللّه ارتضاه وصيّا للنبيّ و خليفة له من بعده، أو لأنّ اللّه تعالي ارتضاه لسيّدة النساء زهراء الرسول زوجا(2).

11 - الأنزع البطين:

لقّب الإمام بذلك لأنّه كان ذا صلعة ليس في رأسه شعر إلاّ من خلفه، و كان عظيم البطن و لكن بلا بطنة. يقول الجواهري في جوهرته التي رثي بها أبا الأحرار الإمام الحسين عليه السّلام:

فيا بن البطين بلا بطنة و يا ابن الفتي الحاسر الأنزع(3)

سأل رجل عبد اللّه بن عباس حبر الامّة، فقال له: اخبرني عن الأنزع البطين فقد اختلف الناس فيه؟ فأجابه ابن عبّاس: أيّها الرجل، و اللّه لقد سألت عن رجل ما وطئ الحصي بعد رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله أفضل منه، و إنّه لأخو رسول اللّه، و ابن عمّه و وصيّه و خليفته علي امّته، و انّه الأنزع من الشرك، بطين من العلم، و لقد سمعت رسول اللّه يقول: «من أراد النّجاة غدا فليأخذ بحجزة هذا الأنزع - يعني الإمام»(4).

12 - الشريف:

أمّا الإمام فهو من أشرف الناس بحسبه و مثله و ورعه و تقواه، و قد آمن بذلك

1- تفسير الطبري ٢٩ : ٣٥. الكشّاف ٤ : ٦٠٠ في تفسير الآية ١٣ من سورة الحاقّة. كنز العمّال ٦ : ١٠٨. الدرّ المنثور ٨ : ٢٦٧.

2- ذخائر العقبي : ٣٢. كنز العمال ٦ : ١٥٢.

3- ديوان الجواهري ٣ : ٢٣٥.

4- حياة أمير المؤمنين : ٤٥.

أعـداؤه و خصومه، فقد روي المؤرّخون أنّ الجيش العباسـي لمّا أحاط بمروان آخر ملوك الأمويّين قال لبعض وزرائه: إنّ هذا الجيش – أي الجيش العباسـي – بحاجـة لعليّ، فأنكر عليه ذلك، و قال له: إنّ عليّا جيش بـذاته، فقال له مروان: لقـد عزب عنك ما أردته، إنّ هذا الجيش بحاجة لعليّ في شرفه و نبله، فإنّه إذا استولي علينا يستأصل نساءنا و أطفالنا و شيوخنا، و لا يتركون منّا نافخ رماد، و إذا كان عليّ قائدا للجيش فإنّه لا يعمل ذلك معنا يصـدّه شـرفه و نبله عن اقتراف ذلك. و صدق مروان في تفرّسه فإنّ العبّاسـيّين حينما اسـتولوا علي الحكم استأصـلوا شأفة الأمويّين، و مثّلوا حتّي بأمواتهم(1).

13 – بيضة البلد:

من ألقابه الكريمة (بيضة البلد) كما كان أبوه بيضة مكّة و مصدر عزّها و شرفها(2).

14 – خير البشر:

لقّبه النبيّ صلّي اللّه عليه و آله (خير البشر)، و قد ورد ذلك في كوكبة من الأحاديث هذه بعضها:

–

روي الخطيب البغدادي بسنده عن جابر، قال: قال رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله:

«عليّ خير البشر فمن امتري(3) فقد كفر»(4).

–

قال رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله: «عليّ خير البشر من شكّ فيه كفر»(5).

1– حياة الإمام موسي بن جعفر ١ : ٣٣٦.

2– تاريخ الخميس ٥ : ٣٧٥. معرفة الصحابة ١ : ٢٩٧. حياة الحيوان _ الجاحظ ٢ : ٣٣٦.

3– امتري : أي شكّ.

4– تاريخ بغداد ٧ : ٤٢١.

5– كنوز الحقائق : ٩٢.

-

روي الخطيب البغدادي عن عليّ عليه السّلام أنّ رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله قال: «من لم يقل عليّ خير البشر فقد كفر»(1).

و أثرت عن رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله بهذا المضمون كوكبة اخري من الأحاديث.

15 - سيّد العرب:

من الألقاب الكريمة للإمام عليه السّلام (سيّد العرب) أضفاه عليه

النبيّ صلّي اللّه عليه و آله، قال:

«أنا سيّد ولد آدم و عليّ سيّد العرب»(2).

و روت عائشة أنّ رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله قال: «ادعوا لي سيّد العرب»، فقلت:

يا رسول اللّه، أ لست سيّد العرب؟ قال: «أنا سيّد ولد آدم و عليّ سيّد العرب»(3).

و روي سلمة بن كهيل قال: مرّ عليّ بن أبي طالب علي النبيّ صلّي اللّه عليه و آله و عنده عائشة فقال لها: «إذا سرّك أن تنظري إلي سيّد العرب فانظري إلي عليّ بن أبي طالب»، فقالت: يا نبيّ اللّه، أ لست سيّد العرب؟ فقال: «أنا إمام المسلمين، و سيّد المتّقين، و إذا سرّك أن تنظري إلي سيّد العرب فانظري إلي عليّ بن أبي طالب»(4).

16 - حجّة اللّه:

من ألقابه العظيمة (حجّة اللّه) فقد كان حجّة من اللّه علي عباده يهديهم للتي هي أقوم و ينير لهم طرق الهداية، منحه هذا اللقب

النبيّ صلّي اللّه عليه و آله قال: «أنا و عليّ حجّة اللّه علي عباده»(5)،

و روي أنس بن مالك قال: كنت عند النبيّ صلّي اللّه عليه و آله فرأي عليّا مقبلا

1- مستدرك الحاكم ٣ : ١٢٤. كنز العمّال ٦ : ١٥٧. حلية الأولياء ١ : ٦٣.

2- كنز العمّال ٦ : ١٥٧. حلية الأولياء ١ : ٦٣.

3- مستدرك الحاكم ٣ : ١٢٤.

4- تاريخ بغداد ١١ : ٨٩.

5- كنوز الحقائق _ المناوي : ٤٣.

فقال: «يا أنس»، قلت: لبّيك، قال: «هذا المقبل حجّتي علي أمّتي يوم القيامة»(1).

هذه بعض الألقاب التي أضيفت علي الإمام عليه السّلام، و هي تحكي سموّ ذاته و عظيم شأنه و معالي أخلاقه.

كناه:

اشارة

كنّي الإمام عليه السّلام بكوكبة من الكني الشريفة، و هذه بعضها:

1 - أبو الريحانتين:

و هما الإمامان الحسن و الحسين سيّدا شباب أهل الجنّة،

كنّاه بذلك الرسول صلّي اللّه عليه و آله، فقد قال له:

«يا أبا الرّيحانتين، فعمّا قليل يـذهب ركناك، و اللّه خليفتي عليك»، فلمّا قبض رسول اللّه قال عليّ: «هـذا أحـد الرّكنين»، فلمّا توفّيت سـيّدة نساء العالمين زهراء الرسول عليها السّلام قال: «هذا الرّكن الآخر»(2).

2 - أبو السبطين:

كنّي بولديه سبطي رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله الإمامين الحسن و الحسين عليها السّلام(3)، و قد شاعت هذه الكنية.

3 - أبو الحسن:

كنّي الإمام عليه السّلام بابنه الأكبر الإمام الحسن السبط الأوّل للنبيّ صلّي اللّه عليه و آله، و أحبّ ذرّيّته إليه(4).

1- الرياض النضرة ٢ : ١٩٣.

2- ذخائر العقبي : ٥٦. تأريخ الخميس ٢ : ٣٧٥.

3- إعلام الوري : ١٩٤.

4- إعلام الوري : ١٩٤.

4 - أبو الحسين:

و شاعت هـذه الكنية(1) في الأوساط الإسـلامية، فقـد كنّي بولـده مفخرة الإسـلام و المجدّد الأعظم لدين الإسـلام الإمام الحسـين عليه السّلام الذي استشهد من أجل أن يقيم في الشرق دولة القرآن و يحطّم الدولة الأموية التي استهدفت القضاء علي الإسلام.

5 - أبو تراب:

اشارة

إنّ هذه الكنية من أحبّ الكني عند الإمام عليه السّلام، فقد كنّاه بها رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله في عدّة مناسبات كان من بينها ما يلي:

1 - روي ابن عبّاس حبر الامّة، قال: لمّا آخي النبيّ صـلّي اللّه عليه و آله بين أصـحابه من المهاجرين و الأنصار و لم يواخ بين الإمام و بين أحد منهم خرج عليّ مغضبا حتّي أتي جدولا فتوسّد ذراعه فسفت عليه الريح، فطلبه النبيّ حتي ظفر به فوكزه برجله، فقال له:

«قم فما صـلحت أن تكون إلاّ أبا تراب، غضبت عليّ حين آخيت بين المهاجرين و الأنصار و لم اواخ بينك و بين أحد منهم، أ ما ترضي أن تكون منّي بمنزلـة هـارون من موسـي إلاّ أنّه لا نبيّ بعـدي، ألا من أحبّك حفّ بالأمن و الإيمان، و من أبغضك أماته اللّه ميتـة جاهليّـة و حوسب بعمله في الإسلام»(2).

حكت الرواية ما يلي:

أوّلا: أنّ النبيّ كنّي الإمام بأبي تراب.

ثانيا: أنّ النبيّ صرّح أنّ الإمام منه بمنزلة هارون من موسي، فكما أنّ هارون

1- معرفة الصحابة ١ : ٢٧٩.

2- مجمع الزوائد ٩ : ١١١. الفصول المهمّة _ ابن الصبّاغ : ٢٢.

خليفة موسي و وصيّه كذلك الإمام خليفة النبيّ صلّي اللّه عليه و آله و وصيّه من بعده.

ثالثا: أنّ الرواية بشّرت محبّي الإمام بالرحمة و المغفرة و الرضوان، كما أنذرت مبغضيه بسوء العاقبة و الخلود في النار.

2 – روي الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام قال:

«طلبني رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله فوجدني نائما في جدول، فقال: ما النّوم؟ النّاس يسمّونك أبا تراب، فرآني كأنّي وجدت في نفسي من ذلك، فقال: قم و اللّه لارضينّك، أنت أخي و أبو ولدي تقاتل علي سنّتي و تبرئ ذمّتي، من مات في عهدي فهو كبّر اللّه، و من مات في عهدك فقد قضي نحبه، و من مات يحبّك بعد موتك ختم اللّه له بالأمن و الإيمان ما طلعت شمس أو غربت، و من مات يبغضك مات ميتة جاهليّة»(1).

3 – روي الحاكم بسنده أنّ رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله وجد عليّا و عمّارا في دقعاء(2) من التراب فأيقظهما، و حرّك عليّا فقال: «قم يا أبا تراب أ لا اخبرك بأشقي النّاس؟ رجلين: احيمر ثمود عاقر النّاقة، و الّذي يضربك علي هذه – أي علي هامة رأسك – فيخضب هذه – أي لحيته – منها»(3).

4 – روي أبو الفضل الطفيل، قال: جاء النبيّ صلّي اللّه عليه و آله، و عليّ نائم في التراب، فقال: «إنّ أحقّ أسمائك أبو تراب، أنت أبو تراب»(4).

5 – روي عبد العزيز بن أبي حازم، عن أبيه قال: قلت لسهل بن سعد: إنّ بعض امراء المدينة يريد أن يبعث إليك أن تسبّ عليّا فوق المنبر، قال: أقول:

1– الجامع الكبير _ السيوطي ٦ : ٤٠٤.

2– الدقعاء : التراب اللين.

3– مستدرك الحاكم ٣ : ١٠٤. تأريخ الطبري ٢ : ٢٦١. إمتاع الأسماع ١ : ٥٠.

4– مجمع الزوائد ٩ : ١٠٠.

مـا ذا؟ قال: تقول: لعن اللّه أبا تراب، قال: و اللّه ما سـمّاه بـذلك إلاّ رسول اللّه صـلّي اللّه عليه و آله، قلت: و كيف ذلك يا أبا العبّاس؟ قال: دخل عليّ علي فاطمة ثمّ خرج من عندها فاضـطجع في فيء المسجد ثمّ دخل رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله علي فاطمة فقال لها: أين ابن عمّك؟ فقالت: هو ذاك مضـطجعا في المسجد، فجاءه رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله فوجده قد سقط رداؤه علي ظهره، و خلص التراب إلي ظهره فجعل يمسح التراب عن ظهره و يقول: «اجلس أبا تراب»، فو اللّه ما سمّاه به إلاّ رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله، و و اللّه ما كان له اسم أحبّ إليه منه(1).

و شاع هذا اللقب بين المسلمين و نظمه الشعراء، و كان فيما نظمه بعضهم:

و جاء رسول اللّه مرتضيا له و ما كان عن زهرائه في تشرّد

فمسّح عنه التّرب إذ مسّ جلده و قد قام منها آلفا للتّفرّد

و قال له قول التّلطّف: قم أبا تراب كلام المخلص المتودّد

و ما أبدع ما قاله عبد الباقي العمري:

أنت ثاني الآباء في منتهي الدّو ر و آباؤه تعدّ بنوه

خلق اللّه آدما من تراب فهو ابن له و أنت أبوه(2)

إنّ اللّه تعالي خلق آدما من تراب، و الإمام أبوه تكريما و تعظيما من اللّه الذي ميّز الابن علي أبيه...

و قال العلاّمة الشيخ حسن طرّاد العاملي:

نور الحقيقة و الصّواب متمثّل بأبي تراب

1- تأريخ الطبري ٢ : ٣٦٣. تاريخ الخميس ٢ : ٣٧٥.

2- ديوان عبد الباقي العمري : ١٢٦.

عنوان مجد شامخ متنزّه عن كلّ عاب

قد أبدعته يد السّما ليجيء بالعجب العجاب

و يكون نفس محمّد في حفظ أحكام الكتاب

فعلومه من علمه و بيانه فصل الخطاب

إنّ كنية أبي تراب و سام فخر و شـرف أضـفاه الرسول صلّي اللّه عليه و آله علي وصيّه و باب مدينة علمه للتدليل علي زهده في الدنيا و رفضه لجميع متعها و زينتها، و إنّها عنده كالتراب.

مع الأمويّين:

و اتّخذ الأمويّون لقب أبي تراب وسيلة لانتقاص الإمام و التشهير به، قال الحاكم النيسابوري:

كان بنو اميّـة ينقصون عليّا بهذا الاسم الذي سـمّاه به رسول اللّه صـلّي اللّه عليه و آله و يلعنونه علي المنبر بعد الخطبة مدّة ولايتهم، و كانوا يستهزءون به، و إنّما استهزءوا بالذي سمّاه، و قد قال اللّه تعالي: قُلْ أَ بِاللّهِ وَ آياتِهِ وَ رَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤُنَ(1).

و كان الذئب الجاهلي (معاوية في آخر خطبة الجمعة يقول:

اللّهمّ إنّ أبا تراب ألحـد في دينك و صـدّ عن سبيلك فالعنه لعنا وبيلا و عـذّبه عـذابا أليما... و كتب بذلك إلي الآفاق، فكانت هذه الكلمات الفـاجرة يشـاد بها و تتلي علي منابر المسـلمين (2) التي أنشـئت ليشـاد عليها الحقّ و العـدل و تكون مدرسـة لتهـذيب الأخلاق و إشاعة الفضيلة بين الناس، و لكنّ معاوية بوحي من جاهليّته

1- الغدير ٦ : ٣٣. التوبة : ٦٥.

2- شرح نهج البلاغة _ ابن أبي الحديد ٤ : ٣٠٦.

حوّلها إلي سبّ العترة الطاهرة التي أذهب اللّه عنها الرجس و طهّرها تطهيرا، و قد اقتدي به ملوك الأمويّين فجعلوا سبّ أهل البيت واجبا إسلاميا يحاسبون العامّة و الخاصّة علي تركه، و كانت هذه السياسة النكراء من المآسي القاسية التي عاناها الأخيار و المصلحون من المسلمين.

و من طريف ما ينقل أنّ رجلا من أهل السنّة أهدي إلي صديق له شيعي برّا من الحنطة كانت رديئة فردّها عليه، فأرسل إليه عوضها حنطة جيّدة إلاّ أنّها كانت مخلوطة بالتراب فكتب إليه:

بعثت لنا بدال البرّ برّا رجاء للجزيل من الثّواب

رفضناه عتيقا و ارتضينا به إذ جاء و هو أبو تراب(1)

ملامحه و صفاته:

اشارة

كان الإمام عليه السّلام من أجمل الناس وجها و أحسنهم أخلاقا، و كانت أسارير النور علي وجهه الشريف، و قد وصفت ملامحه بصفات كثيرة كان منها ما يلي:

1 - وصف النبيّ له:

و وصف النبيّ صلّي اللّه عليه و آله أخاه و وصيّه بهذه الأوصاف الرفيعة، قال: «من أراد أن ينظر إلي إبراهيم في حلمه، و إلي نوح في حكمه، و إلي يوسف في جماله، فلينظر إلي عليّ بن أبي طالب»(2).

حكت هذه الكلمات عظيم صفات الإمام، فقد ضارع أنبياء اللّه الممجّدين في أجلّ صفاتهم و معالي حكمهم و أخلاقهم.

1- نفحة اليمن : ١٢.

2- ذخائر العقبي : ٢٤.

2 - وصف ضرار للإمام:

طلب معاوية من ضرار أن يصف له الإمام لأنّه كان من أخلص أحبّائه، فامتنع ضرار خوفا من معاوية إلاّ أنّه أصرّ عليه، فقال له:

كان و اللّه! بعيد المدي، شديد القوي، يقول فصلا، و يحكم عدلا، يتفجّر العلم من جوانبه، و تنطق الحكمة من لسانه، يستوحش من الدنيا و زخرفها، و يستأنس بالليل و وحشته، و كان غزير الدمعة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما خشن، و من الطعام ما جشب، و كان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، و ينبئنا إذا استنبأناه، و نحن - و اللّه! - مع تقرّبه لنا و قربه منّا لا نكاد نكلّمه هيبة له، يعظّم أهل الدين، و يقرّب المساكين، لا يطمع القويّ في باطله، و لا ييأس الضعيف من عدله، و إنّي أشهد باللّه لقد رأيته في بعض مواقفه - و قد أرخي الليل سدوله و غارت نجومه - قابضا علي لحيته يتململ تململ السليم و يبكي بكاء الحزين و هو يقول:

«يا دنيا غرّي غيري، إليّ تعرّضت أم إليّ تشوّقت؟ هيهات هيهات، قد باينتك ثلاثا(1) لا رجعة فيها، فعمرك قصير، و خطرك كبير، و عيشك حقير، آه! من قلّة الزّاد، و بعد السّفر، و وحشة الطّريق».

و أثرت هذه الكلمات في نفس معاوية، فقال: رحم اللّه أبا الحسن كان و اللّه كذلك... (2).

و حكت هذه الكلمات بعض الصفات الروحية التي تميّز بها الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام و التي هي مبعث إعجاب و إكبار حتي عند ألدّ أعدائه و خصومه.

1- باينتك : أي طلّقتك طلاقا بائنا.

2- الاستيعاب ٣ : ١٠٧. حلية الأولياء ١ : ٨٤. الرياض النضرة ٢ : ٢١٢.

3 - وصف ابنه محمّد له:

و وصف ابنه محمّد بن الحنفية ملامحه فقال:

كان ربع القامة، أزجّ الحاجبين(1)، أنجل(2) كأنّ وجهه القمر ليلة البدر حسنا و هو إلي السّمرة، أصلع، له حفاف(3) من خلفه كأنّه إكليل، و كأنّ عنقه ابريق فضّة، و هو أرقب(4) ضخم البطن، أقرأ الظّهر(5)، عريض الصدر، محض المتن(6)، ضخم الكسور، لا يبين عضده من ساعده، تدامجت إدماجا، عبل الذراعين(7)، عريض المنكبين، عظيم المشاشين(8) كمشاش السبع الضاري، له لحية قد زانت صدره، غليظ العضلات، حمش الساقين(9). و ألمّ هذا الوصف ببعض ملامحه و شكله.

4 - وصف المغيرة له:

و وصفه المغيرة و هو من أعدائه فقال: كان علي هيئة الأسد، غليظا منه ما استغلظ، دقيقا منه ما استدقّ(10).

حكي هذا الوصف القوّة البدنية للإمام عليه السّلام و شجاعته النادرة.

1- الأزج : دقّة الحاجب وطوله.

2- الأنجل : سعة العين وجمالها.

3- الحفاف : الطرّة من الشعر تكون حول رأس الأصلع.

4- الأرقب : غليظ الرقبة.

5- أقرأ الظهر : طويله.

6- المحض : كناية عن استواء الجسم.

7- عبل الذراعين : أي ضخم الذراعين.

8- المشاش : رءوس العظام الليّنة.

9- مناقب آل أبي طالب ۳ : ۹۱.

10- مناقب آل أبي طالب ۳ : ۹۱.

5 - وصف بعض المعاصرين له:

و وصف بعض المعاصرين للإمام بعض صفاته الجسدية قال: كان ربعة من الرجال، أدعج العينين(1) عظيمهما، حسن الوجه كأنّه قمر ليلة البدر، عظيم البدن، عريض ما بين المنكبين، لمنكبه مشاش كمشاش السبع الضاري، لا يبين عضده من ساعده قد ادمج إدماجا، شثن الكفّين، عظيم الكراديس(2)، أغيد(3) كأنّ عنقه إبريق فضّة، أصلع ليس في رأسه شعر إلاّ من خلفه، كثير شعر اللحية، و كان لا يخضب، و كان إذا مشي تكفّأ، شديد الساعد و اليد، و إذا مشي إلي الحرب هرول، ثبت الجنان، قويا، ما صارع أحدا إلاّ صرعه، شجاعا، منصورا عند من لاقاه(4).

و هذه الصفات التي أدلي بها الرواة متّفقة علي أنّ الإمام عليه السّلام أبرز بطل في العالم الإسلامي و غيره، و أنّه يملك قوّة البدن، و قوّة البأس و الشجاعة التي لا يملكها أحد سواه بالاضافة إلي صفاته النفسية التي هي انشودة المتّقين في كلّ زمان و مكان.

1- الأدعج : شدّة السواد في العين مع سعتها.

2- الكراديس : كلّ عظم تكردس ، أي اجتمع اللحم فيه.

3- الأغيد : ميل العنق.

4- ذخائر العقبي : ٥٧. ألمح إلي بعض صفاته ابن حجر في تهذيب التهذيب ٧ : ٣٣٨ ، وابن سعد في طبقاته ٢ : ٢٦.

نشأته

اشارة

ص:69

نشأ الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام في عهد طفولته في كنف أبيه أبي طالب مؤمن قريش و شيخ البطحاء، الذي كان مثالا لكلّ فضيلة و عنوانا لكلّ كرامة، فربّي ولده الإمام علي الشهامة و النبل، و غذّاه بالإيمان باللّه، كما قامت بتربيته امّه الزكية السيّدة فاطمة سيّدة نساء عصرها في عفّتها و طهارتها، فغذّته بالأخلاق الكريمة و العادات الحسنة، و غرست في نفسه النزعات الشريفة.

احتضان النبيّ للإمام:

و حينما كان الإمام في فجر الصبا أصابت قريشا أزمة مادية و ضائقة اقتصادية تأثّر منها أبو طالب، فانبري رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله إلي عمّيه حمزة و العباس و طلب منهما أن يتحمّلا ثقل عمّه، فاتّجهوا صوبه و عرضوا عليه الأمر، فقال لهم: دعوا لي عقيلا و خذوا من شئتم، و كان شديد الحبّ لابنه عقيل فأخذ العباس طالبا، و أخذ حمزة جعفرا، و أخذ الرسول عليّا، و قال لهما: اخترت من اختاره اللّه عليكما – يعني عليّا –، فكان الإمام في حجر رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله و في ذري مودّته و عطفه.

و من المؤكّد أنّ النبيّ إنّما أخذ الإمام من عمّه ليربّيه و يغذّيه بطباعه و هديه، و قد وجد في كنفه من الحبّ و المودّة و العطف و الإيثار ما لم يجده في بيت أبيه، و قد غرس النبيّ في دخائل نفس الإمام و أعماق ذاته جميع مقوّمات الإسلام و مبادئه و قيمه، فكان في المرحلة الاولي من حياته قد وعي الإسلام و آمن به و فهم جوهره.

إنّ الإمـام عليه السّـلام كـان من ألصق الناس برسول اللّه صـلّي اللّه عليه و آله و من أكثرهم تطبّعا بأخلاقه و فهما لرسالته، و لمّا أعلن النبيّ صلّي اللّه عليه و آله ثورته الكبري علي الأفكار الجاهليـة و عاداتها، كان الإمام في فجر الصـبا يـذبّ عنه، و يحميه من صبيان قريش الـذين كانوا يحاربونه بالحجارة و يقذفونه بالتراب، و يصيحون وراءه ساحر و مجنون، و كان الإمام عليه السّلام يوقع بهم الضرب و اللكم فينهزمون إلي امّهاتهم و آبائهم و كان ذلك أوّل جهاد له في سبيل الإسلام.

و قد تحدّث الإمام عليه السّلام عن تلك الفترة الذهبية التي عاشها في رعاية النبيّ و ما لاقاه من صنوف الحفاوة و التكريم فقال:

«و قد علمتم موضعي من رسول اللّه – صلّي اللّه عليه و آله – بالقرابة القريبة، و المنزلة الخصيصة. وضعني في حجره و أنا وليد، يضمّني إلي صدره، و يكنفني في فراشه، و يمسّـ ني جسده، و يشـمّني عرفه. و كان يمضغ الشّـ يء ثمّ يلقمنيه، و ما وجد لي كذبة في قول، و لا خطلة في فعل. و كنت أتّبعه اتّباع الفصيل أثر امّه، يرفع لي في كلّ يوم من أخلاقه علما، و يأمرني بالاقتداء به»(1).

أ رأيتم كيف أخلص له النبيّ في الحبّ و المودّة و الرعايـة؟ فقـد أغدق عليه بعطفه و حنانه، و غذّاه بسـموّ أخلاقه و آدابه ليكون صورة عنه و ممثّلا له في حياته و بعد وفاته.

التربية النبوية للإمام:

اشارة

عني النبيّ صـلّي اللّه عليه و آله عناية بالغة بتربية أخيه و ابن عمّه الإمام عليه السّـلام فغرس في أعماق ذاته صـفاته الكريمة و نزعاته الشريفة حتي يحكي طباعه و اتّجاهاته و يقيمه من بعده

1- نهج البلاغة ، الخطبة ١٩٢.

علما لامّته و رائدا لتبليغ رسالته.

لقد حفلت تربية النبيّ صلّي اللّه عليه و آله بجميع مقوّمات الارتقاء و سموّ الذات، و كان من برامجها هذه الصور الرائعة.

1 - نكران الذات:

ربّي النبيّ صلّي اللّه عليه و آله أخاه علي الواقعية و نبذ الأنانية و نكران الذات، و كان من بين ذلك أنّ الإمام عليه السّلام طرق باب النبيّ، فقال الرسول:

«من هذا؟».

«أنا يا رسول اللّه».

و كره النبيّ صلّي اللّه عليه و آله كلمة «أنا» من الإمام و التي تخلو من التعظيم لقائلها، فجعل يقول له: «أنا، أنا» و فهم الإمام كراهة النبيّ لهذه الكلمة، فلم يفه بها بعد ذلك(1).

و تكشف هذه البادرة عن سموّ التربية الإسلامية التي أمدّت الحياة بالاشراق و النهوض، و ظلّ الإمام متأثّرا بهذه التربية الرفيعة طيلة حياته، ففي أيام حكومته و قيادته للامّة نبذ نبذا تامّا جميع مظاهر الحكم و السلطان التي تلازمها الابّهة و الاستعلاء علي الناس، و عامل نفسه كبقيّة أفراد الشعب لا ميزة له عليهم، و قد روي المؤرّخون أنّه اجتاز علي أهل المدائن فأقاموا له مهرجانا شعبيا و ذبحوا له الذبائح فنفر من ذلك و خاطبهم أنّه كأحدهم، و منع جيشه من أكل لحوم الذبائح حتي يعطي أهلها ثمنها(2)، و هكذا كان عليّ صورة لا ثاني لها في تاريخ البشرية علي الإطلاق سوي الرسول صلّي اللّه عليه و آله.

1- حياة الحيوان _ الجاحظ ١ : ٣٣٧.

2- بحار الانوار ٧٧ : ٤٥.

2 - التحلّي بالصفات الكريمة:

من ألوان التربية الإسلامية المشرقة التي غذّي بها النبيّ صلّي اللّه عليه و آله الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام هذه الكوكبة من الأحاديث التربوية، و هي:

أ - قال رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله:

«يا عليّ، ثلاث من مكارم الأخلاق: تصل من قطعك، و تعطي من حرمك، و تعفو عمّن ظلمك»(1).

إنّ هذه الخصال الكريمة تسمو بالإنسان و ترفع مستواه إلي أرقي ما يصل إليه من كمال النفس.

ب - قال رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله:

«يا عليّ، سيّد الأعمال ثلاث خصال: إنصافك النّاس من نفسك، و مساواة الأخ في اللّه عزّ و جلّ، و ذكر اللّه تبارك و تعالي علي كلّ حال»(2).

إنّ هذه الصفات الرفيعة هي اسس الفضائل التي ينبغي للمسلم أن يتحلّي بها.

ج - قال رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله: «يا عليّ، ثلاث خصال من حقائق الإيمان: الإنفاق في الإقتار، و إنصاف النّاس من نفسك، و بذل العلم للمتعلّم»(3).

بهذه الصفات الكريمة ربّي النبيّ صلّي اللّه عليه و آله أخاه و ابن عمّه و باب مدينة علمه ليكون انموذجا للإسلام.

د - قال رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله: «يا عليّ، اوصيك بوصيّة فاحفظها فلا تزال بخير ما حفظت وصيّتي. يا عليّ، من كظم غيظا و هو يقدر علي إمضائه أعقبه اللّه يوم

1- بحار الأنوار ٧٧ : ٤٤.

2- المصدر السابق : ٤٥.

3- المصدر السابق : ٤٥.

القيامة أمنا و إيمانا يجد طعمه»(1).

أ رأيتم هذه التعاليم التربوية التي تجعل الإنسان في اطار من الفضيلة و السلامة من كثير من الأزمات و المصاعب؟

ه – قال صـلّي اللّه عليه و آله: «يا عليّ، ثلاث من لقي اللّه عزّ و جلّ فهو من أفضل النّاس: من أتي اللّه بما افترض عليه فهو من أعبد النّاس، و من ورع عن محارم اللّه فهو من أورع النّاس، و من قنع بما رزقه اللّه فهو من أغني النّاس»(2).

إن من يطبّق علي حياته هذه الخصال الكريمة فهو من أفضل الناس و من أكثرهم طاعة للّه تعالي و قربا منه.

و – قال صـلّي اللّه عليه و آله: «يا عليّ، إنّ اللّه تبارك و تعالي قد أذهب بالإسلام نخوة الجاهليّة و تفاخرهم بآبائهم، ألا و إنّ النّاس من آدم، و آدم من تراب، و أكرمهم عند اللّه أتقاهم»(3).

إنّ هـذه الوصـية من أرقي تعاليم الإسـلام، فقد هدمت الحواجز بين الناس، و ألغت الفوارق و التفاضل بالأنساب، و جعلت التفاوت بينهم بالتقوي و العمل الصالح الذي هو أعظم رصيد للإنسان يميّزه عن غيره و يشرّفه عليه.

ز – من الوصايا الرفيعة التي عهد به النبيّ صلّي اللّه عليه و آله قوله:

«يـا عليّ، ثلاثـة تحت ظـلّ العرش يوم القيامـة: رجل أحبّ لأخيه ما أحبّ لنفسه، و رجل بلغه أمر فلم يتقـدّم فيه و لم يتأخّر حتّي يعلم أنّ ذلك الأمر للّه رضي

1- الخصال _ الصدوق ٢ : ٣٢. بحار الأنوار ٧٧ : ٤٦.

2- بحار الأنوار ٧٧ : ٥١.

3- المصدر السابق : ٥٣

أو سـخط، و رجل لم يعب أخاه بعيب حتّي يصـلح ذلك العيب من نفسه، فإنّه كلّما أصـلح من نفسه عيبا بدا له منها آخر؛ و كفي بالمرء في نفسه شغلا»(1).

ما أروع هذه الصـفات! التي يسـمو بها الإنسان إلي أرقي مسـتويات الرشد و الكمال... و قد تغذّي بها الإمام عليه السّلام فكانت من برامج حياته.

هذه بعض الخصال الكريمة التي أوصي بها النبيّ صلّي اللّه عليه و آله أخاه و ابن عمّه لتكون له منهجا في سلوكه مع غيره، و هي أحد برامج التربية النبوية للإمام، و قد ذكرنا الكثير منها في مسند الإمام.

3 - الاجتناب عن الصفات المذمومة:

حذّر النبيّ صلّي اللّه عليه و آله الإمام من بعض الصفات و الخصال التي تهبط بالإنسان إلي مستوي سحيق، و هذه بعضها:

أ - قال صلّي اللّه عليه و آله:

«يا عليّ، أنهاك عن ثلاث خصال: الحسد، و الحرص، و الكبر»(2).

إنّ هذه الخصال من مآثم الحياة، و لا يتّصف بها الشريف.

ب - قال صلّي اللّه عليه و آله:

«يا عليّ، من تعلّم علما ليماري به السّفهاء، أو يجادل به العلماء، أو ليدعو النّاس إلي نفسه فهو من أهل النّار»(3).

إنّ طلب العلم ينبغي أن يكون خالصا لوجه اللّه تعالي غير مشوب بالأغراض الدنيئة، أمّا إذا كان مشـفوعا بأغراض لا تمّت إلي الواقع بصـلة فإنّه يكون نقمة عليه

1- بحار الأنوار ٧٧ : ٦٦.

2- المصدر السابق : ٥٢.

3- المصدر السابق : ٥٤.

عند اللّه تعالي، و قد ألمح إليها الحديث و هي:

- طلب العلم لممارة السفهاء و التغلّب عليهم و إبراز قابليات الشخص، فإنّ ذلك ينمّ عن مرض النفس و بعدها عن اللّه تعالي.

- طلب العلم لمجادلة العلماء و إظهار الشخص أمام المجتمع بأنّه من مصاف العلماء، أمّا دوافع هذه الجهة فهو حبّ الدنيا، و من المؤكّد أنّها ممّا تبعده عن اللّه تعالي.

- طلب العلم لدعوة الناس إليه، و الالتفاف حوله أعاذنا اللّه بلطفه و فضله من ذلك.

ج - من بنود التربية النبوية للإمام

قوله صلّي اللّه عليه و آله: «يا عليّ، أ لا أنبّئك بشرّ النّاس؟ قال عليّ: بلي يا رسول اللّه، قال: من لا يغفر الذّنب، و لا يقيل العثرة. أ لا أنبّئك بشرّ من ذلك؟ قال عليّ: بلي، قال: من لا يؤمن شرّه، و لا يرجي خيره»(1).

إنّ هذه الخصال الذميمة لا يتّصف بها إلاّ أشرار الناس و سفله المجتمع.

د - من الوصايا التربوية التي غذّي بها النبيّ صلّي اللّه عليه و آله أخاه و ولي عهده الإمام عليه السّلام قوله: «يا عليّ، إنّه لا فقر أشدّ من الجهل، و لا مال أعود من العقل، و لا وحدة أوحش من العجب، و لا عمل كالتّدبير، و لا ورع كالكفّ - أي عن محارم اللّه -، و لا حسب كحسن الخلق؛ إنّ الكذب آفة الحديث، و آفة العلم النّسيان، و آفة السّماحة المنّ»(2).

علي ضوء هذه الحكم المشرقة التي تمثّل معالي الآداب و محاسن الأخلاق

1- بحار الأنوار ٧٧ : ٦٦.

2- المصدر السابق : ٦٤.

ربّي النبيّ صلّي اللّه عليه و آله وصيّه و باب مدينة علمه ليكون مثالا له في حياته و بعد وفاته.

ه – من معالي التربيـة النبويـة للإمام عليه السّـلام قوله: «يا عليّ، إيّاك و الكـذب، فإنّ الكـذب يسوّد الوجه، ثمّ يكتب عنـد اللّه كذّابا، و إنّ الصّدق يبيّض الوجه و يكتب عند اللّه صادقا؛ و اعلم أنّ الصّدق مبارك، و الكذب مشئوم»(1).

إنّ الكذب مفتاح الشرّ، و به فساد الدنيا و هلاك العباد، و يباينه الصدق فإنّه مصدر لكلّ فضيلة و سبب للنجاة من كلّ شرّ.

و – من روائع التربية الإسلامية التي غذّي بها النبيّ صلّي اللّه عليه و آله الإمام عليه السّلام قوله:

«يا عليّ، احذر الغيبة و النّميمة»(2).

إنّ النبيّ صـلّي اللّه عليه و آله حذّر من الغيبة لأنّها توجب نشـر الأحقاد و الضغائن بين الناس بالإضافة إلي الحطّ من شخصيّة المغتاب في المجتمع، و الإسـلام يحرص كلّ الحرص علي كرامـة المسـلم، و أن لا ينال بسوء، و قـد ذكر الفقهاء تعريف الغيبة و تحريمها المشدّد في الإسـلام، و اسـتثنوا من ذلـك مـا إذا كـان المغتاب متجاهرا بالفسق و الفجور فتجوز غيبته بالجهـة المتجاهر بها و لا يجوز قـذفه بغيرها من المعاصـي. و نهي النبيّ صـلّي اللّه عليه و آله عن النميمة، و هي من موجبات نشـر الكراهية بين المجتمع، و قد تظافرت الأخبار عن الأئمّة عليهم السّلام أنّ النمّام من شرار خلق اللّه تعالي.

ز – من الوصايا التربوية للنبيّ صلّي اللّه عليه و آله قوله: «يا عليّ، لا تغضب، فإذا غضبت فاقعد، و تفكّر في قدرة الرّبّ علي العباد، و حلمه عنهم، و إذا قيل لك: اتّق اللّه فانبذ غضبك، و راجع حلمك»[3].

1- تحف العقول : ١٤.

2- بحار الأنوار ٧٧ : ٦٧.

الغضب مفتاح كلّ شرّ و سبب لكلّ جريمة، و قد حذّر منه النبيّ صلّي اللّه عليه و آله لأنّه يؤدّي إلي دمار الشخص و هلاكه، و قد ذكر النبيّ صلّي اللّه عليه و آله كيفيّة علاجه و الوقاية من شرّه، و هو أن يتفكّر الإنسان في حالة غضبه بقدرة اللّه تعالي عليه، و ما يعقبه الغضب من الأضرار و المفاسد.

ح – من غرر الوصايا التربوية التي عهد بها النبيّ صلّي اللّه عليه و آله للإمام قوله:

«يا عليّ، أنهاك أن تخفر عهدا – أي تنقض عهدا – و تعين عليه، و أنهاك عن المكر فإنّه لا يحيق المكر السّيّئ إلاّ بأهله، و أنهاك عن البغي، فإنّه من بغي عليه لينصرنّه اللّه»(1).

إنّ هذه الخصال التي نهي النبيّ عنها من موجبات سقوط الإنسان و هلاكه.

ط – من معالم التربية للإمام عليه السّلام هذه الوصية: «يا عليّ، إنّ من اليقين أن لا ترضي أحدا بسخط اللّه، و لا تحمد أحدا بما آتاك اللّه، و لا تذمّ أحدا علي ما لم يؤتك اللّه؛ فإنّ الرّزق لا يجرّه حرص حريص، و لا يصرفه كراهة كاره، إنّ اللّه بحكمه و فضله جعل الرّوح و الفرج في اليقين و الرّضا، و جعل الهمّ و الحزن في الشّكّ»(2).

و بهذه الوصية الثمينة من النبيّ صلّي اللّه عليه و آله لوصيّه و باب مدينة علمه الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام نطوي الحديث عن بعض معالم التربية النبوية للإمام و التي استهدفت أن يكون ممثّلا للنبيّ صلّي اللّه عليه و آله لأهدافه و قيمه التي تنشد صالح الإنسان و تطوّر حياته.

و قد ذكرنا عرضا مفصّلا لوصايا النبيّ صلّي اللّه عليه و آله للإمام في مسنده لذا أوجزنا الحديث في هذا الموضوع.

1- الأمالي _ الصدوق ٢ : ٢١٠. بحار الأنوار ٧٧ : ٦٩.

2- المحاسن : ١٦ _ ١٧. بحار الأنوار ٥٧ : ٦٨.

سبقه للإسلام:

و الشيء الذي اتّفق عليه المؤرّخون و الرواة أنّ الإمام عليه السّلام أوّل من آمن بالنبيّ صلّي اللّه عليه و آله و استجاب لدعوته عن وعي و إيمان، و قد قال عليه السّلام: «لقد عبدت اللّه تعالي قبل أن يعبده أحد من هذه الامّة»(1).

و قال عليه السّلام: «كنت أسمع الصّوت، و ابصر الضّوء سنين سبعا، و رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله صامت ما اذن له في الإنذار و التّبليغ»(2). و معني هذا الحديث أنّه سلام اللّه عليه في سنّه المبكّر كان يسمع صوت جبرئيل، و يبصر ضوءه قبل أن يبلّغ النبيّ رسالته و يشيعها بين الناس.

و قد أجمع الرواة أنّ الإمام عليه السّلام لم تدنّسه الجاهلية بأوثانها، و لم تلبسه من مدلهمّات ثيابها، فلم يسجد لصنم قطّ كما سجد غيره(3) يقول المقريزي: أمّا عليّ ابن أبي طالب الهاشمي فلم يشرك باللّه قطّ، و ذلك أنّ اللّه تعالي أراد به الخير فجعله في كفالة ابن عمّه سيّد المرسلين(4).

و قد أسلم الإمام و أسلمت معه أمّ المؤمنين الصدّيقة الطاهرة خديجة، فقد احتضنت الإسلام و آمنت بقيمه و أهدافه، و قدّمت في سبيله جميع ما تملكه من الثراء العريض. و قد تحدّث الإمام عليه السّلام عن إيمانه و إيمان خديجة بالإسلام بقوله:

«و لم يجمع بيت يومئذ واحد في الإسلام غير رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله و خديجة و أنا ثالثهما». و قال ابن عباس: كان عليّ أوّل من آمن من الناس بعد خديجة(5)، و قال

1- صفة الصفوة ١ : ١٦٢.

2- بحار الأنوار ٣٤ : ٢٥٥.

3- تاريخ ابن عساكر ١ : ٣٣.

4- إمتاع الأسماع ١ : ١٦.

5- نهج البلاغة ٤ : ١١٦.

ابن إسحاق: كان عليّ أوّل من آمن باللّه و بمحمّد رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله(1).

إنّ سبق الإمام إلي اعتناق الإسلام ممّا اتّفق عليه الرواة و المؤرّخون(2)، و قد كان عمره الشريف حينما أسلم سبع سنين، و قيل: تسع سنين(3)، إلاّ أنّ التأمّل في تربية النبيّ صلّي اللّه عليه و آله له يقضي بأنّه أسلم في وقت مبكّر من حياته.

و علي أي حال فقد أعلن - باعتزاز و فخر - سبقه إلي الإسلام قائلا:

«أنا الصّدّيق الأكبر، و الفاروق الأوّل، أسلمت قبل إسلام أبي بكر، و صلّيت قبل صلاته»(4).

و نسب إليه من الشعر بذلك قوله:

«سبقتكم إلي الإسلام طرّا غلاما ما بلغت أوان حلمي»

و شاعت هذه الكرامة للإمام في جميع الأوساط الإسلامية، و افتخر بها خيار صحابة الإمام، يقول هاشم المرقال في صفّين:

مع ابن عمّ أحمد المعلّي فيه الرّسول بالهدي استهلاّ

أوّل من صدّقه و صلّي فجاهد الكفّار حتّي أبلي(5)

و قال سعيد بن قيس و هو من أفاضل أصحاب الإمام:

1- نهج البلاغة ٤ : ١١٦.
2- صحيح الترمذي ٢ : ٣٠١. طبقات ابن سعد ٣ : ١٤ (الفصل الأوّل). كنز العمّال ٦ : ٤٠٠. تاريخ الطبري ٢ : ٥٠.
3- لطائف المعارف _ الثعالبي : ١٢.
4- المعارف : ٧٣. الذخائر : ٥٨. الرياض ٢ : ٢٥٧.
5- الكامل _ ابن الأثير ٣ : ١٣٥.

هذا عليّ و ابن عمّ المصطفي أوّل من أجاب لمّا أن دعا

و أعلن النبيّ صلّي اللّه عليه و آله أنّ الإمام عليه السّلام هو أوّل من آمن به، فقد قال لأصحابه:

«أوّلكم واردا عليّ الحوض أوّلكم إسلاما عليّ بن أبي طالب»(1).

و علي أي حال فسبق الإمام إلي الإسلام قد اتّفق عليه المسلمون، و هو وسام شرف و فخر للإمام عليه السّلام.

حبّه للنبيّ:

كان الإمام عليه السّلام يحبّ النبيّ حبّا استوعب نفسه، و أخلص له في الودّ كأعظم ما يكون الودّ، و قد سأله شخص عن مدي حبّه له قائلا: كيف كان حبّكم لرسول اللّه؟ فأجابه الإمام:

«كان و اللّه أحبّ إلينا من أموالنا و أولادنا و امّهاتنا و من الماء البارد علي الظّمأ...»(2).

و من المؤكّد أنّه ليس في الاسرة النبويـة و لا في الصحابة من يضارع الإمام في حبّه و إخلاصه للرسول؟ و كان من مودّته له أنّه أتي حائطا فقال له صاحبه: هل لك أن تسقيه و لك بكلّ دلو تمرة، و سارع إلي سقيه فأعطاه صاحب البستان تمرا حتي ملأ كفّه منه، فبادر إلي النبيّ صلّي اللّه عليه و آله فأطعمه به(3).

قيامه بخدمة النبيّ:

كان الإمام عليه السّلام يتولّي رعاية النبيّ صلّي اللّه عليه و آله و القيام بخدماته حتّي أنّه إذا أراد القيام

1- الغدير ٣ : ٢١.

2- خزانة الأدب ٣ : ٢١٣.

3- مسند أحمد ٢ : ١٠٢.

بادر فأخذ بيده، و إذا أراد أن يجلس اتّكأ عليه(1).

و من طرائف ما ينقل أنّ شخصا وفد علي النبيّ صلّي اللّه عليه و آله يستميحه و يطلب رفده فقال للإمام: «يا عليّ، اقطع لسانه عنّي»، و لم يفهم الشخص المراد من قول النبيّ صلّي اللّه عليه و آله فسار مع عليّ و قد استولي عليه الفزع و الخوف، فقال للإمام: أقاطع لساني أنت يا أبا الحسن؟ فقال الإمام له: «إنّي ماض لما امرت به».

و سار الإمام حتي انتهي به إلي إبل الصدقة فقال له: «خذ ما أحببت»، فسكن روع الرجل و فهم ما أراده النبيّ، و علّق الإمام علي كلمة النبيّ بقوله:

«أحسن موارية سمعتها في كلام العرب»(2).

و تولّي الإمام بإخلاص القيام بقضاء حوائج النبيّ، و كان يعتلي بغلة النبيّ الشهباء، و يسير في شعب الأنصار لتنفيذ ما عهد إليه(3).

نماذج من أدعيته للنبيّ:

و الشيء المحقّق أنّه لم يعرف أحد من الصحابة و غيرهم مكانة النبيّ صلّي اللّه عليه و آله و سموّ منزلته سوي أخيه و باب مدينة علمه الإمام عليه السّلام، فقد خصّه بكثير من الأدعية الحافلة بالتمجيد و التعظيم له و الإشادة بفضله و عظيم شأنه، و هذه بعضها:

1 – قال عليه السّلام:

الحمد للّه ربّ العالمين، و صلّي اللّه علي أطيب المرسلين محمّد بن

1– إعلام الوري : ١٨٧.

2– خزانة الأدب ١ : ١٥٤.

3– رسائل الجاحظ ٢ : ٢٢٢.

عبد اللّه المنتجب الفاتق الرّاتق.

اللّهمّ فخصّ محمّدا صلّي اللّه عليه و آله بالذّكر المحمود، و الحوض المورود.

اللّهمّ آت محمّدا صلواتك عليه و آله الوسيلة، و الرّفعة و الفضيلة و اجعل في المصطفين محبّته، و في العلّيّين درجته، و في المقرّبين كرامته.

اللّهمّ أعط محمّدا صلواتك عليه و آله من كلّ كرامة أفضل تلك الكرامة، و من كلّ نعيم أوسع ذلك النّعيم، و من كلّ عطاء أجزل ذلك العطاء، و من كلّ يسر أنضر ذلك اليسر، و من كلّ قسم أوفر ذلك القسم حتّي لا يكون أحد من خلقك أقرب منه مجلسا، و لا أرفع منه عندك ذكرا و منزلة، و لا أعظم عليك حقّا، و لا أقرب وسيلة من محمّد صلواتك عليه و آله، إمام الخير و قائده، و الدّاعي إليه، و البركة علي جميع العباد و البلاد و رحمة للعالمين.

اللّهمّ اجمع بيننا و بين محمّد صلواتك عليه و آله في برد العيش، و تروّح الرّوح، و قرار النّعمة، و شهوة الأنفس، و مني الشّهوات، و نعم اللذّات، و رجاء الفضيلة، و شهود الطّمأنينة، و سؤدد الكرامة، و قرّة العين، و نضرة النّعيم، و بهجة لا تشبه بهجات الدّنيا. نشهد أنّه قد بلّغ الرّسالة، و أدّي النّصيحة، و اجتهد للأمّة، و أوذي في جنبك، و جاهد في سبيلك، و عبدك حتّي أتاه اليقين، فصلّي اللّه عليه و آله الطّيّبين.

اللّهمّ ربّ البلد الحرام، و ربّ الرّكن و المقام، و ربّ المشعر الحرام، و ربّ الحلّ و الحرام بلّغ روح محمّد صلّي اللّه عليه و آله عنّا

السّلام. اللّهمّ صلّ علي ملائكتك المقرّبين، و علي أنبيائك، و رسلك أجمعين، و صلّ اللّهمّ علي الحفظة الكرام الكاتبين، و علي أهل طاعتك من أهل السّماوات السّبع و أهل الأرضين السّبع من المؤمنين أجمعين»(1).

و أنت تري في هذا الدعاء جميع صنوف التكريم و التعظيم قد رفعها الإمام إلي سموّ النبيّ صلّي اللّه عليه و آله، و دعا له أن يبوّئه اللّه أسمي مكانة و أعلي درجة في حضيرة القدس.

2 – و كان من مظاهر تعظيم الإمام للنبيّ صلّي اللّه عليه و آله هذا الدعاء، قال عليه السّلام:

اللّهمّ داحي المدحوّات، و داعم المسموكات، و جابل القلوب(2) علي فطرتها، شقيّها و سعيدها، اجعل شرائف صلواتك، و نوامي بركاتك علي محمّد عبدك و رسولك الخاتم لما سبق، و الفاتح لما انغلق، و المعلن الحقّ بالحقّ، و الدّامغ خبيثات الأباطيل، و الدّامغ صولات الأضاليل، كما حمّلته فاضطلع بأمرك، مستوفرا في مرضاتك، غير ناكل عن قدم، و لا واه في عزم، واعيا لوحيك، حافظا لعهدك، ماضيا علي نفاذ أمرك، حتّي أوري قبس القابس، و أضاء الطّريق للخابط، و هديت به القلوب بعد خوضات الفتن و الآثام، و أقام بموضحات الأعلام، و نيّرات الأحكام، فهو أمينك المأمون، و خازن علمك المخزون، و شهيدك يوم الدّين، و بعيثك بالحقّ، و رسولك إلي الخلق.

اللّهمّ افسح له مفسحا في ظلّك، و اجزه مضاعفات الخير من فضلك.

1- تهذيب الأحكام ٣ : ٨٣. بحار الأنوار ٢٠ : ٢٦٣.

2- جابل القلوب : أي خالقها.

اللّهمّ و أعل علي بناء البانين بناءه، و أكرم لديك منزلته، و أتمم له نوره، و اجعله من انبعاثك مقبول الشّهادة، مرضيّ المقالة، ذا منطق عدل، و خطبة فصل.

اللّهمّ اجمع بيننا و بينه في برد العيش، و إقرار النّعمة، و رخاء الدّعة، و منتهي الطّمأنينة، و تحف الكرامة»(1).

و حفل هذا الدعاء بإحاطة الإمام و معرفته الكاملة بالرسول الأعظم صلّي اللّه عليه و آله، فقد أضفي عليه جميع ألوان الحفاوة و التكريم، و دعا له بالمنزلة الكريمة التي يتبوّؤها في الفردوس الأعلي.

تمجيده للنبيّ:

و كان الإمام علي يقين لا يخامره شكّ بنبوّة النبيّ صلّي اللّه عليه و آله و رسالته، و كان يثني عليه عاطر الثناء، و ممّا قال فيه:

1 – قال عليه السّلام:

«مستقرّه – أي النبيّ – خير مستقرّ، و منبته أشرف منبت، في معادن الكرامة، و مماهد السّلامة؛ قد صرفت نحوه أفئدة الأبرار، و ثنيت إليه أزمّة الأبصار، دفن اللّه به الضّغائن، و أطفأ به الثّوائر ألّف به إخوانا، و فرّق به أقرانا، أعزّ به الذّلّة، و أذلّ به العزّة. كلامه بيان، و صمته لسان»(2).

و نري في هذه الكلمات جميع ألوان التعظيم و التمجيد لشخصيّة الرسول صلّي اللّه عليه و آله الذي ما عرفه سوي باب مدينة علمه.

1- نهج البلاغة ١ : ١٨٦.

2- نهج البلاغة ١ : ١٨٦.

2 – قال عليه السّلام:

«ابتعثه – أي النبيّ – بالنّور المضيء، و البرهان الجليّ، و المنهاج البادي و الكتاب الهادي. أسرته خير أسرة، و شجرته خير شجرة؛ أغصانها معتدلـة، و ثمارها متهدّلـة. مولده بمكّة، و هجرته بطيبة علا بها ذكره و امتدّ منها صوته. أرسـله بحجّة كافية، و موعظة شافية، و دعوة متلافية. أظهر به الشّرائع المجهولـة، و قمع به البدع المدخولة، و بيّن به الأحكام المفصولة(1). فمن يبتغ غير الإسـلام دينا تتحقّق شقوته، و تنفصم عروته، و تعظم كبوته، و يكن مآبه إلي الحزن الطّويل و العذاب الوبيل»(2).

و حكت هذه الكلمات ما يحمله الإمام من صـنوف التعظيم و الاكبار للنبيّ صلّي اللّه عليه و آله، و من المقطوع به أنّه ليس في اسرة النبيّ و لا في أصحابه من فهم حقيقته و أحاط به علما سوي الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام... هذه بعض كلماته في حقّ الرسول صلّي اللّه عليه و آله.

كتابته للوحي:

و تظافرت الأخبار أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام كان يكتب الوحي المنزل علي عبد اللّه و رسوله محمّد صلّي اللّه عليه و آله(3)، فقد كتب الكثير من الوحي و سور القرآن الكريم، كما أنّه أوّل من نقّط المصاحف(4)، و من الجدير بالذكر أنّه تعلّم الكتابة

1- المفصولة : أي المفصّلة.

2- نهج البلاغة ٢ : ٢٢٩.

3- الاستيعاب (المطبوع علي هامش الاصابة) ١ : ٣٠.

4- مفتاح السعادة ١ : ٨٩.

و هو في دور الصبا(1).

كتابته لعهود الرسول:

كان الإمام عليه السّلام يكتب عهود الرسول و صلحه، فقد كتب لأهل نجران و غيرهم ما سجّله النبيّ صلّي اللّه عليه و آله لهم(2)، و لمّا صالح رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله أهل الحديبية كتب الإمام بينهم كتابا جاء فيه: «محمّد رسول اللّه» فقال المشركون: لا تكتب محمّدا رسول اللّه، لو كنت رسولا لم نقاتلك، فقال النبيّ صلّي اللّه عليه و آله لعليّ: «امحه»، فقال: «ما أنا بالّذي أمحوه»، فمحاه النّبي بيده. قال: و كان فيما اشترطوا أن يدخلوا مكّة فيقيموا بها ثلاثا. و لا يدخلها بسلاح إلاّ جلبّان السّلاح، فسألوه: و ما جلبّان السّلاح؟ قال:

القراب و ما فيه(3).

و من الجدير بالذكر أنّ رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله كان يتفقّد مقاطع الكلام التي كان يكتبها الإمام كتفقّد المصرم صريمته(4).

تحطيمه للأصنام:

و ظاهرة اخري من سيرة الإمام و اتّجاهاته كراهته البالغة للأصنام و بغضه الشديد لها، و كان يسعي إلي تدميرها قبل أن يشرق نور الإسلام، كما فعل جدّه شيخ الأنبياء إبراهيم عليه السّلام بأصنام الجاهلية و أوثانها، و كان عليه السّلام و معه اسامة يجمعان القمامة و أوساخ البيوت و قاذوراتها و يلقونها علي أصنام قريش في غلس الليل، فإذا أصبحت قريش و رأت أصنامها ملوّثة رفعت أصواتها بألم و عنف قائلة: من فعل هذا

1- الفصول المختارة ٢ : ٦٦.

2- صبح الأعشي ١ : ٦٥.

3- صحيح البخاري _ كتاب الصلح ٣ : ١٦٨. صحيح مسلم _ كتاب الجهاد : ٣ : ١٤١٠.

4- الصناعتين : ٤٣١. إيضاح الوقف والابتداء : ٢٣١.

بآلهتنا، و أنفقوا نهارهم علي غسلها بالماء(1). و قد شاركه النبيّ صلّي اللّه عليه و آله في تحطيم بعض الأصنام، فقد تحدّث الإمام عن ذلك قائلا:

«انطلقت أنا و النّبيّ صلّي اللّه عليه و آله حتّي أتينا الكعبة فقال لي رسول اللّه: اجلس، و صعد علي منكبيّ فذهبت لأنهض به فرأي منّي ضعفا، فجلس و ارتقيت علي منكبه فنهض بي و يخيّل لي أن لو شئت لنلت افق السّماء حتّي صعدت علي البيت و عليه تمثال صفر فجعلت ازاوله عن يمينه و عن شماله و من بين يديه حتّي تمكّنت منه، فقال لي رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله: اقذف به، فقذفت به فتكسّر كما تتكسّر القوارير، ثمّ نزلت، فانطلقت أنا و رسول اللّه نستبق حتّي توارينا خشية أن يلقانا أحد من النّاس»(2).

و من بين الأصنام التي حطّمها الإمام ما يلي:

1 - مناة: أقامت العرب صنم مناة و كانت تعظّمه و تعزّه، فانبري إليه الإمام فهدّمه(3).

2 - صنم طيّ: كان لطيّ بجبلي طي فمضي إليه الإمام فحطّمه و أزاله و وجد في مكانه سيفين: اسم أحدهما الرسوب، و اسم الآخر المخذم فحملهما الإمام إلي النبيّ صلّي اللّه عليه و آله فوهبهما له(4).

3 - أصنام مكّة: و لمّا فتح اللّه تعالي لعبده و رسوله محمّد صلّي اللّه عليه و آله الفتح المبين و احتلّ مكّة، و كان قد علّق علي الكعبة المقدّسة ثلاثمائة صنم أو يزيد عليها اتّخذتها القبائل آلهة يعبدونها من دون اللّه تعالي، كان منها نائلة و أساف و مناف و ذو

1- جواهر المطالب ١ : ٢٦٧.

2- صفة الصفوة ١ : ١٦٣. مسند أحمد ١ : ٨٤.

3- خزانة الأدب ٧ : ٢٢٤.

4- الروض المعطار : ٤٦٧. المفصّل في تأريخ العرب قبل الإسلام ٤ : ٤٥٤.

الخلصة و ذو الكني و ذو الشري و الأقيصر و نهم و سمير و غيرها(1)، و كان زعيم تلك الأصنام (هبل) و هو إله أبي سفيان أبو معاوية و جدّ يزيد، و كان من نحاس، و قد اوتد بأوتاد من حديد، فصعد الإمام علي منكبي رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله فعالجه حتي تمكّن من قلعه و رمي به إلي الأرض و النبيّ صلّي اللّه عليه و آله يتلو قوله تعالي:

قُلْ جاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً(2).

ثمّ قذف الإمام ببقيّة الأصنام و بذلك تطهّر البيت الحرام من أصنام قريش و أوثانها، فقد حطّمها بطل الإسلام و قائد المسيرة الإسلامية نحو التحرّر، و قد تفتّحت آفاق الفكر العربي و انتبه الناس إلي ضلالها. يقول زيد بن نوفل:

تركت اللاّت و العزّي جميعا كذلك يفعل الجلد الصّبور

فلا العزّي ادين و لا ابنتيها و لا صنمي بني غنم أزور

و لا هبلا أزور و كان ربّا لنا في الدّهر إذ حلمي صغير(3)

نقش خاتم الإمام:

و لشدّة تعلّق الإمام عليه السّلام باللّه تعالي فقد كتب علي خاتمه «اللّه الملك»(4).

اجتنابه للخضاب:

و لم يخضب الإمام عليه السّلام كريمته الشريفة لقول النبيّ صلّي اللّه عليه و آله له: «إنّها تخضّب من دم رأسه»(5)، لقد آثر الخضاب بدم رأسه الشريف في سبيل اللّه تعالي.

1- مستدرك الحاكم ٢ : ٣٦٦.

2- مستدرك الحاكم ٢ : ٣٦٦ ، الإسراء : ٨١.

3- القاموس الإسلامي ٤ : ٣٤٧.

4- جواهر المطالب : ٢٩٥.

5- وسائل الشيعة ١ : ٤٩٩.

دار سكناه:

و لمّا كان الإمام عليه السّلام في مكّة، كان مقيما مع أبيه أبي طالب في بيته، و محلّه معروف في الأوساط المكّية، و لمّا هاجر الإمام إلي يثرب بني له النبيّ صلّي اللّه عليه و آله بيتا مجاورا للجامع النبوي الشريف و فتح له بابا عليه، و لمّا أمر النبيّ بإغلاق الأبواب المتّصلة بالجامع استثني منها باب بيت الإمام تكريما و تعظيما له، و لمّا انتقل الإمام إلي الكوفة و اتّخذها عاصمة له لم يسكن في قصر الإمارة الذي بني مقرّا لرئيس الدولة أيام عمر، فقد امتنع من سكناه و قال: «قصر الخبالي لا أسكن فيه»، و جلس في بيت ابن اخته، ثمّ رحل عنه، و بني له بيتا من الطين في الكوفة، و أحاطه بغرف من القصب... و بهذا العرض ينتهي بنا الحديث عن نشأته، و سنذكر المزيد من شئونه في البحوث الآتية.

عناصره النّفسيّة

اشارة

ص:93

ما من صفة كريمة أو نزعة شريفة يمتاز بها الإنسان و يسمو بها علي غيره من الكائنات الحيّة إلاّ و هي من ذاتيات الإمام أمير المؤمنين، و من عناصره الفذّة التي لا يضارعه فيها أحد سوي أخيه و ابن عمّه الرسول محمّد صلّي اللّه عليه و آله.

لقد كان هذا الإمام الملهم العظيم بمكوّناته النفسية و الفكرية دنيا من الكمال و الفضائل التي لا حدّ لأبعادها... إنّه هبة اللّه تعالي لهذه الامّة مرشدا و هاديا بعد أخيه الرسول الأعظم صلّي اللّه عليه و آله، فقد وهبه اللّه تعالي من الامتيازات و الخصائص، و فضّله علي كثير من خلقه تفضيلا، و ليس في ذلك أيّ غلوّ، فإنّ كلّ من يقرأ سيرته و يلمّ ببعض أحواله و شئونه يؤمن بما ذكرناه.

و علي أيّ حال فإنّا نلمح - بإيجاز - بعض خصائصه و مكوّناته النفسية و هي:

إيمانه الوثيق باللّه:

و الظاهرة الفذّة التي تميّز بها الإمام عليه السّلام أنّه كان من أعظم المسلمين إيمانا باللّه تعالي، و من أكثرهم معرفة به، و هو القائل:

«لو كشف الغطاء لي ما ازددت يقينا...».

و معني ذلك أنّه لو تجلّي له اللّه تعالي بعظمته و رآه لما زاده ذلك يقينا بمعرفته و الإيمان به، و قد ناجي اللّه تعالي بإيمان قائلا:

«إلهي ما عبدتك خوفا من عقابك، و لا طمعا في ثوابك، و لكن وجدتك أهلا

للعبادة فعبدتك»(1).

إنّ هـذا هو منتهي الإيمان، فقـد كانت عبادته للّه تعالي عبادة المنيبين و العارفين لا عبادة تقليديـة، و قـد اثرت عنه من الخطب و الكلمات القصار في توحيد اللّه تعالي و تعظيمه و تنزيهه عن الشريك و غيره ما لم يؤثر عن غيره من ملوك المسلمين و زهّادهم و علمائهم... إنّه داعية اللّه تعالي الأكبر بعد أخيه و ابن عمّه الرسول صلّي اللّه عليه و آله، فقد وهب حياته للّه تعالي، و جاهد في سبيله كأعظم ما يكون الجهاد، و كانت جميع أعماله خالصـة لوجه اللّه تعالي لا يشوبها أيّـة شائبة من أغراض الدنيا و متعها التي يؤول أمرها إلي التراب، و حدّثنا المؤرّخون عنه حينما صـرع عمرو بن عبد ودّ العامري فارس العرب، فإنّه لم يجهز عليه لأنّه قد سـبّه و أغلظ في شـتمه، فغضب من ذلك، و لمّا سـكن غضبه أجهز عليه، و قد سئل عن السبب في تأخيره لقتله، فأجاب:

«إنّي ما أحببت قتله انتقاما لسبّه لي فيفوت منّي الأجر و الثّواب، فلمّا سكن غضبي أجهزت عليه في سبيل اللّه تعالي». و هكذا كانت جميع أعماله و صـنوف جهاده خالصـة لوجه اللّه تعالي، لـم يبتغ فيها إلاّ رضا اللّه تعالي، و قد ولج في أعنف الحروب و أشدّها محنة و أقساها بلاء دفاعا عن دين اللّه و نصرة لنبيّ اللّه.

إنابته للّه تعالي:

كان الإمام عليه السّلام من أعظم المنيبين للّه تعالي، و من أكثرهم خوفا منه، و قد حدّث أبو الدرداء عن شدّة إنابته للّه تعالي قال:

شهـدت عليّ بن أبي طـالب بشويحطات النجّار و قـد اعتزل عن مواليه و اختفي ممّن يليه و اسـتتر بمغيلات النخل، فافتقـدته، و بعـد عليّ مكانه، فقلت: لحق

1- بحار الأنوار ٤١ : ١٤.

بمنزله، فإذا أنا بصوت حزين و نغمة شجيّة، و هو يقول:

«إلهي كم من موبقة حلمت عن مقابلتها بنقمتك، و كم من جريرة تكرّمت عن كشفها بكرمك، إلهي إن طال في عصيانك عمري، و عظم في الصّحف ذنبي، فما أنا بمؤمّل غير غفرانك، و لا أنا براج غير رضوانك...».

و ذهل أبو الدرداء، و هام في تيارات من خشية اللّه، و راح يفتّش عن صاحب هذا الصوت، و لم يلبث حتي عرفه، و إذا به إمام المتّقين عليّ بن أبي طالب، فاستتر أبو الدرداء ليسمع بقيّة مناجاة الإمام، و راح الإمام يصلّي، فلمّا فرغ من صلاته توجّه بقلب منيب إلي الدعاء و البكاء من خشية اللّه تعالي، و كان ممّا ناجي به اللّه تعالي قوله:

«إلهي افكّر في عفوك فتهون عليّ خطيئتي، ثمّ أذكر العظيم من أخذك فتعظم عليّ بليّتي...».

ثمّ قال: «آه إن أنا قرأت في الصّحف سيّئة أنا ناسيها و أنت محصيها، فتقول:

خذوه، فيا له من مأخوذ لا تنجيه عشيرته، و لا تنفعه قبيلته! يرحمه الملأ إذا اذن فيه بالنّداء... آه من نار تنضج الأكباد و الكلي، آه من نار نزّاعة للشّوي! آه من غمرة من ملهبات لظي...».

يقول أبو الدرداء: ثمّ انفجر الإمام عليه السّلام باكيا و خمد صوته، فسارعت إليه فوجدته كالخشبة الملقاة فحرّكته فلم يتحرّك، فقلت: إنّا للّه و إنّا إليه راجعون، مات و اللّه عليّ بن أبي طالب، فبادرت مسرعا إلي بيته أنعاه إلي أهله، فقالت زهراء الرسول سلام اللّه عليها:

«يا أبا الدّرداء، ما كان من شأنه؟...».

فأخبرتها بما رأيته، فقالت سيّدة النساء:

«هي و اللّه يا أبا الدرداء الغشية التي تأخذه من خشية اللّه...».

ثمّ أتوه بماء فنضحوه علي وجهه فأفاق، و نظر إليّ و أنا أبكي فقال لي:

«ممّ بكاؤك يا أبا الدّرداء؟».

- ممّا أراه تنزله بنفسك.

فأجابه الإمام و هو غارق بالخشية من اللّه قائلا:

«يا أبا الـدّرداء، كيف لو رأيتني و قد دعي بي إلي الحساب، و أيقن أهل الجرائم بالعذاب، و احتوشـتني ملائكة غلاظ، و زبانية فظاظ، فوقفت بين يدي الملك الجبّار، قد أسلمني الأحياء، و رحمني أهل الدّنيا، لكنت أشدّ رحمة لي بين يدي من لا تخفي عليه خافية...».

و بهر أبو الـدرداء ممّا رآه من إنابـة الإمام و خشـيته من اللّه تعالي و راح يقول: و اللّه ما رأيت ذلك لأحد من أصـحاب رسول اللّه صـلّي اللّه عليه و آله(1).

أ رأيتم هذا الإيمان الذي يمثّل التقوي و الخشية من اللّه تعالي؟ لقد كان هذا الإمام العظيم في جميع فترات حياته قد تعلّق قلبه و فكره باللّه تعالي، و سعي لكلّ ما يقرّبه إليه زلفي. و ممّا قاله ضرار لمعاوية في وصفه للإمام:

و لو رأيته في محرابه، و قد أرخي الليل سدوله و غارت نجومه و هو قابض علي لحيته يتململ تململ السليم(2) و يبكي بكاء الحزين، و هو يقول: «يا دنيا، إليّ تعرّضت أم إليّ تشوّقت؟ هيهات هيهات، لا حاجة لي فيك، أبنتك ثلاثا(3) لا رجعة

1- أمالي الصدوق ٤٨ _ ٤٩. بحار الأنوار ٤١ : ١١ _ ١٢.

2- السليم : من لدغته الحيّة.

3- باينتك : أي طلّقتك طلاقا بائنا.

لي عليك». ثمّ يقول: «آه آه لبعد السّفر، و قلّة الزّاد، و خشونة الطّريق» و تأثّر معاوية و قال: حسبك يا ضرار، كذلك و اللّه كان عليّ (1).

و روي نوف شدّة خشيته من اللّه تعالي، قال: بتّ ليلة عند أمير المؤمنين عليه السّلام فكان يصلّي الليل كلّه، و يخرج ساعة بعد ساعة، فينظر إلي السماء، و يتلو القرآن، قال: فمرّ بي بعد هدء من الليل فقال:

«يا نوف، أ راقد أنت أم رامق؟».

بل رامق أرمقك ببصري يا أمير المؤمنين.

فالتفت إليه الإمام و هو يقول بصوت خافت:

«يا نوف، طوبي للزّاهدين في الدّنيا، الرّاغبين في الآخرة، اولئك الّذين اتّخذوا الأرض بساطا، و ترابها فراشا، و ماءها طيبا، و القرآن دثارا، و الدّعاء شعارا، و قرضوا من الدّنيا تقريضا، علي منهاج عيسي بن مريم. إنّ اللّه عزّ و جلّ أوحي إلي عيسي بن مريم: قل للملإ من بني إسرائيل: لا يدخلوا بيتا من بيوتي إلاّ بقلوب طاهرة، و أبصار خاشعة، و أكفّ نقيّة، و قل لهم: اعلموا إنّي غير مستجيب لأحد منكم دعوة من خلقي في قلبه مظلمة...»(2).

إنّ هذه الإنابة تبهر العقول، إنّها إنابة العارفين باللّه تعالي الذين ملئت نفوسهم إيمانا و خشية و إخلاصا للّه تعالي، و لا شكّ في أنّ الإمام عليه السّلام هو إمام المتّقين و سيّد العارفين الذي غذّاه النبيّ صلّي اللّه عليه و آله بإيمانه و تقواه، فصار صورة صادقة عنه.

و قد روي المؤرّخون صورا مذهلة عن خشية الإمام و إنابته إلي اللّه تعالي، فقد

1- بحار الأنوار ٤١ : ١٥. أمالي الصدوق : ٣٧١.

2- بحار الأنوار ٤١ : ١٦. الخصال ١ : ١٦٤.

رووا أنّه حينما كان في أشدّ الأهوال و أعنفها في صفّين كان يقيم الصلاة في وسط المعركة و سهام الأعداء تأخذه يمينا و شمالا، و هو غير حافل بها لأنّ مشاعره و عواطفه قد تعلّقت باللّه تعالي(1). و كان الإمام زين العابدين و سيّد الساجدين عليّ ابن الحسين عليه السّلام إذا أخذ كتاب عليّ و نظر ما فيه من عبادته قال: من يطيق هذا، خصوصا في حال صلاته فإنّه يتغيّر لونه. و ما أطاق أحد أن يعمل مثل عبادته إلاّ عليّ بن الحسين عليه السّلام(2).

و قد روي أبو جعفر، قال: دخلت علي أبي عليّ بن الحسين فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد، قد اصفرّ لونه من السهر، و رمضت عيناه من البكاء، و دبرت جبهته، و انخرم أنفه من السجود، و ورمت ساقاه و قدماه من الصلاة، قال أبو جعفر: فلم أملك نفسي حين رأيته بتلك الحالة و هو يبكي فبكيت رحمة له، فالتفت إليّ فقال: أعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة عليّ بن أبي طالب فأعطيته فقرأ فيها شيئا يسيرا، ثمّ تركها من يده تضجّرا، و قال: من يقوي علي عبادة عليّ بن أبي طالب(3).

العصمة من الذنوب:

و ظاهرة اخري من نزعات الإمام عليه السّلام و ذاتياته العصمة من كلّ إثم و رجس، فلم يقترف - بإجماع المؤرّخين - أي ذنب أو خطيئة، و لم يشذّ عن سنّة رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله في هديه و سلوكه، و قد حاول ابن عوف بعد اغتيال عمر أن يقلّده الخلافة و شرط عليه أن يسير بسيرة الشيخين في حكومته فأبي و امتنع، و أصرّ علي متابعة الكتاب و السنّة، و لو كان من عشّاق الملك و هواة السلطان لأجاب إلي ذلك، و لمّا أصر عليه الخوارج أن يعلن التوبة لينضمّوا تحت لوائه فأبي لأنّهم هم الذين اقترفوا

1- وقعة صفّين : ١٣٣.

2- روضة الكافي : ١٩٥. الوسائل ١ : ٦٣.

3- الإرشاد : ٢٧١. بحار الأنوار ٣٧ : ١٧. وسائل الشيعة ١ : ٦٨.

الإثم و أرغموا الإمام علي قبول التحكيم، و لو كان يروم السلطة لأجابهم إلي ذلك.

و علي أي حال فقد صدرت منه مجموعة من الكلمات تدلّ - بوضوح - علي عصمته، كان منها ما يلي:

1 - قال عليه السّلام:

«و اللّه لو أعطيت الأقاليم السّبعة بما تحت أفلاكها، علي أن أعصي اللّه جلب شعيرة أسلبها من فم نملة ما فعلت».

و هذه هي العصمة التي تقول بها الشيعة، و تضفيها علي أئمّتهم.

2 - قال عليه السّلام:

«و اللّه لأن أبيت علي حسك السّعدان(1) مسهّدا، أو أجرّ في الأغلال مصفّدا، أحبّ إليّ من أن ألقي اللّه و رسوله يوم القيامة ظالما لبعض العباد، و غاصبا لشيء من الحطام»(2).

أ ليست هذه هي العصمة؟ أ ليست هذه هي الطهارة من الرجس و آثام الحياة؟ أ ليست هذه هي ملكة العدالة التي تبلغ بالإنسان إلي قمّة الإيمان و التقوي؟ 3 - قال عليه السّلام:

«و إنّما هي نفسي أروضها بالتّقوي لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر، و تثبت علي جوانب المزلق(3). و لو شئت لاهتديت الطّريق، إلي مصفّي هذا

1- الحسك : الشوك. السعدان : نبت له شوك ترعاه الإبل.

2- شرح نهج البلاغة _ ابن أبي الحديد ٣ : ٨٠.

3- المزلق : الصراط.

العسل، و لباب هـذا القمـح، و نسائـج هذا القزّ. و لكن هيهات أن يغلبني هواي، و يقودني جشـعي إلي تخيّر الأطعمة – و لعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص، و لا عهد له بالشّبع – أو أبيت مبطانا و حولي بطون غرثي و أكباد حرّي، أو أكون كما قال القائل:

و حسبك داء أن تبيت ببطنة و حولك أكباد تحنّ إلي القدّ

أ أقنع من نفسي بأن يقال: هذا أمير المؤمنين، و لا أشاركهم في مكاره الدّهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش!»(1).

أ ليس هذا هو نكران الذات الذي هو عين العصمة من كلّ إثم من مآثم الحياة.

4 – قال عليه السّلام:

«و اللّه لدنياكم هذه أهون في عيني من عراق خنزير في يد مجذوم».

فإذا كانت الدنيا عنده بهذه الحقارة و الضعة كيف يقترف الذنوب للظفر بملاذها و خيراتها.

5 – قال عليه السّلام:

«و إنّي لعلي بيّنة من ربّي، و منهاج من نبيّي، و إنّي لعلي الطّريق الواضح ألقطه لقطا».

لقد كان علي الطريق الواضح الذي لا التواء و لا منعطفات فيه، و هو عين العصمة التي من ذاتيات الإمام عليه السّلام.

6 – قال عليه السّلام:

«ما كذبت و لا كذّبت، و لا ضللت و لا ضلّ بي».

1- نهج البلاغة ۳ : ۳.

7 – قال عليه السّلام:

«إنّي لم أردّ علي اللّه و لا علي رسوله ساعة قطّ».

8 – قال عليه السّلام:

«فو الّذي لا إله إلاّ هو إنّي لعلي جادّة الحقّ، و إنّهم لعلي مزلّة الباطل».

و تجسّدت العصمة بجميع صورها و مفاهيمها في أقوال الإمام و سلوكه و نزعاته.

زهده:

اشارة

من ذاتيات إمام المتّقين، و من أبرز عناصره الزهد التامّ في الدنيا، و الرفض الكامل لجميع مباهجها و زينتها، لقد سيطر علي نفسه و عوّدها البؤس و الحرمان، و حمّلها من أمره رهقا، فلم يستجب لأي متعة من متع الحياة، و لم ينعم بأي نعمة من نعيمها، فكان أزهد الناس كما يقول عمر بن عبد العزيز(1).

و لمّا آلت إليه الخلافة و أشرقت الدنيا بحكومته التي هي امتداد لحكومة الرسول صلّي اللّه عليه و آله، طلّق الدنيا ثلاثا و عاش في أرباض يثرب و الكوفة عيشة البؤساء و الفقراء، فلم يبن له دارا، و لم يلبس من أطائب الثياب و إنّما كان يلبس لباس الفقراء، و يأكل أكلهم، و قد قيل له في ذلك فأجاب: «لئلا يتبيّغ بالفقير فقره!» و هكذا انصرف عن الدنيا، و لم يعد لملاذها و منافعها أي ظلّ عليه.

صور مذهلة من زهده:

اشارة

و ذكر المؤرّخون و الرواة صورا رائعة و مذهلة من زهد الإمام عليه السّلام كان منها ما يلي:

1- تاريخ دمشق ۳ : ۲۵۲. جواهر المطالب ۱ : ۲۷٦.

1 - لباسه:

و لم يعن الإمام عليه السّلام بلباسه، و إنّما كان يلبس أخشن الثياب، و هذه بعض البوادر التي حكيت عنه:

أ - روي عمر بن قيس قال: رئي عليّ و عليه إزار مرقوع فعوتب عليه، فقال:

«يقتدي به المؤمن، و يخشع له القلب»(1).

ب - روي أبو إسحاق السبيعي، قال: كنت علي عنق أبي و أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب يخطب، و هو يتروّح بكمّه، فقلت: يا أبه، أمير المؤمنين يجد الحرّ؟ فقال: لا يجد حرّا و لا بردا، و لكنّه غسل قميصه و هو رطب، و لا له غيره فهو يتروّح به»(2).

ج - روي أبو حيّان التميمي عن أبيه، قال: رأيت عليّا علي المنبر يقول:

«من يشتري منّي سيفي هذا؟ فلو كان عندي ثمن إزار ما بعته».

فقام إليه رجل فقال له: أنا اسلفك ثمن إزار... و علّق علي ذلك عبد الرزاق فقال: لقد فعل الإمام ذلك و كانت الدنيا إذ ذاك بيده إلاّ الشّام(3)

د - روي عليّ بن الأقمر قال: رأيت عليّا و هو يبيع سيفا له في السوق و يقول:

«من يشتري منّي هذا السّيف، فو الّذي فلق الحبّة لطالما كشفت به الكرب عن وجه رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله، و لو كان عندي ثمن إزار ما بعته»(4).

1- صفة الصفوة ١ : ١٦٨. المناقب ١ : ٣٦٦ ، وفيه زيادة : « وتذلّ به النفس ».

2- الغارات ١ : ٩٩.

3- الاستيعاب (المطبوع علي هامش الإصابة) ٢ : ٤٩. جواهر المطالب : ٢٨٤.

4- صفة الصفوة ١ : ١٦٨.

ه – ذكر الرواة: أنّه لم يكن للإمام إلاّ قميص واحد لا يجد غيره في وقت الغسل(1).

و – أتي الإمام عليه السّلام سوق البزّازين ليشتري ثوبا له فوقف علي تاجر فعرفه، فأراد مسامحته ليتقرّب إليه، فانصرف عنه و لم يشتر منه، و وقف علي غلام لم يعرفه فاشتري منه ثوبين أحدهما بثلاثة دراهم، و الآخر بدرهمين، فقال لقنبر:

«خذ الّذي بثلاثة دراهم».

فقال له قنبر: أنت أولي به، إنّك تصعد المنبر و تخطب الناس، فردّ عليه الإمام و قال له:

«أنت شابّ، و لك شرخ الشّباب، و أنا أستحي من ربّي أن أتفضّل عليك»(2).

ز – اشتري الإمام عليه السّلام قميصا بثلاثة دراهم، و قال: «الحمد للّه هذا من رياشه»، أي من ستره(3).

ح – روي هارون بن عنترة قال: دخلت علي عليّ في الخورنق، و هو يرعد من البرد، و عليه سمل قطيفة، فقلت:

يا أمير المؤمنين، إنّ اللّه قد جعل لك و لأهل بيتك نصيبا في هذا المال، و أنت تصنع بنفسك ما تصنع؟ فقال:

«و اللّه! ما أرزؤكم شيئا من مالكم، و إنّها لقطيفتي الّتي خرجت بها من منزلي بالمدينة»(4).

1- المناقب ۱ : ۳٦٦.

2- الغارات ۱ : ۱۰٦.

3- أمالي المرتضي ۱ : ۳۵۳. النجوم الزاهرة ۱ : ۳۵۳.

4- حلية الأولياء ۳ : ۲۳٦.

ط – اشتري الإمام عليه السّلام ثوبا فأعجبه فكره أن يلبسه، و بادر فتصدّق به(1).

ي – خطب الإمام عليه السّلام علي أهل الكوفة، فقال لهم: «دخلت بلادكم بإسمالي هذه و راحلتي هذه، فإذا خرجت من بلادكم بغير ما دخلت فإنّي من الخائنين» (2)! ك – ذكر الرواة أنّ الإمام في أيام خلافته لم يكن عنده قيمة ثلاثة دراهم ليشتري بها إزارا أو ما يحتاج إليه، ثمّ يدخل بيت المال فيقسّم كلّ ما فيه علي الناس، ثمّ يصلّي فيه، و يقول: «الحمد للّه الّذي أخرجني منه كما دخلته»(3).

هـذه بعض البوادر من زهـده في لباسه، و قد توفّي و ليس عنده من الثياب غير الثوب الذي عليه... و من الجدير بالذكر أن نلقي نظرة علي ما تركه ملوك بني العباس، فقد توفّي هارون الرشـيد و خلّف أربعة آلاف عمامة مطرّزة ما عدا الثياب التي خلّفها، فضلا عن الأموال التي خلّفها في خزائنه، و هكذا غيره من ملوك الأمويّين و العبّاسيّين، الّذين لا يمثّلون إلاّ جانب الترف و النهب لأموال المسلمين، و من المؤكّد أنّهم لا علاقة لهم بالسياسة الاقتصادية التي تبنّاها الإسلام.

2 – طعامه:

و امتنع الإمام عليه السّلام من تناول ألوان الأطعمـة، و اقتصـر علي ما يسدّ الرمق من الأطعمة البسـيطة كالخبز و الملح، و ربّما تعدّاه إلي اللبن أو الخلّ، و كان في أيام رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله يربط الحجر علي بطنه من الجوع(4)، و كان قليل التناول للحم، و قد قال: «لا تجعلوا بطونكم مقابر للحيوانات»، و يقول ابن أبي الحديد: إنّه ما شبع

1– المناقب ١ : ٣٦٦.

2– المصدر السابق : ٣٦٧.

3– المصدر السابق : ٣٦٤.

4– مسند أحمد ٢ : ٣٥١ ، رقم الحديث ١٣٦٧.

من طعام قطّ، و قد اتي له بفالوذج(1)، فلمّا وضع بين يديه، قال: «إنّه طيّب الرّيح، حسن اللّون، طيّب الطّعم، و لكن أكره أن أعوّد نفسي ما لم تعتد»(2). و قد روي الإمام أبو جعفر عليه السّلام قال: «أكل عليّ من تمر دقل(3) ثمّ شرب عليه الماء، و ضرب يده علي بطنه و قال: من أدخله بطنه النار فأبعده اللّه»، ثمّ تمثّل:

«فإنّك مهما تعط بطنك سؤله و فرجك نالا منتهي الذّمّ أجمعا»(4)

و روي عبد الملك بن عمير قال: حدّثني رجل من ثقيف أنّ عليّا عليه السّلام استعمله علي عكبرا، قال: و لم يكن السواد يسكنه المصلّون، و قال لي: «إذا كان عند الظّهر فرح إليّ»، فرحت إليه فلم أجد عنده حاجبا يحبسني عنه دونه، فوجدته جالسا و عنده قدح و كوز من ماء فدعا بظبية(5) فقلت في نفسي: لقد أمنني حتي يخرج إليّ جواهرا - و لا أدري ما فيها - فإذا عليها خاتم فكسر الخاتم فإذا فيها سويق، فأخرج منها فصبّ في القدح فصبّ عليه ماء فشرب و سقاني، فلم أصبر فقلت:

يا أمير المؤمنين، أتصنع هذا بالعراق، و طعام العراق أكثر من ذلك؟ قال: «أما و اللّه! ما أختم عليه بخلا، و لكنّي ابتاع قدر ما يكفيني فأخاف أن يفني فيصنع من غيره، و إنّما حفظي لذلك، و أكره أن ادخل بطني إلاّ طيّبا»(6).

و هكذا كان رائد العدالة الإسلامية متحرّجا في طعامه كأشدّ ما يكون التحرّج، و قد تحدّث الإمام عليه السّلام عن زهده و إعراضه عن الدنيا بقوله:

1- الفالوذج : حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل ، والكلمة فارسية.

2- حلية الأولياء ١ : ٨١. كنز العمّال ١٥ : ١٦٤.

3- الدقل : أردأ التمر.

4- كنز العمّال ٢ : ٢٦١.

5- الظبية : جراب صغير.

6- حلية الأولياء ١ : ٨٢. الرياض النضرة ٢ : ٢٣٥.

«فو اللّه ما كنزت من دنياكم تبرا، و لا ادّخرت من غنائمها وفرا، و لا أعددت لبالي ثوبي طمرا، و لا حزت من أرضـها شبرا، و لا أخذت منه إلاّ كقوت أتان دبرة».

و من المؤكّد أنّ الإمام عليه السّلام لم ينل من أطائب الطعام حتي وافاه الأجل المحتوم، فقد أفطر في آخر يوم من حياته في شـهر رمضان علي خبز و جريش ملـح، و أمر برفع اللبن الـذي قدّمته له بنته الزكية أمّ كلثوم(1)، و هو في نفس الوقت كان يدعو اليتامي فيطعمهم العسـل حتي قال بعض أصحابه: وددت أنّي كنت يتيما(2)، و روي عبد اللّه بن رزين قال: دخلت علي عليّ بن أبي طالب يوم الأضـحي فقرّب إلينا حريرة فقلت: أصلحك اللّه، لو قرّبت إلينا من هذا البطّ - يعني الوزّ - فإنّ اللّه عزّ و جلّ قد أكثر الخير، فقال:

«يا ابن رزين، إنّي سمعت رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله يقول: لا يحلّ للخليفة من مال اللّه إلاّ قصعتان، قصعة يأكلها هو و أهله، و قصعة يضعها بين يدي النّاس»(3). و قد سار علي هذا المنهج المشـرق لأنّه إمام المسلمين و له خطته الخاصّة في الزهد، لا يشاركه فيها أحد من أبناء الشعب، و من أمثلة ذلك أنّه شكا إليه الربيع بن زياد الحارثي أخاه قائلا: اعدني علي أخي عاصم.

«ما باله؟».

لبس العباءة يريـد النسك... فأمر الإمام بإحضاره، فلمّا مثل بين يـديه رآه الإمام مؤتزرا بعباءة مرتديا باخري، شـعث الرأس و اللحية، فعبس الإمام بوجهه و قال له بعنف:

«أ ما استحييت من أهلك؟ أ ما رحمت ولدك؟ أ تري أنّ اللّه أباح لك الطّيّبات،

1- منتهي الآمال ١ : ٣٣٤.

2- بحار الأنوار ٤١ : ٢٩.

3- مسند أحمد بن حنبل ١ : ٧٨.

و هو يكره أن تنال منها شيئا، بل أنت أهون علي اللّه، أ ما سمعت اللّه يقول في كتابه:

وَ الْأَرْضَ وَضَعَها لِلْأَنامِ. فِيها فاكِهَةٌ وَ النَّخْلُ ذاتُ الْأَكْمامِ. وَ الْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَ الرَّيْحانُ. فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ. خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ كَالْفَخّارِ. وَ خَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ. فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ. رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَ رَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ.

فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ. مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ. بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ. فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ. يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجانُ (1) أ فتري أنّ اللّه أباح هذه لعباده إلاّ ليبتذلوه، و يحمدوا اللّه تعالي عليه فيثيبهم، و إنّ ابتذالك نعم اللّه بالفعل خير منه بالمقال...».

و بادر عاصم قائلا: فما بالك في خشونة مأكلك، و خشونة ملبسك، فإنّما تزيّنت بزينتك؟ فردّ عليه الإمام قائلا:

«ويحك إنّ اللّه فرض علي أئمّة الحقّ أن يقدّروا أنفسهم بضعفة النّاس»(2).

لقد زهد الإمام عليه السّلام في الدنيا في جميع فترات حياته خصوصا لمّا تولّي السلطة العامّة للمسلمين، فقد تجرّد تجرّدا تامّا من جميع رغباتها، و من أمثلة زهده ما رواه صالح بن الأسود قال: رأيت عليّا قد ركب حمارا و أدلي رجليه إلي موضع واحد، و هو يقول: «أنا الّذي أهنت الدّنيا»(3)، أجل و اللّه يا رائد العدل لقد أهنت الدنيا، و احتقرت جميع مباهجها و زينتها، فقد أتتك الدنيا و تقلّدت أسمي مركز فيها، فلم تحفل بها، و لم تعر لسلطتها أي بال، فسلام اللّه عليك يا إمام المتّقين.

بطولته النادرة:

من مظاهر شخصيّة الإمام عليه السّلام بطولته النادرة التي استوعبت - بفخر و شرف -

---

1- الرحمن : ١٠ _ ٢٢.

2- ربيع الأبرار ٤ : ٨٥ _ ٨٦.

3- تاريخ دمشق ٣ : ٢٣٦. جواهر المطالب : ٢٧٦.

جميع لغات الأرض، و صارت مضـرب الأمثال و انشودة الأبطال في كلّ زمان و مكان، فهو بطل الإسـلام دون منازع، لا يعرف المسلمون سيفا كسـيف عليّ في إطاحته لرؤوس المشـركين و أعلام الملحدين، و هو الذي أذلّ طغاة القرشـيّين، و سحق كبرياءهم، و دمّر غلواءهم، و مواقفه المشـرّفة في واقعة بدر و احد و الأحزاب و غيرها تدلّل - بوضوح - علي أنّ الإسلام قام بجهوده و جهاده، و لو لا مواقفه الحاسمة لما أبقت القوي القرشية الضالّة أثرا للإسلام.

و علي أي حال لقد كان الإمام حتف المشـركين، و عدوّهم الألدّ بعد الرسول صـلّي اللّه عليه و آله، و لو لا جهاده و قوّة بأسه و صلابة موقفه لمـا قـام الإسـلام علي سوقه عبل الـذراع، و لقضت عليه قريش في أوّل بزوغ نوره، و قـد شاعت في جميع الأوساط شـجاعته، و راح الناس يتحدّثون عنها بإعجاب، و قد قيل للنبيّ صـلّي اللّه عليه و آله إنّ أفرس الناس عمرو بن معدي كرب، فردّ عليهم النبيّ صـلّي اللّه عليه و آله: «إنّ أفرس النّاس عليّ بن أبي طالب»(1).

و قد شبّه السيّد الحميري بطولة الإمام و شجاعته بالريح العاتية التي أخذت قوم عاد بقوله:

إذا أتي معشرا يوما أنامهم إنامة الرّيح في تدميرها عادا(2)

يقول ابن أبي الحديد: و أمّا الشجاعة فإنّه أنسي الناس فيها ذكر من كان قبله، و محا اسم من يأتي بعده، و مقاماته في الحرب مشهورة تضرب بها الأمثال إلي يوم القيامة. و هو الشجاع الذي ما فرّ قطّ، و لا ارتاع من كتيبة، و لا بارز أحدا إلاّ قتله، و لا ضرب ضربة قطّ فاحتاجت الاولي إلي الثانية.

1- رسائل الجاحظ ٢ : ٢٢٢.

2- أعيان الشيعة ٢ : ١٣٦.

و في الحديث: «كانت ضرباته وترا»(1). و لمّا دعا معاوية إلي المبارزة ليستريح الناس من الحرب بقتل أحدهما، قال له عمرو: لقد أنصفك، فقال معاوية: ما غششتني منذ صحبتني إلاّ اليوم، أ تأمرني بمبارزة أبي الحسن و أنت تعلم أنّه الشجاع المطرق، أراك طمعت في امارة الشام بعدي.. و كانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته، فأمّا قتلاه فافتخار رهطهم بأنّه عليه السّلام قتلهم أظهر و أكثر.

قالت اخت عمرو بن عبد ودّ ترثيه:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله بكيته ما أقام الرّوح في جسدي

لكنّ قاتله من لا نظير له و كان يدعي أبوه بيضة البلد(2)

و جملة الأمر أنّه احتلّ الصدارة في شجعان العالم، و أنّ شجاعته النادرة كانت في نصرة الإسلام، و نصرة المظلومين، و المعذّبين في الأرض.

و من مظاهر شجاعته أنّه كان يخرج في أيام صفّين وحده بغير حماية فقيل له:

تقتل أهل الشام بالغداة و تظهر بالعشي في إزار و رداء؟ فقال عليه السّلام: «بالموت تخوّفوني؟ فو اللّه ما ابالي سقطت علي الموت أم سقط عليّ!»(3) إنّه كان علي بيّنة من دينه، فقد سخر من الموت و هزأ بالحياة؛ لأنّه عاش مجاهدا طيلة حياته.

قوّته الهائلة:

وهب اللّه تعالي للإمام عليه السّلام قوّة هائلة، و قوّة نفسية مذهلة، استطاع بهما أن

1- وفي المثل المعروف أنّ ضربة عليّ تفرد المثني وتثنّي المفرد ، قال الشعبي : عليّ أشجع الناس تقرّ له بذلك العرب ، جاء ذلك في نور القبس المختصر من المقتبس للميرزباني : ٢٤٥.

2- شرح نهج البلاغة _ ابن أبي الحديد ١ : ٢٠.

3- العقد الفريد ١ : ١٠٢.

يلحق العار و الهزيمة بالقرشـيّين، و يهزم اليهود الذين كانوا يمدّون القرشيّين بالمال و السلاح لإخماد نور الإسلام، و من قوّته أنّه إذا أمسك بـذراع رجـل كأنّما أمسك نفسه، و لم يسـتطع أن يتنفّس(1)، و كـان في صـباه يصـارع كبار اخوته و صـغارهم و كبار بني عمّه و صـغارهم فيصـرعهم، و كان أبوه يقول: ظهر عليّ فسـمّاه ظهيرا، فلمّا ترعرع كان يصارع الرجل الشديد فيصـرعه و يعلو بالجبار بيده و يجذبه و يقتله، و ربّمـا قبض علي مراق بطنه و رفعه في الهواء، و ربّمـا يلحق الحصـان الجـاري فيصـدمه و يردّه علي عقبيه(2)، و هو الـذي قلع باب خيبر و جعلهـا جسـرا علي الخنـدق فعبر عليهـا الجيش الإسـلامي، ثمّ رماها مسافـة أذهلت العسـكر و صارت احدوثـة الناس في جميع مراحل تاريخهم، و هي من الأسباب التي دعت أن يذهب فريق من محبّي الإمام عليه السّلام إلي القول بإلهيّته.

حلمه:

اشارة

كان الإمام عليه السّلام من أحلم الناس، و من أكثرهم كظما لغيظه، فلم يثأر من أي أحد اعتدي عليه أو أساءه، و إنّما كان يقابلهم بالصفح و الإحسان كشأن أخيه و ابن عمّه الرسول صـلّي اللّه عليه و آله، الـذي قابل المعتدين عليه بالصـفح، و قد قال لأهل مكّة و هم من ألدّ أعدائه، الذين ما تركوا لونا من ألوان الاعتداء إلاّ صبّوه عليه: «اذهبوا فقد عفوت عنكم فأنتم الطّلقاء»، علي هذا المنهج سار وصيّه و باب مدينة علمه، فقابل أعداءه و خصومه بالصفح و الإحسان الجميل.

بوادر من حلمه:

و هذه لمحات من بوادر حلمه تنمّ عن نفسه العظيمة التي خلقها اللّه لتكون

1- بحار الأنوار ٤١ : ٢٧٦.

2- بحار الأنوار ٤١ : ٢٧٥. مناقب آل أبي طالب ١ : ٤٣٩.

مشكاة نور لعباده تهديهم للتي هي أقوم، و هي كما يلي:

1 – دعا الإمام عليه السّلام غلاما له فلم يجبه، ثمّ دعاه مرّة ثانية و ثالثة فلم يجبه، فقام إليه و قال له:

«ما حملك علي ترك إجابتي؟».

فردّ عليه الغلام:

– كسلت عن إجابتك، و أمنت عقوبتك..

و امتلأ قلب الإمام سرورا، و قال عليه السّلام: «الحمد للّه الّذي جعلني ممّن يأمنه خلقه، امض فأنت حرّ لوجه اللّه تعالي»(1).

2 – قصده أبو هريرة، و كان معروفا بانحرافه عنه، و متجاهرا ببغضه، فسأله حاجة فقضاها له، فعاتبه بعض أصحابه علي ذلك فقال عليه السّلام:

«إنّي لأستحي أن يغلب جهله حلمي، و ذنبه عفوي، و مسألته جودي»(2).

3 – كان ابن الكوّاء الخارجي، و هو من الممسوخين يجاهر بشتم الإمام و يعلن سبّه أمامه، فلم يقابله بالمثل، و لا تعرّض لنقمته، و قد تلا عليه الآية أمام الناس:

وَ لَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَ إِلَي الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ(3)، و أعاد عليه الآية، فأجابه الإمام فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ وَ لا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ(4)، و لم يتّخذ معه الإجراءات الصارمة فيوعز إلي الشرطة باعتقاله و تأديبه.

1– المناقب ١ : ٣٨٠. أمالي المرتضي ١ : ٥٢٥.

2– المناقب ٦ : ٣٨٠.

3– الزمر : ٦٥.

4– الروم : ٦٠.

4 – و كان من عظيم حلمه أنّه ظفر بعائشة بعد فشلها في حرب الجمل، و هي من ألدّ أعدائه، و معها مروان بن الحكم، و عبد اللّه بن الزبير، و غيرهما من الحاقدين عليه، الذين أشعلوا نار الحرب، و أعلنوا التمرّد و العصيان المسلّح علي حكومته، فعفا عنهم جميعا، و سرّح عائشة سراحا جميلا، و جهّزها جهازا حسنا.

و هكذا كانت سيرته الصفح و الإحسان ليقلع نزعات الحقد و الشرّ من نفوسهم.

يقول ابن أبي الحديد عن حلم الإمام:

و أمّا الحلم و الصفح فكان أحلم الناس عن مذنب، و أصفحهم عن مسيء، و قد ظهر حجّة ما قلناه يوم الجمل حيث ظفر بمروان بن الحكم و كان من أعدي الناس، و أشدّهم بغضا له، فصفح عنه.

و كان عبد اللّه بن الزبير يشتمه علي رءوس الأشهاد، و خطب يوم البصرة فقال: قد أتاكم الوغد اللئيم عليّ بن أبي طالب، و كان عليّ يقول:

«ما زال الزّبير رجلا منّا أهل البيت حتّي شبّ عبد اللّه»، فلمّا ظفر به يوم الجمل صفح عنه، و قال له: «اذهب فلا أريتّك» و لم يزد علي ذلك.

و ظفر بسعيد بن العاص بعد وقعة الجمل بمكّة، و كان له عدوّا فأعرض عنه، و لم يقل له شيئا(1).

و من عظيم حلمه و صفحه أنّ معاوية لمّا زحف لحرب الإمام و استولي علي الماء اعتبر ذلك أوّل الظفر، فلمّا جاء الإمام مع جيشه وجد حوض الفرات قد احتلّته جيوش معاوية، فطلب منهم أن يسمحوا لجيشه بالتزوّد من الماء، فقالوا له:

لا و اللّه و لا قطرة حتي تموت ظمأ كما مات ابن عفّان، فلمّا رأي ذلك أمر جيشه باحتلال الفرات، فاحتلّته قوّاته و ملكوا الماء، و سار أصحاب معاوية في البيداء

1- شرح نهج البلاغة _ ابن أبي الحديد ١ : ٢٣.

لا ماء لهم، فقال أصحاب الإمام له: امنعهم الماء يا أمير المؤمنين كما منعوك، و لا تسقهم منه قطرة واحدة، و اقتلهم بسيوف العطش، و خذهم قبضا بالأيدي، فلا حاجة لك في الحرب، فقال:

«لا و اللّه لا اكافئهم بمثل فعلهم، افسحوا لهم عن الشّريعة ففي حدّ السّيف ما يغني عن ذلك»(1).

6 - و من عظيم عفوه أنّه في يوم من أيام صفّين ظفر بأعدي أعدائه و هو عمرو ابن العاص العقل المدبّر في حكومة معاوية، فلمّا رأي هذا الجبان الماكر أنّ الإمام قد أقبل عليه بسيفه أخرج عورته، فخجل الإمام و أشاح بوجهه عنه ترفّعا.

صبره:

من أبرز صفات الإمام عليه السّلام الخلود إلي الصبر، و عدم الجزع علي ما ألمّ به من محن الدنيا، و كوارث الأيام، و كان من أشدّها هولا، و أعظمها محنة فقده لأخيه و ابن عمّه الذي عاش في ذري عطفه سيّد الكائنات الرسول الأعظم صلّي اللّه عليه و آله، لقد فقد بموته كلّ أمل له في الحياة، و طافت به الأزمات يتبع بعضها بعضا، و كان من أفجعها و أقساها و أشدّها بلاء هجوم القوم عليه في عقر داره، و إخراجه ملبّبا بحمائل سيفه ليبايع أبا بكر، و قوبل بمنتهي الصرامة و القسوة، و تنكّر القوم لمركزه الرفيع، و عظيم جهاده في الإسلام، و أنّه أخو نبيّهم، و أبو سبطيه، و باب مدينة علمه، فأقصوه عن مقامه، و استعملوا معه جميع ألوان الشدّة التي سنذكرها في فصول هذا الكتاب.

و من المحن الشاقّة التي عاناها الإمام فقده لسيّدة نساء العالمين زهراء

1- شرح نهج البلاغة _ ابن أبي الحديد ١ : ٢٤.

الرسول صـلّي اللّه عليه و آله، فلم تمض أيام معدودة حتي فجع بفقدها، و هي في فجر الصبا و روعة الشباب، و قد التاع و حزن علي فقدها كأشـدّ ما يكون الحزن، و بقي في أرباض بيته صابرا محتسـبا يسامر الهموم و الأحزان بمعزل تامّ عن الامّـة سياسـيا و اجتماعيا، قـد خمدت طاقـاته و مواهبه و حرمت الامّـة من علومه، لم يشارك الخلفاء في أي أمر من امور الدولـة اللّهمّ إلاّ إذا ألمّت بهم مسألـة لا يهتـدون لحلّها فزعوا إليه ليكشف لهم ما جهلوه، حتي شاعت كلمة عمر: لو لا عليّ لهلك عمر.

و لمّا آلت الخلافة إلي عثمان بن عفّان عميد الاسـرة الاموية اسـتبدّ بامور المسـلمين، و ارتكب الأحداث الجسام لذا عمد المسلمون إلي قتله، و هرعوا إلي الإمام عليه السّـلام ليتولّي قيادة الامّة و يعيد حكم الرسول صـلّي اللّه عليه و آله و سياسـته المشرقة بين المسلمين، فامتنع الإمام من إجابتهم لعلمه بفساد الأوضاع الاجتماعية، و ما سـيعانيه من الأزمات و المصاعب، فأصـرّوا عليه و هدّدوه إن لم يسـتجب لهم، فأجابهم علي كره، فقام بالأمر باسـطا للعدل ناشرا للحقّ، و بايعته الجماهير، و عمّت الفرحة الكبري جميع الأوساط إلاّ الاسر القرشيّة، فقد فزعت كأشـدّ ما يكون الفزع، فقـد خافت عل مصالحها و نفوذها الـذي ظفرت به في أيام الخلفاء، فهبّت للإطاحـة بحكومة الإمام، فكانت واقعـة الجمل و صـفّين، ثمّ تتابعت عليه الرزايا و الخطوب، و هو صابر يحتسب حتي لاقي ربّه شـهيدا محتسـبا في بيت من بيوت اللّه، فأي صبر و أي بلاء مثل هذا الصبر و البلاء؟

تواضعه:

اشارة

من ذاتيات الإمام عليه السّلام و نزعاته التواضع، و لكن لا للأغنياء و المتكبّرين، و إنّما للفقراء و المستضعفين، فكان يخفض لهم جناح البرّ و المودّة، و قد ضارع بذلك أخاه و ابن عمّه الرسول صلّي اللّه عليه و آله، فقد كان للمؤمنين أبا و للفقراء أخا..

و نعرض فيما يلي لبعض ما اثر عن الإمام عليه السّلام.

شذرات من تواضعه:

و هذه شذرات معطّرة بهدي الإمام عليه السّلام من تواضعه:

1 – وفد عليه رجل مع ابنه فرحّب بهما و أجلسهما في صدر المجلس، ثمّ أمر لهما بطعام، و بعد الفراغ منه بادر الإمام فأخذ الإبريق ليغسل يد الأب ففزع الرجل، و قال:

كيف يراني اللّه و أنت تصبّ الماء علي يدي؟ فأجابه الإمام عليه السّلام برفق و لطف:

«إنّ اللّه يراني أخاك الّذي لا يتميّز منك، و لا يتفضّل عنك، و يزيدني بذلك منزلة في الجنّة».

أيّ روح ملائكية هذه الروح؟ و أيّ سموّ في الذات هذا السموّ؟ و انصاع الرجل إلي كلام الإمام عليه السّلام، فصبّ الماء علي يده، و لمّا فرغ ناول الإبريق إلي ولده محمّد بن الحنفية، و قال له:

«يا بنيّ، لو كان هذا الابن حضرني دون أبيه لصببت الماء علي يده، و لكنّ اللّه يأبي أن يسوّي بين الابن و أبيه».

و قام محمّد فغسل يد الولد(1)، و هذه الأخلاق العلوية مقتبسة من أخلاق الرسول الأعظم صلّي اللّه عليه و آله الذي امتاز علي سائر النبيّين بمكارم أخلاقه.

2 – اجتاز الإمام في رجوعه من صفّين علي دهّاقين الأنبار فقابلوه بمزيد من التعظيم و التكريم، و صنعوا له كما يصنعون للملوك و الامراء، فأنكر الإمام عليهم

1- المناقب ۱ : ۳۷۳.

ذلـك و قال لهم: «و اللّه! ما ينتفع بهـذا امراؤكم، و إنّكم لتشـقّون به علي أنفسـكم، و تشـقّون به علي آخرتكم. و ما أخسـر المشـقّة وراءها العقاب، و ما أربح الرّاحة معها الأمان من النّار»(1).

3 - من تواضعه أنّه خرج راكبا فسار معه أصحابه، فالتفت إليهم:

«أ لكم حاجة؟».

- لا، و لكن نحبّ أن نمشي معك.

فنهاهم عن ذلك، و أمرهم بالانصراف إلي منازلهم قائلا:

«ارجعوا... النّعال خلف أعقاب الرّجال مفسدة لقلوب النّوكي(2)»(3).

حقّا إنّ هذه الأخلاق أخلاق الأنبياء العظام و أوصـياءهم، و قد مثّلها بسـيرته و سلوكه سيّد الأوصياء و إمام المتّقين و الأخيار، و ذكر الرواة صورا مشرقة بالشرف و الكرامة من تواضعه أيام خلافته نعرض لها عند البحث عن حكومته.

عيادته المرضي:

من معالي أخلاق الإمام عليه السّلام عيادته للمرضـي، و كان يحفّز أصحابه علي ذلك، و يحثّهم علي هذه الظاهرة، فقد قال لهم: «من أتي أخاه المسلم يعوده مشي في خرافة الجنّة(4)، فإذا جلس غمرته الرّحمة»(5).

1- المناقب ١ : ٣٧٢.

2- النوكي : الحمقي.

3- ربيع الأبرار ٤ : ١٣١.

4- خرافة الجنّة : ثمارها.

5- ربيع الأبرار ٤ : ١٢٧.

و كان عليه السّلام إذا علم أنّ أحدا من أصحابه مريض بادر لعيادته، و هذه بعض زياراته لهم:

1 – عاد شخصا من أصحابه، و لمّا استقرّ به المجلس قال له:

«جعل اللّه ما كان من شكواك حطّا لسيّئاتك، فإنّ المرض لا أجر فيه، و لكنّه يحطّ السّيّئات، و يحتّها حتّ الأوراق. و إنّما الاجر في القول باللّسان، و العمل بالأيدي و الأقدام»(1).

2 – عاد الإمام عليه السّلام صاحبه و صديقه صعصعة بن صوحان، فقال له الإمام:

«و اللّه ما علمتك إلاّ خفيف المئونة، حسن المعونة».

فأجابه صعصعة:

– و أنت يا أمير المؤمنين، إنّ اللّه في عينك لعظيم، و إنّك بالمؤمنين لرحيم، و إنّك بكتاب اللّه لعليم.

و لمّا أراد الإمام عليه السّلام الخروج قال لصعصعة:

«يا صعصعة، لا تجعل عيادتي فخرا علي قومك، فإنّ اللّه تعالي لا يحبّ كلّ مختال فخور»(2).

إنّ جميع ألوان الفخر و المظاهر الزائفة التي يعني بها الناس قد سحقها الإمام عليه السّلام و لم يحفل بأي شيء منها.

كراهته للمدح:

كان الإمام عليه السّلام يسأم المدح و الإطراء، و كان يقول لمن أطراه: «أنا دون ما تقول، و فوق ما في نفسك»، و إذا أطري عليه رجل قال: «اللّهمّ إنّك أعلم بي منه،

1– ربيع الأبرار ٤ : ١٣١.

2– المصدر السابق : ١٣٢.

و أنا أعلم منه بنفسي، فاغفر لي ما لا يعلم»(1).

إجابته لدعوة من دعاه لتناول الطعام:

و من معالي أخلاق الإمام عليه السّلام أنّه إذا دعي لتناول الطعام أجاب إلي ذلك خصوصا إذا دعاه فقير، و قد دعاه شخص لذلك فقال له:

«نأتيك علي أن لا تتكلّف لنا ما ليس عندك، و لا تدّخر عنّا ما عندك»(2).

و هذا من محاسن الآداب، و من أروع صور الشرف، و سموّ الذات.

سخاؤه:

اشارة

كان الإمام عليه السّلام من أندي الناس كفّا، و من أكثرهم برّا و إحسانا إلي المحتاجين، و كان لا يري للمال قيمة سوي أن يردّ به جوع جائع أو يكسو به عريان، و كان يؤثر الفقراء علي نفسه و لو كانت به خصاصة و هو و أهل بيته الذين أطعموا المسكين و اليتيم و الأسير قوتهم، و طووا ثلاثة أيام صياما لم يذوقوا سوي الماء القراح، فأنزل اللّه تعالي فيهم سورة (هل أتي) فكانت و سام فخر و شرف لهم علي امتداد التاريخ تشيد بفضلهم و سموّ مكانتهم عند اللّه تعالي حتي يرث اللّه الأرض و من عليها.

و الإمام عليه السّلام هو الذي تصدّق بخاتمه علي المسكين في أثناء صلاته فأنزل اللّه تعالي في حقّه الآية الكريمة: إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ راكِعُونَ(3).

1- أمالي المرتضي ١ : ٢٧٤.

2- البيان والتبيين ٢ : ١٩٧.

3- المائدة : ٥٥.

شذرات من جوده:

هذه شذرات من برّ الإمام عليه السّلام وجوده علي الفقراء، لم يبغ بما قدّمه لهم من إحسان إلاّ وجه اللّه تعالي و الدار الآخرة:

1 - روي الأصبغ بن نباتة قال: جاء رجل إلي الإمام فقال له: يا أمير المؤمنين، إنّ لي إليك حاجة قد رفعتها إلي اللّه تعالي قبل أن أرفعها إليك، فإن قضيتها حمدت اللّه تعالي و شكرتك، و إن لم تقضها حمدت اللّه تعالي و عذرتك.

فقال له الإمام عليه السّلام: «اكتب حاجتك علي الأرض، فإنّي أكره أن أري ذلّ السّؤال علي وجهك».

فكتب الرجل إنّي محتاج، فأمر الإمام بإحضار حلّة فاتي بها إليه فأخذها الرجل فلبسها، و قال:

كسوتني حلّة تبلي محاسنها فسوف أكسوك من حسن الثّنا حللا

إن نلت حسن ثنائي نلت مكرمة و لست تبغي بما قد قلته بدلا

إنّ الثّناء ليحيي ذكر صاحبه كالغيث يحيي نداه السّهل و الجبلا

لا تزهد الدّهر في خير تواقعه فكلّ شخص سيجزي بالّذي عملا

و أمر الإمام بمائة دينار، فلمّا حضرت دفعها له، و بادر الأصبغ قائلا:

أمير المؤمنين، و مائة دينار؟!

فأجابه الإمام:

«سمعت رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله يقول: أنزلوا النّاس منازلهم، و هذه منزلة الرّجل عندي»(1).

1- جواهر المطالب ۲ : ۱۲۹.

2 – من بوادر جوده أنّه لمّا قسّم بيت مال البصـرة علي جيشه لحق كلّ واحد منهم خمسمائة درهم، و أخذ هو مثل ذلك، فجاءه شخص لم يحضر الواقعة فقال له:

كنت شاهـدا معـك بقلبي، و إن غـاب عنـك جسـمي، فـاعطني من الفيء شـيئا؟ فـدفع إليه مـا أخـذه لنفسه، و رجع و لـم يصب من الفيء شيئا(1).

3 – روي المعلّي بن خنيس عن الإمام الصادق عليه السّلام أنّ عليّا عليه السّلام أتي ظلّة بني ساعـدة، و كانت السـماء قـد أمطرت، و هو يحمـل جرابـا فيه الخبز، فمرّ علي قوم نيـام – و هـم من الفقراء – فجعل يـدسّ الرغيف و الرغيفين تحت فراشـهم، حتي أتي علي آخرهم ثمّ انصرف(2).

4 – خرج الإمـام عليه السّلام و هو يحمـل علي ظهره قربـة، و في يـده صـحفة، و هو يقول: «اللّهـمّ وليّ المؤمنين، و إله المؤمنين، و جـار المؤمنين، اقبل قرباتي اللّيلة، فما أمسـيت أملك سوي ما في صحفتي و غير ما يواريني، فإنّك تعلم أنّي منعته نفسي مع شدّة سغبي في طلب القربة إليك غنما، اللّهـمّ فلا تخلق وجهي، و لا تردّ دعوتي»، و اخذ يطعم الفقراء(3).

5 – كان الإمام عليه السّلام يملك أربعـة دراهم تصدّق بواحد ليلا، و بالثاني نهارا، و بثالث سـرّا و بالرابع علانية، فنزلت فيه الآية الكريمة: اَلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ بِاللَّيْلِ(4).

1– شرح نهج البلاغة _ ابن أبي الحديد ١ : ٢٠٥.

2– المناقب ٤ : ٣٤٩.

3– بحار الأنوار ٤١ : ٢٩.

4– كشف الغمّة : ٥٠. البقرة : ٢٧٤.

6 – كان رجل مؤمن فقير في عهد رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله ساكنا في دار ضيّقة و بجوارها حديقة لشخص موسر و فيها نخل يتساقط تمرها علي دار الفقير، فيبادر من حرصه إلي أخذ التمر من أفواه الأطفال، و شكا الفقير ذلك إلي النبيّ صلّي اللّه عليه و آله، فبادر إلي صاحب الحديقة و طلب منه أن يبيعها عليه، و يأخذ مكانها بستانا في الفردوس الأعلي، فأبي و قال: لا أبيعك عاجلا بآجل، فانصرف النبيّ صلّي اللّه عليه و آله متأثّرا فرأي الإمام، فأخبره بالأمر، فتوجّه الإمام صوب ذلك الرجل و طلب منه أن يبيعه بستانه، فقال له: أبيعك بحائطك الحسن، فرضي الإمام، و باعه عليه، و سارع الإمام إلي الرجل الفقير فوهب له تلك البستان(1).

هذه بعض البوادر من سخائه وجوده علي الضعفاء و الفقراء، يقول الشعبي:

كان عليّ أسخي الناس، كان علي الخلق الذي يحبّه اللّه و هو السخاء و الجود، ما قال «لا» لسائل قطّ(2).

و قد أجمع المؤرّخون و المترجمون له أنّه لم يكن يبغي فيما أنفقه أي غرض من أغراض الدنيا كالجاه و السمعة و ذيوع الاسم، فإنّ ذلك لم يفكّر به، و إنّما كان يبغي وجه اللّه تعالي، و ما يقرّبه إليه زلفي.

الرأفة بالفقراء:

من عناصر الإمام عليه السّلام و ذاتياته الرأفة الكاملة بالفقراء، فكان لهم أبا، و عليهم عطوفا، و قد واساهم في مكاره الدهر و جشوبة العيش و خشونة اللباس، و هو القائل أيام خلافته:

أ أبيت مبطانا و حولي بطون غرثي و أكباد حرّي؟ أو أكون كما قال القائل:

1- تفسير فرات : ٢١٣. بحار الأنوار ٤١ : ٣٧.

2- شرح نهج البلاغة _ ابن أبي الحديد ١ : ٢٢.

و حسبك داء أن تبيت ببطنة و حولك أكباد تحنّ إلي القدّ

لقد كان أبو الحسن عليه السّلام ملاذا للفقراء و صديقا حميما للبؤساء، و قد تبنّي قضاياهم في جميع مراحل حياته خصوصا في أيام خلافته، و قد ثارت عليه الرأسمالية القرشية التي ناهضت الإسلام، و كفرت بقيمه و مبادئه، و بجميع ما جاء به النبيّ صلّي اللّه عليه و آله من هدي و رحمة إلي الناس.

إنّ من أوّليات المبادئ التي آمن بها و اعتنقها هي القضاء علي البؤس و الحرمان، و توزيع خيرات اللّه تعالي علي عباده، فلا يختصّ بها فريق دون فريق، و لا قوم دون آخرين، و كانت مواساته للفقراء و مساواتهم للأغنياء من الأسباب الهامّة في بغض القرشيّين له، و اندفاعهم إلي مناجزته، و وضعهم العراقيل و السدود أمام مخطّطاته و متطلّباته الهادفة إلي تحقيق العدالة الاجتماعية في الأرض.

و علي أي حال فالإمام أوّل حاكم في الشرق العربي و اسي الفقراء في آلامهم و مكارههم، و من ذلك أنّه نظر إلي امرأة علي كتفها قربة ماء، و كانت مجهدة لا تقوي علي حملها، فبادر إليها الإمام فأخذ القربة منها، و حملها إلي منزلها، و سألها عن حالها، فقالت له: إنّ عليّا بعث زوجي إلي بعض الثغور فاستشهد فيها، و ترك صبيانا يتامي، و ليس عندي شيء أقوتهم به، فألجأتني الضرورة إلي خدمة الناس، فانصرف الإمام عنها و هو مثقل بالأحزان، و بات ليلته قلقا مضطربا، فلمّا أصبح حمل زنبيلا فيه طعام للأيتام، فرآه بعض شيعته فطلب منه أن يساعده في حمل الزنبيل عنه، فامتنع من إجابته، و قال له:

«من يحمل عنّي وزري يوم القيامة»؟ و مضي نحو بيت اليتامي فقرع الباب، فخرجت له المرأة فقالت له:

- من أنت؟

«أنا العبد الّذي حمل معك القربة، افتحي الباب فإنّ معي شيئا للصّبيان».

فدعت له المرأة و قالت له:

- رضي اللّه عنك، و حكم بيني و بين عليّ بن أبي طالب.

و أجابها الإمام:

«إنّي أحببت اكتساب الثّواب، فاختاري بين أن تعجني و تخبزي، و بين أن تعلّلي الصّبيان و أنا أخبز».

و أجابته المرأة:

- أنا بالخبز أبصر، و عليه أقدر، و لكن شأنك و الصبيان، فعلّلهم حتي أفرغ من الخبز.

و عمدت المرأة إلي الدقيق فخبزته، و انبري الإمام إلي اللحم فطبخه، و جعل يلقم الصبيان اللحم و التمر و غيره، و كلّما ناول صبيّا من ذلك شيئا قال له:

«يا بنيّ، اجعل عليّ بن أبي طالب في حلّ ممّا مرّ عليك».

و لمّا اختمر العجين، قالت المرأة له:

- قم يا عبد اللّه، قم فاسجر التنّور، فبادر الإمام لسجره، و لفحت النار في وجهه، فجعل يقول:

«يا عليّ، هذا جزاء من ضيّع الأرامل و اليتامي».

و دخلت امرأة من الجيران علي المرأة، و كانت تعرف الإمام فصاحت بها:

ويحك هذا أمير المؤمنين».

و ذهلت المرأة و ودّت أن تسيخ بها الأرض، و قالت للإمام:

- و احيائي منك يا أمير المؤمنين!

و سارع الإمام قائلا:

«و احيائي منك يا أمّة اللّه فيما قصّرت من أمرك»(1).

تدول الدول، و تفني الحضارات أو تبقي، و هذا الشرف العلوي أحقّ بالبقاء من كلّ كائن حيّ.

عدله:

اشارة

من عناصر الإمام الذاتية إقامة العدل، و إيثاره علي كلّ شيء، خصوصا في أيام خلافته، فقد تجرّد عن جميع المحسوبيات، و آثر رضا اللّه تعالي و مصلحة الامّة علي كلّ شيء، فهو بحقّ صوت العدالة الإنسانية، و رائد نهضتها الاصلاحية في جميع الأحقاب و الآباد.

بوادر من عدله:

و روي المؤرّخون صورا رائعة من عدله تبهر العقول، و تجعله طغراء شرف للعالم العربي و الإسلامي، و كان من ضروب عدله ما يلي:

1 - وفد عقيل علي الإمام في الكوفة، فرحّب به الإمام و قال لولده الإمام الحسن عليه السّلام: «اكس عمّك»، فكساه قميصا و رداء من ملكه، و لمّا حضر العشاء قدّم له خبزا و ملحا، فأنكر عقيل ذلك و قال:

- ليس ما أري؟ لقد أراد عقيل أن تقدّم له مائدة شهيّة حافلة بألوان الطعام، فأجابه الإمام بلطف و هدوء:

«أ و ليس هذا من نعمة اللّه؟ فله الحمد كثيرا».

1- المناقب ١ : ٣٨٢.

و فقد عقيل إهابه، و ضاقت عليه الأرض، فقال للإمام:

– اعطني ما أقضي به ديني، و عجّل سراحي حتي أرحل عنك.

«كم دينك يا أبا يزيد؟».

– مائة ألف درهم.

«و اللّه ما هي عندي، و لا أملكها، و لكن اصبر حتّي يخرج عطاي فاواسيكه، و لو لا أنّه لا بدّ للعيال من شيء لأعطيتك كلّه».

و خاطب عقيل الإمام بعنف قائلا:

– بيت المال بيدك، و أنت تسوّفني إلي عطائك، و كم عطاؤك؟ و ما عسي أن يكون؟ و لو أعطيتنيه كلّه.

و ضاق الإمام ذرعا من عقيل، فطرح أمامه حكم الإسلام قائلا:

«و ما أنا و أنت فيه – أي في العطاء من بيت المال – إلاّ بمنزلة رجل من المسلمين».

و كان الإمام مطلاّ علي صناديق التجّار في السوق، فقال لعقيل:

«إن أبيت يا أبا يزيد ما أقول فانزل إلي بعض هذه الصّناديق فاكسر أقفاله و خذ ما فيه».

و توهّم عقيل أنّها من أموال الدولة، فقال للإمام:

– ما في هذه الصناديق؟ «فيها أموال التّجار».

فأنكر عقيل، و راح يقول بألم و مرارة:

– أ تأمرني أن أكسر صناديق قوم توكّلوا علي اللّه و جعلوا فيها أموالهم؟

فردّ عليه الإمام قائلا:

«أ تأمرني أن أفتح بيت مال المسلمين فاعطيك أموالهم، و قد توكّلوا علي اللّه، و أقفلوا عليها، و إن شئت أخذت سيفك و أخذت سيفي و خرجنا جميعا إلي الحيرة، فإنّ فيها تجّارا مياسير، فدخلنا علي بعضهم فأخذنا ماله».

و التاع عقيل، و راح يقول بألم:

- أ و سارقا جئت؟ فأجابه رائد العدالة الإسلامية قائلا:

«تسرق من واحد خير من أن تسرق من المسلمين جميعا».

و لم يجد عقيل منفذا يسلك فيه، فقد سدّ عليه الإمام جميع النوافذ، و صيّره أمام العدل الصارم، الذي لا يستجيب لأي عاطفة، و لا ينصاع إلاّ إلي الحقّ، و راح عقيل يقول بحرارة اليأس:

- أ تأذن لي أن أخرج إلي معاوية؟ «أذنت لك».

- أعنّي علي سفري.

فأمر الإمام ولده الزكي الإمام الحسن عليه السّلام بإعطائه أربعمائة درهم نفقة له، فخرج عقيل و هو يقول:

سيغنيني الّذي أغناك عنّي و يقضي ديننا ربّ قريب(1)

لقد تجرّد الإمام من جميع المحسوبيات فلم يقم لها أي وزن و أخلص للحقّ و العدل كأعظم ما يكون الإخلاص، فالقريب و البعيد سواء في ميزانه... لقد احتاط

1- المناقب ١ : ٣٧٩ ، وقريب منه في الصواعق المحرقة : ٧٩.

كأشدّ ما يكون الاحتياط في أموال الدولة، فلم يؤثر بشيء منها نفسه و أهل بيته، و حمّل نفسه رهقا و شدّة.

2 – و من صنوف عدله الباهر أنّه نزل ضيف عند الإمام الحسن عليه السّلام، فاستقرض رطلا من العسل من قنبر خازن بيت المال، فلمّا قام الإمام بتقسيم العسل علي المسلمين وجد زقّا منها ناقصا، فسأل قنبر عن ذلك، فأخبره بالأمر، فاستدعي ولده الإمام الحسن و قال له بنبرات تقطر غيظا:

«ما حملك علي أن تأخذ منه قبل القسمة؟».

«أ ليس لنا فيه حقّ، فإذا أخذناه رددناه إليه».

و سكن غضب الإمام، فقال لولده الزكي بلطف:

«فداك أبوك، و إن كان لك فيه حقّ، فليس لك أن تنتفع بحقّك قبل أن ينتفع المسلمون بحقوقهم».

ثمّ دفع إلي قنبر درهما، و قال له: اشتر به أجود عسل تقدر عليه، فاشتري قنبر العسل، و وضعه الإمام في الزقّ و شدّه»(1).

هذا هو العدل الذي جعله الإمام عليه السّلام أساسا لدولته ليسير عليها حكّام المسلمين من بعده إلاّ أنّهم شذّوا و ابتعدوا عن سيرته، و ناقضوه، فأنفقوا أموال المسلمين علي شهواتهم و ملذّاتهم، و أسرفوا في ذلك إلي حدّ بعيد.

3 – جيء له بمال من أصفهان فقسّمه أسباعا علي أهل الكوفة، و وجد فيها رغيفا فكسره سبعة كسر، و قسّمه علي أهل الأسباع(2).

1– المناقب ۲ : ۱۰۷.

2– بحار الأنوار ٤١ : ۱۱۸.

إنّ العدل بجميع رحابه و مفاهيمه من العناصر الذاتية للإمام عليه السّلام.

4 - روي هـارون بن عنترة عن أبيه، قـال: رأيت عليّـا في يوم مورود - أو نوروز - فجاء قنبر فأخـذ بيـده و قال: يا أمير المؤمنين، إنّك رجل لا تبقي شـيئا لنفسك، و لا لأهل بيتك، و إنّ لأهل بيتك في هـذا المال نصـيبا، و قـد خبّأت لك خبيئة. قال الإمام: «و ما هي؟» قال: انطلق و انظر ما هي؟ فأدخله بيتا مملوءا آنية من ذهب و فضّة مموّهة بالذهب، فلمّا رآها تميّز غيظا و غضبا، و قال بشدّة و صراحة لقنبر:

«ثكلتك امّك، لقد أردت أن تدخل بيتي نارا عظيمة»، ثمّ جعل يزنها و يعطي كلّ عريف حصّته، ثمّ قال:

هذا جناي و خياره فيه و كلّ جان يده إلي فيه(1)

أ رأيتم هـذا العدل الذي مثّله الإمام في أيام خلافته؟ أ رأيتم هذا التجرّد عن الدنيا و التنكّر لمنافعها؟ أ رأيتم كيف احتاط إمام المتّقين بأموال الدولة و لم يسـتأثر بأيّ شيء منها؟ إنّ الإنسانية علي ما جرّبت من تجارب في ميادين الحاكمين فإنّها لم تشاهد مثل الإمام عليه السّلام في عدله و نكرانه للذات، و تبنّيه للعدل بجميع رحابه و مفاهيمه.

سعة علومه:

و أجمع الرواة علي اختلاف ميولهم و أهوائهم علي أنّ الإمام عليه السّلام أوسع المسـلمين علما، و أكثرهم فقها، و أنّه لا يماثله أحـد من الصحابة و غيرهم في قدراته العلمية، فقد غذّاه سيّد الكائنات صلّي اللّه عليه و آله بملكاته و مواهبه، فهو باب مدينة علمه،

1- جواهر المطالب ١ : ٢٧٣. كتاب الأموال : ٣٤٤.

و قد تحدّث الإمام عليه السّلام عن سعة علومه فقال:

1 - «بل اندمجت علي مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية(1) في الطّويّ البعيدة(2)!».

2 - و قال عليه السّلام: «سلوني قبل أن تفقدوني، فو الّذي نفسي! بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم و بين السّاعة، و لا عن فئة تهدي مائة و تضلّ مائة إلاّ أنبأتكم بناعقها و قائدها و سائقها، و مناخ ركابها، و محطّ رحالها، و من يقتل من أهلها قتلا، و من يموت منهم موتا»(3).

3 - قال عليه السّلام: «لو شئت أن أخبر كلّ رجل منكم بمخرجه و مولجه و جميع شأنه لفعلت».

و أعربت هذه الكلمات الثلاث عن طاقاته العلمية، و ما منحه اللّه تعالي من الفضل و العلم الأمر الذي جعله في قمّة العلم، و قد تحدّثنا في بعض هذا الكتاب عن العلوم التي فتق أبوابها و أسّسها.

سرعة الجواب:

من خصائص الإمام عليه السّلام أنّه كان سريع البديهة، و قد عرضت عليه أهمّ المسائل المعقّدة في المواريث فأجاب عنها بالوقت، حتي سمّيت بعضها بالمسائل المنبرية، و روي الحارث الأعور الهمداني - و هو من خلّص أصحاب الإمام عليه السّلام - أنّه سأل عن مسألة فبادر و دخل الدار ثمّ خرج في حذاء و رداء، و هو متبسّم، فبادر بعض الحاضرين، فقال: يا أمير المؤمنين، كنت إذا سئلت عن

1- الأرشية : الحبال.

2- الطوي البعيدة : الآبار العميقة.

3- شرح الأخبار ١ : ١٣٩.

المسألة تكون فيها كالسّكّة المحمّاة، فقال عليه السّلام:

«كنت حاقنا(1) و لا رأي لحاقن»، ثمّ أنشأ يقول:

إذا المشكلات تصدّين لي كشفت حقائقها بالنّظر

و إن برقت في مخيل الصّوا ب عمياء لا يجتليها البصر

مقنّعة بغيوب الامور وضعت عليها صحيح الفكر

لسانا كشقشقة الأرحبيّ(2) أو كالحسام اليماني الذّكر

و قلبا إذا استنطقته الفنون أبرّ عليها بواه درر(3)

و لست بإمّعة(4) في الرجال يسائل هذا و ذا ما الخبر

و لكنّني مذرب الأصغرين(5) أبيّن ممّا مضي ما غبر(6)

و بهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض صفاته و عناصره النفسية. و من المؤكّد أنّه لا يضارعه أحد فيما وهبه اللّه تعالي من الكمالات و معالي الآداب و الأخلاق.

1- الحاقن : الذي اجتمع بوله كثيرا.

2- الأرحبي : نسبة إلي أرحب بطن من همدان ، تنسب لهم النجائب الأرحبيّة.

3- أبر : زاد علي ما استنطقه.

4- الأمّعة : الأحمق الذي لا يثبت علي رأي.

5- المذرب : الحادّ. الأصغرين : القلب واللسان.

6- الأمالي ٢ : ١٠١.

الإمام عليه السّلام

اشارة

في رحاب القرآن الكريم

ص:133

أشاد القرآن الكريم في كثير من الآيات البيّنات بفضل أمير المؤمنين عليه السّلام، و إبرازه كأسمي شخصية إسلامية بعد الرسول صلّي اللّه عليه و آله، و أنّه له الأهمّية البالغة عند اللّه تعالي، و قد أعلنت كثير من المصادر أنّه نزلت في حقّه ثلاثمائة آية(1)، و هي تشيد بفضله و إيمانه.

و من الجدير بالذكر أنّه لم ينزل مثل هذا العدد الضخم في حقّ أي أحد من أعلام الإسلام، أمّا الآيات فهي طوائف، و هي:

الطائفة الاولي: نزلت في حقّه خاصّة.

الطائفة الثانية: نزلت في حقّه و حقّ الممجّدين من أهل البيت عليهم السّلام.

الطائفة الثالثة: نزلت في حقّه، و حقّ جماعة من خيار الصحابة.

الطائفة الرابعة: نزلت في حقّه، و ذمّ خصومه و مناوئيه.

و فيما يلي بعض تلك الآيات:

الآيات النازلة في حقّه

أمّا الآيات النازلة في فضله، و سموّ شأنه، و عظيم منزلته فهذه بعضها:

1- تاريخ بغداد ٦ : ٢٢١. الصواعق المحرقة : ٧٦. نور الأبصار : ٧٦ ، وغيرها.

1 – قال تعالي:

إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ (1).

روي الطبري بسنده عن ابن عباس قال: لمّا نزلت هذه الآية وضع النبيّ صلّي اللّه عليه و آله يده علي صدره و قال: «أنا المنذر، و لكلّ قوم هاد» و أومأ إلي منكب عليّ فقال:

«أنت الهادي، بك يهتدي المهتدون بعدي»(2).

2 – قال تعالي:

وَ تَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ (3).

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام في تفسير هذه الآية:

«قال لي رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله: سألت ربّي أن يجعلها اذنك يا عليّ، فما سمعت من رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله شيئا فنسيته»(4).

3 – قال تعالي:

اَلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهارِ سِرًّا وَ عَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (5).

كانت عند الإمام عليه السّلام أربعة دراهم، فأنفق في الليل درهما، و في النهار درهما، و في السرّ درهما، و في العلانية درهما، فقال له رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله:

1– الرعد : ٧.

2– تفسير الطبري : ١٣ : ٧٢ ، وقريب منه في تفسير الرازي. كنز العمّال ٦ : ١٥٧. تفسير الحقائق : ٤٢. مستدرك الحاكم ٣ : ١٢٩.

3– الحاقّة : ١٢.

4– كنز العمّال ٦ : ١٠٨. أسباب النزول _ الواحدي : ٣٢٩. تفسير الطبري ٢٩ : ٣٥. تفسير الكشّاف ٤ : ٦٠٠. الدرّ المنثور ٨ : ٢٦٧.

5– البقرة : ٢٧٤.

«ما حملك علي هذا؟ فقال: أستوجب علي اللّه ما وعدني» فنزلت فيه هذه الآية(1).

4 – قال تعالي:

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ(2).

روي ابن عساكر بسنده عن جابر بن عبد اللّه قال: كنّا عند النبيّ صلّي اللّه عليه و آله فأقبل عليّ عليه السّلام فقال النبيّ صلّي اللّه عليه و آله: «و الّذي نفسي بيده إنّ هذا و شيعته هم الفائزون يوم القيامة». و نزلت فيه الآية الكريمة، فكان أصحاب النبيّ إذا أقبل عليّ قالوا: جاء خير البريّة(3).

5 – قال تعالي:

فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (4).

روي الطبري بسنده عن جابر الجعفي قال: لمّا نزلت هذه الآية قال عليّ عليه السّلام:

«نحن أهل الذّكر»(5).

6 – قال تعالي:

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ(6).

قال السيوطي: أخرج ابن مردويه عن ابن عبّاس أنّ قول اللّه تعالي: وَ كُونُوا

1– اسد الغابة ٤ : ٢٥. الصواعق المحرقة : ٧٨. أسباب النزول _ الواحدي : ٦٤.

2– البيّنة : ٧.

3– الدرّ المنثور (في تفسير هذه الآية) ٨ : ٥٨٩. تفسير الطبري ٣٠ : ١٧. الصواعق المحرقة : ٩٦.

4– النحل : ٤٣.

5– تفسير الطبري ٨ : ١٤٥.

6– التوبة : ١١٩.

مَعَ الصّادِقِينَ ، أي مع عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، و مثل ذلك روي عن الإمام أبي جعفر عليه السّلام(1).

7 – قال تعالي:

وَ الَّذِي جاءَ بِالصِّدْقِ وَ صَدَّقَ بِهِ أُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ(2).

أخرج ابن مردويه عن أبي هريرة أنّ الذي جاء بالصدق هو رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله، و الذي صدّق به هو عليّ بن أبي طالب(3).

8 – قال تعالي:

يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَ اللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ(4).

نزلت هـذه الآيـة علي الرسول صـلّي اللّه عليه و آله في غدير خم لمّا قفل راجعا من حجّة الوداع، و قد أمر فيها بنصب الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام خليفة من بعده، فقام النبيّ صـلّي اللّه عليه و آله فنصب الإمام خليفة و قائدا لامّته من بعده، و قال مقالته المشهورة: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ وال من والاه، و عاد من عاداه، و انصر من نصره، و اخذل من خذله»، فقام عمر و قال له: هنيئا لك يا بن أبي طالب، أصبحت مولاي و مولي كلّ مؤمن و مؤمنة(5).

و قد انبري الشعراء إلي نظم هذه الحادثة المشرقة التي توّج فيها رائد العدالة

1– الدرّ المنثور ٤ : ٣١٦.

2– الزمر : ٣٣.

3– الدرّ المنثور ٧ : ٢٢٨.

4– المائدة : ٦٧.

5– أسباب النزول : ١٥٠. تاريخ بغداد ٨ : ٢٩٠. تفسير الرازي ٤ : ٤٠١. الدرّ المنثور ٦ : ١١٧.

الكبري بالإمامة و الخلافة يقول حسّان بن ثابت:

يناديهم يوم الغدير نبيّهم بخمّ و أسمع بالرسول مناديا

فقال فمن مولاكم و نبيّكم فقالوا و لم يبدوا هناك التّعاميا

إلهك مولانا و أنت نبيّنا و لم تلق منّا في الولاية عاصيا

فقال له: قم يا عليّ فإنّني رضيتك من بعدي إماما و هاديا

فمن كنت مولاه فهذا وليّه فكونوا له أتباع صدق مواليا

هناك دعا اللّهمّ وال وليّه و كن للّذي عادي عليّا معاديا(1)

و لمّا تليت هذه الأبيات علي النبيّ صلّي اللّه عليه و آله قال لحسّان: «لا تزال مؤيّدا بروح القدس ما نصرتنا أو نافحت عنّا بلسانك».

و قال قيس بن سعد بن عبادة:

قلت لمّا بغي العدوّ علينا حسبنا ربّنا و نعم الوكيل

حسبنا ربّنا الّذي فتح البص رة بالأمس و الحديث طويل

و عليّ إمامنا و إمام لسوانا أتي به التّنزيل

يوم قال النّبيّ من كنت مولا ه فهذا مولاه خطب جليل

إنّ ما قاله النّبيّ علي الامّة حتم ما فيه قال و قيل(2)

و قد تلا قيس هذه الأبيات علي الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام.

و قال شاعر أهل البيت الكميت:

و يوم الدّوح دوح غدير خمّ أبان له الولاية لو اطيعا

1- دلائل الصدق ٢ : ١٥ _ ١٦ ، نقله عن تذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي.

2- الغدير ٢ : ٨٧.

و لكنّ الرّجال تبايعوها فلم أر مثلها خطرا مبيعا(1)

و قد ألمّ المحقّق الكبير الشيخ الأميني نضّر اللّه مثواه بالغدير فبحث عنه بحثا موضوعيا في الكتاب و السنّة، و صحب معه كوكبة من الشعراء من قدامي و محدثين، و هم ينشدون فضل الإمام و مناقبه و غديره.

9 - قال تعالي:

اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً(2).

نزلت الآية الكريمة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة بعد ما نصب النبيّ صلّي اللّه عليه و آله الإمام عليه السّلام خليفة من بعده(3)، و قال عليه السّلام بعد نزول الآية عليه: «اللّه أكبر علي إكمال الدّين، و إتمام النّعمة، و رضي الرّبّ برسالتي، و الولاية لعليّ بن أبي طالب»(4).

10 - قال تعالي:

إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ راكِعُونَ (5).

روي الصحابي الجليل أبو ذرّ قال: صلّيت مع رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله صلاة الظهر فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد، فرفع السائل يده إلي السماء و قال: اللّهمّ

1- دلائل الصدق ٢ : ١٦.

2- المائدة : ٣.

3- تاريخ بغداد ٨ : ١٩. الدرّ المنثور ٦ : ١٩.

4- دلائل الصدق ٢ : ١٥٢.

5- المائدة : ٥٥.

اشـهد أنّي سألت في مسـجد الرسول صـلّي اللّه عليه و آله فما أعطاني أحد شـيئا، و عليّ كان راكعا، فأومأ إليه بخنصـره اليمني، و كان فيها خاتم، فأقبل السائل فأخذ الخاتم بمرأي من النبيّ صلّي اللّه عليه و آله، فقال:

«اللّهمّ إنّ أخي موسـي عليه السّلام سألك فقال: رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي. وَ يَسِّرْ لِي أَمْرِي. وَ احْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي. يَفْقَهُوا قَوْلِي. وَ اجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي. هارُونَ أَخِي. اُشْدُدْ بِهِ أَزْرِي. وَ أَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي(1)، فأنزلت قرآنا ناطقا: سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَ نَجْعَلُ لَكُما سُلْطاناً(2)، اللّهمّ و أنا محمّد نبيّك و صـفيّك فاشـرح لي صدري، و يسّر لي أمري، و اجعل لي وزيرا من أهلي، عليّا اشدد به ظهري»، قال أبو ذرّ: فو اللّه ما أتمّ الرسول صلّي اللّه عليه و آله هذه الكلمة حتي نزل جبرئيل، فقال: «يا محمّد، اقرأ: إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ... »(3).

حصرت هذه الآية الولاية العامّة في اللّه تعالي و في رسوله العظيم، و في الإمام أمير المؤمنين، و قد عبّرت عنه بصيغة الجمع تعظيما لشأنه، و تكريما لمقامه، بالإضافة إلي اسـميّة الجملة، و حصـرها بكلمة «إنّما»، و قد أكّدت له الولاية العامّة، و قد نظّم حسّان بن ثابت نزول الآية في الإمام بقوله:

من ذا بخاتمه تصدّق راكعا و أسرّها في نفسه إسرارا(4)

11 - قال تعالي:

وَ السّابِقُونَ السّابِقُونَ. أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ(5).

1- طه : ٢٥ _ ٣٢.

2- القصص : ٣٥.

3- تفسير الرازي ١٢ : ٢٦. نور الأبصار : ١٧٠. الطبري في تفسيره ٦ : ١٨٦.

4- الدرّ المنثور ٣ : ١٠٦. الكشّاف ١ : ٦٩٢. ذخائر العقبي : ١٠٢. مجمع الزوائد ٧ : ١٧. - كنز العمّال ٧ : ٣٠٥.

5- الواقعة : ١٠ و ١١.

روي الجمهور عن ابن عباس أنّ سابق هذه الامّة هو عليّ بن أبي طالب(1).

12 – قال تعالي:

وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللّهِ وَ اللّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ(2).

نزلت الآيـة الكريمـة في مبيت الإمام عليه السّلام علي فراش النبيّ حينما أجمعت قريش علي قتله، فخرج في غلس الليل من مكّة، و أناب عنه الإمام، فكان عليه السّلام الفدائي الأوّل في الإسلام، ففدي النبيّ بروحه، فأنزل اللّه تعالي فيه هذه الآية(3).

13 – قال تعالي:

هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَ بِالْمُؤْمِنِينَ(4).

نزلت الآية الكريمة في الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام، و أنّه هو المراد بالمؤمنين، قال السيوطي: أخرج ابن عساكر عن أبي هريرة: مكتوب علي العرش لا إله إلاّ أنا وحدي لا شريك لي، محمّد عبدي و رسولي، أيّدته بعليّ(5)، هذه بعض الآيات النازلة في حقّ الإمام عليه السّلام خاصّة.

الآيات النازلة في أهل البيت عليهم السّلام

اشارة

حفل الكتاب العظيم بآيات في حقّ أهل البيت عليهم السّلام الشاملة لسيّدهم الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام، و هذه بعضها:

1- دلائل الصدق ٢ : ١٠١.

2- البقرة : ٢٠٧.

3- مستدرك الحاكم ٣ : ٤.

4- الأنفال : ٦٢.

5- الدرّ المنثور ٤ : ١٠٠. كنز العمّال ٦ : ١٥٨.

1 – قال تعالي:

قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبي وَ مَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيها حُسْناً إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (1).

ذهب جمهور المفسّرين و الرواة أنّ المراد بالقربي الذين فرض اللّه مودّتهم علي عباده هم عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين سلام اللّه عليهم، و المراد من اقتراف الحسنة – في الآية – هي مودّتهم و ولائهم، و هذه طائفة اخري من الأخبار علّلت ذلك:

أ – روي ابن عباس قال: لمّا نزلت هذه الآية قالوا: يا رسول اللّه، من قرابتك هؤلاء الذين أوجبت علينا مودّتهم؟ قال صلّي اللّه عليه و آله: «عليّ و فاطمة و ابناهما»(2).

ب – روي جابر بن عبد اللّه قال: جاء اعرابي إلي النبيّ فقال له: اعرض عليّ الإسلام، فقال صلّي اللّه عليه و آله: «تشهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له، و أنّ محمّدا عبده و رسوله».

فانبري الاعرابي قائلا:

– تسألني عليه أجرا؟ قال صلّي اللّه عليه و آله: «إلاّ المودّة في القربي».

و طفق الاعرابي قائلا:

– قرباي أم قرباك؟ «بل قرباي».

و راح الاعرابي يقول:

1– الشوري : ٢٣.

2– مجمع الزوائد ٧ : ١٠٣. ذخائر العقبي : ٢٥. نور الأبصار : ١٠١. الدرّ المنثور ٧ : ٣٤٨.

– هات ابايعك، فعلي من لا يحبّك و لا يحبّ قرابتك، لعنة اللّه...

و أسرع النبيّ صلّي اللّه عليه و آله قائلا: «آمين»(1).

ج – روي ابن عبّاس قال: لمّا نزلت آيـة المودّة قال قوم في نفوسـهم – يعني الحسد لأهل البيت –: ما يريد إلاّ أن يحثّنا علي قرابته من بعده، فنزل جبرئيل علي النبيّ و أخبره بأنّ القوم اتّهموه، و معه هـذه الآية: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَي عَلَي اللّهِ كَذِباً ، و أخبر النبيّ القوم فقالوا له: إنّك صادق، فنزل قوله تعالي: وَ هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ(2).

احتجاج العترة بالآية:

اشارة

احتجّت العترة الطاهرة بالآية الكريمة علي لزوم مودّتهم و ولائهم، و هذا عرض لبعض ما أثر عنهم:

الإمام أمير المؤمنين:

احتجّ الإمام عليه السّلام بالآية الكريمة علي خصومه، قال عليه السّلام: «فينا ال حم، آية لا يحفظ مودّتنا إلاّ كلّ مؤمن»، ثمّ تلا الآية: قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبي(3).

الإمام الحسن عليه السّلام:

خطب سبط رسول اللّه و ريحانته الإمام الحسن عليه السّلام خطابا بليغا عرض فيه إلي مكانة أهل البيت، و سموّ منزلتهم، ثمّ استشهد بالآية الكريمة، قال عليه السّلام:

1– حلية الأولياء ٣ : ١٠٢.

2– الصواعق المحرقة : ١٠٢. الآيتان ٢٤ و ٢٥ من سورة الشوري.

3– كنز العمّال ١ : ٢١٨. الصواعق المحرقة : ١٠١.

«و أنا من أهل البيت الّذين افترض اللّه مودّتهم علي كلّ مسلم، قال تبارك و تعالي: قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبي »(1).

الإمام زين العابدين عليه السّلام:

احتجّ الإمام زين العابدين عليه السّلام بالآية الكريمة لمّا جيء به أسيرا إلي فاجر بني اميّة يزيد بن معاوية، و اقيم علي درج دمشق و معه حرائر الوحي سبايا، انبري إليه رجل من أهل الشام قد ضلّلته الدعاية الاموية بأنّ أهل البيت من الخوارج، فقال للإمام بعنف:

- الحمد للّه الذي قتلكم و استأصلكم و قطع قرني الفتنة.

فنظر إليه الإمام فرآه مخدوعا مغفّلا، فقال له بلطف:

«أقرأت القرآن؟».

- نعم.

«أقرأت ال حم؟».

قرأت القرآن و لم أقرأ ال حم! «ما قرأت: قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبي ؟».

- فذهل الرجل و مشت الرعدة بأوصاله، و سارع قائلا:

- إنّكم لأنتم؟ «نعم»(2).

1- حياة الإمام الحسن 1 7 : ٦٨.

2- تفسير الطبري ٢٥ : ١٦.

و ودّ الرجل أنّ الأرض قد ساخت به، و لم يقابل الإمام بتلك الكلمات القاسية، و تقدّم إلي الإمام طالبا منه العفو، فمنحه الرضا و العفو.

إنّ الولاء لأهل البيت فريضة دينية يسأل عنها المسلم يوم يلقي اللّه تعالي.

يقول محمّد بن إدريس الشافعي:

يا أهل بيت رسول اللّه حبّكم فرض من اللّه في القرآن أنزله

كفاكم من عظيم القدر أنّكم من لم يصلّ عليكم لا صلاة له(1).

و يقول شاعر الإسلام الأكبر الكميت الأسدي:

وجدنا لكم في آل حاميم آية تأوّلها منّا تقيّ و معرب

إنّ في مودّة العترة الطاهرة التي أذهب اللّه عنها الرجس و طهّرها تطهيرا أداء لأجر الرسول الأعظم صلّي اللّه عليه و آله علي ما عاناه من جهد و عناء في سبيل إنقاذ البشرية من الشرك و الإلحاد، و تطوير الحياة العامّة من حياة الصحراء الحافلة بالبؤس و الشقاء إلي حياة متطوّرة تعمّها الرفاهية و الأمن و الرخاء، و قد جعل اللّه تعالي عوض أتعاب رسوله المودّة و الولاء لعترته.

2 - قال تعالي:

فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَكُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَكُمْ وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللّهِ عَلَي الْكاذِبِينَ(2).

و أجمع المفسّرون و رواة الحديث أنّ الآية الكريمة نزلت في أهل بيت

1- نور الأبصار : ١٠٤.

2- آل عمران : ٦١.

النبوة عليهم السّلام، و قد عبّرت الآية عن الأبناء بالحسن و الحسين سبطي الرحمة و إمامي الهدي، و عبّرت عن النساء بزهراء الرسول سيّدة نساء العالمين، و عن سيّد العترة الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام بأنفسنا(1).

نزلت الآية الكريمة في حادثة تاريخيّة بالغة الخطورة جرت بين الرسول صلّي اللّه عليه و آله و زعماء النصاري الروحيّين، و موجزها أنّ وفدا من النصاري ضمّ الزعماء الدينيّين منهم قدموا علي رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله ليناظروه في الإسلام، و بعد حديث دار بينهما اتّفقوا علي الابتهال أمام اللّه تعالي ليحلّ عذابه و لعنته علي الكاذبين، و عيّنوا وقتا خاصّا للمباهلة، و لمّا حان الوقت الموعود بينهم اختار النبيّ صلّي اللّه عليه و آله للمباهلة أفضل الخلق و أكرمهم عند اللّه تعالي، و هم:

- باب مدينة علمه و أبو سبطيه أمير المؤمنين عليه السّلام.

- بضعته سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السّلام.

- سبطه الأوّل الزكي الإمام الحسن عليه السّلام.

- سيّد شباب أهل الجنّة ريحانة الرسول الإمام الحسين عليه السّلام.

و أقبل بهم النبيّ صلّي اللّه عليه و آله إلي ساحة الابتهال، و خرج وفد النصاري يتقدّمهم السيّد و العاقب، و معهم فرسان بني الحرث علي خيولهم علي أحسن هيئة و استعداد.

و لمّا رأت النصاري أنّ الرسول صلّي اللّه عليه و آله قدّم للمباهلة أهل بيته و هم بهيئة تملأ

1- تفسير الرازي ٢ : ٦٩٩. تفسير البيضاوي : ٧٦. تفسير الكشّاف ١ : ٤٩. تفسير روح البيان ١ : ٤٥٧. تفسير الجلالين ١ : ٣٥. صحيح مسلم ٢ : ٤٧. صحيح الترمذي ٢ : ١٦٦. سنن البيهقي ٧ : ٦٣. مسند أحمد بن حنبل ١ : ١٨٥. مصابيح السنّة _ البغوي ٢ : ٢٠١. سير أعلام النبلاء ٣ : ١٩٣.

العيون، و تعنوا لها الجباه، امتلأت نفوسهم رعبا، و جثا النبيّ علي الأرض مع أهل بيته فتقدّم إليه السيّد و العاقب قائلين:

يا أبا القاسم، بمن تباهلنا؟ فأجابهم النبيّ صلّي اللّه عليه و آله:

«اباهلكم بخير أهل الأرض، و أكرمهم عند اللّه - و أشار إلي أهل بيته -».

و غمرتهما موجة من الفزع و الدهشة، و انبريا يقولان:

- لم لا- تباهلنا بأهل الكرامة و أهل الشارة و الكبر ممّن آمن بك و اتّبعك؟ فانطلق الرسول يؤكّد لهم أنّ أهل بيته أفضل الخلق عند اللّه تعالي قائلا:

«أجل، اباهلكم بهؤلاء خير أهل الأرض و أفضل الخلق».

و أيقنوا أنّ الرسول علي حقّ، و فزعوا مسرعين مذهولين إلي الاسقف زعيمهم، فعرضوا عليه ما رأوه فأجابهم بدهشة قائلا:

- أري وجوها لو سأل اللّه بها أحد أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله.

و خاف الاسقف علي النصاري من الهلاك و الدمار إن باهل النبيّ صلّي اللّه عليه و آله، و سارع قائلا و هو يرتعد:

- أ فلا تنظرون محمّدا رافعا يديه ينظر ما تجيئان به، و حقّ المسيح إن نطق فوه بكلمة لا نرجع إلي أهل، و لا إلي مال.

و ملء قلبه رعبا و خوفا، و هتف بقومه ثانيا قائلا:

أ لا ترون الشمس قد تغيّر لونها، و الافق تنجع فيه السحب الداكنة، و الريح تهب هائجة سوداء حمراء، و هذه الجبال يتصاعد منها الدخان، لقد أطلّ علينا العذاب، انظروا إلي الطير و هي تقيئ حواصلها، و إلي الشجر كيف تتساقط

أوراقها، و إلي هذه الأرض كيف ترجف تحت أقدامنا.

لقد أيقن الاسقف بنزول الرزء القاصم، و هلاك النصاري، فمنع قومه من المباهلة، و بادر الوفد نحو الرسول صلّي اللّه عليه و آله طالبين منه أن يعفيهم من المباهلة قائلين:

- يا أبا القاسم، أقلنا أقالك اللّه.

و خضعوا للشروط التي أملاها عليهم النبيّ صلّي اللّه عليه و آله.

و التفت النبيّ صلّي اللّه عليه و آله إلي أصحابه و إلي النصاري قائلا:

«و الذي نفسي بيده! أنّ العذاب تدلّي علي أهل نجران، و لو لاعنوا لمسخوا قردة و خنازير، و لاضطرم عليهم الوادي نارا، و لاستأصل اللّه نجران و أهله، حتي الطير علي الشجر، و ما حال الحول علي النصاري كلّهم»(1).

و أوضحت هذه الحادثة مدي الأهميّة البالغة لأهل البيت عليهم السّلام عند اللّه تعالي، و من المؤكّد أنّه لو كان في الاسرة النبوية، و سائر الصحابة من يضارعهم و يساويهم في الفضل لاختارهم النبيّ صلّي اللّه عليه و آله للمباهلة، يقول الإمام شرف الدين نضّر اللّه مثواه:

و أنت تعلم أنّ مباهلته صلّي اللّه عليه و آله بهم، و التماسه منهم التأمين علي دعائه بمجرّده لفضل عظيم، و انتخابه إيّاهم لهذه المهمّة العظيمة، و اختصاصهم بهذا الشأن الكبير، و إيثارهم فيه علي من سواهم من أهل السوابق فضل علي فضل، لم يسبقهم إليه سابق، و لن يلحقهم به لاـ حق، و نزول القرآن العزيز آمرا بالمباهلة بهم بالخصوص فضل ثالث يزيد فضل المباهلة ظهورا، و يضيف إلي شرف اختصاصهم بها شرفا، و إلي نوره نورا...»(2).

1- نور الأبصار : ١٠٠.

2- الكلمة الغرّاء : ١٨٤.

كما دلّت الآية – بوضوح – علي أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام هو نفس رسول اللّه، و هو – من دون شكّ – أفضل و أكمل من جميع خلق اللّه تعالي، فعليّ كذلك بمقتضي المساواة بينهما(1).

و قد أدلي بهذا الفخر الرازي قال: كان في الريّ رجل يقال له محمود بن الحسن الحمصي، و كان معلّم الاثني عشرية – يعني الإمامية – و كان يزعم أنّ عليّا أفضل من جميع الأنبياء سوي محمّد صلّي اللّه عليه و آله و استدلّ علي ذلك بقوله تعالي:

وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَكُمْ ؛ إذ ليس المراد بقوله تعالي: وَ أَنْفُسَنا نفس محمّد؛ لأنّ الإنسان لا يدعو نفسه، بل المراد غيرها، و أجمعوا علي أنّ ذلك الغير كان عليّ بن أبي طالب، فدلّت الآية علي أنّ نفس عليّ هي نفس محمّد صلّي اللّه عليه و آله، و لا يمكن أن يكون المراد أنّ هذه النفس عين تلك، فالمراد أنّ هذه النفس مثل تلك النفس، و ذلك يقتضي المساواة بينهما في جميع الوجوه تركنا العمل بهذا العموم في حقّ النبوّة، و في حقّ الفضل بقيام الدلائل علي أنّ محمّدا صلّي اللّه عليه و آله أفضل من عليّ، فبقي ما وراء ذلك معمولا به، ثمّ الإجماع دلّ علي أنّ محمّدا صلّي اللّه عليه و آله كان أفضل من سائر الأنبياء فيلزم أن يكون عليّ أفضل من سائر الأنبياء(2).

و هذا الرأي وثيق للغاية ليس فيه أي غلوّ بعد إقامة الدليل الحاسم عليه.

3 – قال تعالي:

هَلْ أَتي عَلَي الْإِنْسانِ... السورة.

و ذهب جمهور المفسّرين و الرواة أنّ هذه السورة نزلت في أهل بيت النبوّة(3)،

1– حياة الإمام الحسين ١ : ٧٤.

2– تفسير الرازي ٢ : ٤٨٨.

3– تفسير الرازي ١٠ : ٢٤٣. أسباب النزول ـ الواحدي : ١٣٣. روح البيان ٦ : ٥٤٦. ينابيع المودّة ١ : ٩٣. الرياض النضرة ٢ : ٢٢٧. امتاع الاسماع : ٥٠٢.

أمّا السبب في نزولها فهو أنّ السبطين سلام اللّه عليهما مرضا، فعادهما جدّهما مع كوكبة من الصحابة، و طلبوا من الإمام عليه السّلام أن ينذر للّه صوما إن عافا ولديه، فنذر الإمام صوم ثلاثة أيام، و تابعته الصدّيقة و جاريتها فضّة في هذا النذر، و لمّا أبل الحسنان من المرض صاموا جميعا، و لم يكن عند الإمام عليه السّلام شيء من الطعام ليجعله إفطارا لهم، فاستقرض ثلاثة أصواع من الشعير، و عمدت سيّدة نساء العالمين الصدّيقة سلام اللّه عليها في اليوم الأوّل إلي صاع فطحنته و خبزته، فلمّا آن وقت الافطار و إذا بمسكين طرق الباب يستميحهم شيئا من الطعام، فعمدوا جميعا إلي هبة قوتهم للمسكين، و استمرّوا علي صيامهم لم يتناولوا شيئا سوي ماء القراح، و في اليوم الثاني عمدت بضعة الرسول صلّي اللّه عليه و آله إلي الصاع الثاني فطحنته و خبزته، فلمّا حان وقت الافطار، و إذا بيتيم يشكو الجوع فتبرّعوا جميعا بقوتهم، و لم يتناولوا شيئا سوي الماء، و في اليوم الثالث قامت سيّدة النساء فطحنت ما بقي من الشعير و خبزته، فلمّا حان وقت الغروب، و إذا بأسير قد طرق الباب قد ألمّ به الجوع فسحبوا أيديهم من الطعام و منحوه له.

سبحانك اللّهمّ أي إيثار أعظم من هذا الايثار؟ إنّه لم يقصد به إلاّ وجه اللّه تعالي و ابتغاء أجره.

و وفد عليهم رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله في اليوم الرابع فرأي أجساما مرتعشة قد ذابت من الجوع، فتغيّر حاله، و طفق يقول: «وا غوثاه أهل بيت محمّد يموتون جياعا».

و لم ينه النبيّ صلّي اللّه عليه و آله كلامه حتي هبط عليه أمين الوحي و هو يحمل لهم المكافأة العظمي و هي سورة هل أتي، إنّها مغفرة و رحمة و رضوان من اللّه تعالي، و خلود في الفردوس الأعلي، و وسام شرف في الدنيا باق حتي يرث اللّه تعالي الأرض و من عليها، إنّه يحمل هذه الآيات العظام.

وَ جَزاهُمْ بِما صَبَرُوا جَنَّةً وَ حَرِيراً. مُتَّكِئِينَ فِيها عَلَي الْأَرائِكِ لا يَرَوْنَ

فِيها شَمْساً وَ لا زَمْهَرِيراً. وَ دانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُها وَ ذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلاً. وَ يُطافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَ أَكْوابٍ كانَتْ قَوارِيرَا. قَوارِيرَا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوها تَقْدِيراً. وَ يُسْقَوْنَ فِيها كَأْساً كانَ مِزاجُها زَنْجَبِيلاً(1).

إنّه عطاء سمح لا نهاية له من اللّه تعالي علي هذا الايثار الذي تجاوز حدود الزمان و المكان، و لا يوصف بكيف و لا يقدّر بكم.

4 – قال تعالي:

إِنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً(2).

أجمع المفسّرون و الرواة علي أنّ الآية المباركة نزلت في الخمسة أصحاب الكساء(3)، و هم سيّد الكائنات الرسول صلّي اللّه عليه و آله، و صنوه الجاري مجري نفسه الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام، و بضعته الطاهرة سيّدة نساء العالمين التي يرضي اللّه لرضاها و يغضب لغضبها، و ريحانتاه الحسن و الحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، و لم يشاركهم أحد من اسرة النبيّ صلّي اللّه عليه و آله و لا من غيرهم من أعلام الصحابة في هذه الفضيلة، و يؤيّد ذلك كوكبة من الأخبار الصحاح و هي:

أ – إنّ السيّدة الزكية أمّ المؤمنين أمّ سلمة قالت: نزلت هذه الآية في بيتي، و فيه كانت فاطمة و الحسن و الحسين و عليّ فجلّلهم رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله بكساء كان

1– الإنسان : ١٢ _ ١٧.

2– الأحزاب : ٣٣.

3– تفسير الرازي ٦ : ٧٨٣. صحيح مسلم ٢ : ٣٣١. الخصائص الكبري ٢ : ٢٦٤. الرياض النضرة ٢ : ١٨٨. تفسير ابن جرير ٢٢ : ٥. مسند أحمد بن حنبل ٤ : ١٠٧. سنن البيهقي ٢ : ١٥٠. مشكل الآثار ١ : ٣٣٤. ومن الجدير بالذكر أنّ ابن جرير أورد في تفسيره خمس عشرة رواية بأسانيد مختلفة باختصاص الآية في أهل البيت.

عليه، ثمّ قال: «اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرّجس و طهّرهم تطهيرا»، يكرّر ذلك، و أمّ سلمة تسمع و تري، فقالت: و أنا معكم يا رسول اللّه؟ و رفعت الكساء لتدخل فجذبه منها، و قال: «إنّك علي خير»(1).

ب - روي ابن عبّاس قال: شهدت رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله سبعة أشهر يأتي كلّ يوم باب عليّ بن أبي طالب عند وقت كلّ صلاة فيقول: «السّلام عليكم و رحمة اللّه و بركاته أهل البيت: إِنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ، الصّلاة يرحمكم اللّه» كلّ يوم خمس مرّات(2).

ج - روي أبو برزة قال: صلّيت مع رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله سبعة أشهر، فإذا خرج من بيته أتي باب فاطمة عليها السّلام، فقال: «السّلام عليكم إِنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً »(3).

إنّ قيام الرسول صلّي اللّه عليه و آله بذلك إرشاد للامّة و إلزام لها باتّباع أهل بيته الذين هم الأدلاّء علي كلّ ما ينفع الامّة في مسيرتها نحو التقدّم و التطوّر في حياتهم الدنيوية و الاخروية.

د - احتجّ الإمام الحسن عليه السّلام بالآية الكريمة علي اختصاصها بهم، فقد قال في بعض خطبه: «و أنا من أهل البيت الّذي كان جبرئيل ينزل إلينا و يصعد من عندنا، و أنا من أهل البيت الّذين أذهب اللّه عنهم الرّجس و طهّرهم تطهيرا» (4).

لقد تظافرت الأخبار من طرق العترة الطاهرة و غيرها علي اختصاص الآية

1- مستدرك الحاكم ٢ : ٤١٦. اسد الغابة ٥ : ٥٢١.

2- الدرّ المنثور ٥ : ١٩٩.

3- ذخائر العقبي : ٢٤.

4- مستدرك الحاكم ٣ : ١٧٢.

بأهل البيت، و شاع ذلك في الأوساط الإسلامية، يقول السيّد الحميري:

إنّ يوم التّطهير يوم عظيم خصّ بالفضل فيه أهل الكساء(1)

و قد حقّقنا بصورة موضوعيّة و دقيقة خروج نساء النبيّ صلّي اللّه عليه و آله عن الآية في كتابنا «حياة الإمام الحسين عليه السّلام».

هذه بعض الآيات النازلة في أهل بيت النبوّة سلام اللّه عليهم، و في طليعتهم سيّد العترة و إمام المتّقين الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام.

الآيات النازلة في الإمام و خيار الصحابة

نزلت طائفة من آيات الذكر الحكيم في حقّ الإمام عليه السّلام، و معه كوكبة من أعلام الإسلام و خيار الصحابة، و هذه بعضها:

1 - قال تعالي:

وَ عَلَي الْأَعْرافِ رِجالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيماهُمْ(2).

روي ابن عباس قال: الأعراف موضع عال من الصراط عليه العباس و حمزة و عليّ بن أبي طالب عليه السّلام و جعفر ذو الجناحين يعرفون محبّيهم ببياض وجوههم، و مبغضيهم بسواد الوجوه(3).

2 - قال تعالي:

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضي نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ

1- الأغاني ٧ : ٢٣٩.

2- الأعراف : ٤٦.

3- الصواعق المحرقة : ١٠١.

يَنْتَظِرُ وَ ما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً (1).

سئل - أي الإمام أمير المؤمنين - عن هذه الآية، و هو علي المنبر فقال:

«اللّهمّ غفرا نزلت فيّ و في عمّي حمزة، و في ابن عمّي عبيدة بن الحارث، فأمّا عبيدة فقضي نحبه شهيدا يوم بدر، و حمزة قضي شهيدا يوم أحد، و أمّا أنا فانتظر أشقاها يخضّب هذه من هذا»، و أشار بيده إلي لحيته و رأسه(2).

الآيات النازلة في حقّه و ذمّ مخالفيه

هذه كوكبة من آيات الذكر الحكيم نزلت في حقّه و ذمّ مخالفيه، الذين جاهدوا علي الغضّ من مآثره و فضائله:

1 - قال تعالي:

أَ جَعَلْتُمْ سِقايَةَ الْحاجِّ وَ عِمارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الآخِرِ وَ جاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللّهِ وَ اللّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّالِمِينَ(3).

نزلت هذه الآية في الإمام أمير المؤمنين و العباس و طلحة بن شيبة لمّا افتخروا فقال طلحة: أنا صاحب البيت بيدي مفتاحه و إليّ ثياب بيته، و قال العباس: أنا صاحب السقاية و القائم عليها، و قال الإمام:

«ما أدري ما تقولون؟ لقد صلّيت إلي القبلة ستّة أشهر قبل النّاس، و أنا صاحب الجهاد»، فنزلت الآية(4).

1- الأحزاب : ٢٣.

2- الصواعق المحرقة : ٨٠. نور الأبصار : ٨٠.

3- براءة : ١٩.

4- تفسير الطبري ١٠ : ٦٨. تفسير الرازي ١٦ : ١١. الدرّ المنثور ٤ : ١٤٦. أسباب النزول : ١٨٢.

2 – قال تعالي:

أَ فَمَنْ كانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كانَ فاسِقاً لا يَسْتَوُونَ(1).

نزلت الآية في الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام و في الوليد بن عقبة بن أبي معيط، فقد افتخر علي الإمام قائلا له: أنا أبسط منك لسانا، و أحدّ منك سنانا، و أردّ منك للكتيبة، فقال له الإمام: «اسكت، فإنّك فاسق»، فأنزل اللّه فيهما الآية(2).

3 – قال تعالي:

أَ فَمَنْ شَرَحَ اللّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ فَهُوَ عَلي نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللّهِ أُولئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ(3).

نزلت الآية في الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام و حمزة و أبي لهب و أولاده، فالإمام و حمزة شرح اللّه صدريهما بالإيمان و التقوي، و أبو لهب و أولاده قست قلوبهم و في ضلال مبين(4).

4 – قال تعالي:

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ سَواءً مَحْياهُمْ وَ مَماتُهُمْ ساءَ ما يَحْكُمُونَ(5).

نزلت الآية الكريمة في الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام، و في عمّه الشهيد حمزة،

1– السجدة : ١٨.

2– تفسير الطبري ٢١ : ٦٨. أسباب النزول _ الواحدي : ٢٦٣. تاريخ بغداد ١٣ : ٣٢١.– الرياض النضرة ٢ : ٢٠٦.

3– الزمر : ٢٢.

4– الرياض النضرة ٢ : ٣٠٧.

5– الجاثية : ٢١.

و عبيـدة، و في ثلاثة من المشـركين، و هم: عتبة و شـيبة و الوليد بن عتبة، قالوا للمؤمنين: و اللّه! ما أنتم علي شـيء، و لو كان ما تقولون حقّا لكـان حالنا أفضل من حالكم في الآخرة، كما أنّا أفضل حالا منكم في الـدنيا، فأنكر اللّه تعالي هـذا الكلام و بيّن في كتابه أنّه لا يمكن بأي حال أن يكون المؤمن المطيع للّه و لرسوله كالكافر العاصي في درجات الثواب، و منازل المتّقين(1).

5 – قال تعالي:

إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ(2).

مرّ الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام و معه جماعة من المسـلمين فسـخر منهم المنافقون، و ضـحكوا و تغامزوا اسـتهزاء و سخرية بهم، ثمّ رجعوا إلي أصـحابهم، و قالوا لهم: رأينا اليوم الأصـلع فضـحكنا منه، فنزلت الآية علي النبيّ صـلّي اللّه عليه و آله قبل أن يصل إليه الإمام و أخبره بذلك(3).

و بهذا نطوي الحديث عن بعض آيات الذكر الحكيم التي أشادت بفضل إمام المتّقين و سيّد الموحّدين، و أعلنت سموّ مكانته و عظيم شأنه عند اللّه تعالي.

1- تفسير الرازي ٩ : ٦٧٦.

2- المطفّفين : ٢٩.

3- الكشّاف ٤ : ٧٢٤.

الإمام عليه السّلام في ظلال السّنّة

اشارة

ص:159

حفلت مصادر الحديث من صحاح و سنن بكوكبة مشرقة من الأحاديث النبوية، و هي تشيد بفضل رائد العدالة الإسلامية الإمام عليه السّلام و رفعته إلي قمّة المجتمع الإسلامي.

و المتأمّل في كثرة الأحاديث و شهرتها و إشاعتها بين الرواة يطلّ علي الغاية المنشودة للنبيّ صلّي اللّه عليه و آله، و هي تركيز الإمام و ترشيحه للخلافة من بعده، ليكون امتدادا لذلك و مرجعا لامّته يقيم أودها، و يصلح شأنها، و يسير بها سيرا سجحا لا يكلم خشاشه، لتكون أمّة الإسلام قائدة لشعوب العالم و امم الأرض.

و علي كلّ حال فإنّا إذا نظرنا إلي الأخبار النبوية في فضل الإمام عليه السّلام نجد كوكبة خاصّة به، و كوكبة اخري في فضل أهل البيت عليهم السّلام و هي شاملة - بالضرورة - لأنّه سيّد العترة، و علمهم الشامخ، و فيما يلي عرض لذلك:

الكوكبة الاولي

اشارة

و تحتوي علي صور متعدّدة من التعظيم و التكريم، و الإشادة بفضل الإمام عليه السّلام... و هذه بعضها:

مكانته عند النبيّ:

اشارة

كان الإمام عليه السّلام من ألصق الناس برسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله، و من أشدّهم قربا و اتّصالا به، فهو أبو سبطيه، و باب مدينة علمه، و قد أخلص له النبيّ صلّي اللّه عليه و آله كأعظم ما يكون

الإخلاص، و قد أثرت عنه طائفة من الأحاديث دلّت علي عمق محبّته و مودّته له، و فيما يلي ذلك:

1 - الإمام نفس النبيّ:

عرضت آيـة المباهلة - بوضوح - إلي أنّ الإمام نفس النبيّ صـلّي اللّه عليه و آله، و قد ألمحنا إلي ذلك في البحوث السابقة، و قد أعلن النبيّ صلّي اللّه عليه و آله أنّ الإمام نفسه في جملة من الأخبار هذه بعضها:

أ - أخبر الوليد بن عقبة أخو عثمان لامّه، النبيّ صلّي اللّه عليه و آله أنّ بني وليعة ارتدّوا عن الإسلام، فغضب النبيّ و قال: «لينتهينّ بنو وليعة أو لأبعثنّ إليهم رجلا كنفسي، يقتل مقاتلهم و يسبي ذراريهم، و هو هذا»، ثمّ ضرب علي كتف الإمام عليه السّلام(1).

ب - روي عمرو بن العاص قال: لمّا قدمت من غزوة ذات السلاسل و كنت أظنّ أن ليس أحد أحبّ إلي رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله منّي فقلت: يا رسول اللّه، أي الناس أحبّ إليك، فـذكر اناسا، قلت: يا رسول اللّه، فأين عليّ؟ فالتفت النبيّ إلي أصـحابه، فقال: «إنّ هـذا يسألني عن النّفس»(2).

2 - الإمام أخو النبيّ:

أعلن النبيّ صلّي اللّه عليه و آله أمام الصحابة أنّ الإمام أخوه، و قد أثرت عنه في ذلك جمهرة من الأخبار هذه بعضها:

أ - روي الترمذي بسنده عن ابن عمر قال: آخي رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله بين أصحابه،

1- مجمع الزوائد ٧ : ١١٠ ، وكان الوليد كاذبا في إخباره بارتداد بني وليعة ، فنزلت الآية : (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ ...) الحجرات : ٦.

2- كنز العمّال ٦ : ٤٠٠.

فجاء عليّ تدمع عيناه، فقال: «يا رسول اللّه، آخيت بين أصحابك، و لم تواخ بيني و بين أحد؟». فقال له رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله: «أنت أخي في الدّنيا و الآخرة»(1).

إنّ اخوّة النبيّ للإمام ليست في هذه الدنيا فحسب، و إنّما هي ممتدّة إلي دار الآخرة التي لا نهاية لها.

ب – روت أسماء بنت عميس قالت: كنت في زفاف فاطمة بنت رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله فلمّا أصبحنا جاء النبيّ إلي الباب فقال: «يا أمّ أيمن، ادعي لي أخي»، فقلت: هو أخوك و تنكحه ابنتك؟ قال: «نعم، يا أمّ أيمن»(2).

ج – روي أنس بن مالك قال: صعد رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله المنبر و بعد انتهاء خطابه قال: «أين عليّ بن أبي طالب؟»، فوثب إليه عليّ قائلا: ها أنا ذا يا رسول اللّه، فضمّه إلي صدره، و قبّل بين عينيه، و قال بأعلي صوته: «معاشر المسلمين، هذا أخي و ابن عمّي و ختني، هذا لحمي و دمي و شعري، هذا أبو السّبطين الحسن و الحسين سيّدي شباب أهل الجنّة»(3).

د – روي ابن عمر قال: سمعت رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله في حجّة الوداع، و هو علي ناقته، فضرب علي منكب عليّ، و هو يقول: «اللّهمّ اشهد... اللّهمّ قد بلّغت هذا أخي، و ابن عمّي، و صهري، و أبو ولديّ. اللّهمّ كبّ من عاداه في النّار»(4).

ه – قال رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله: «لمّا اسري بي إلي السّماء السّابعة قال لي جبرئيل: تقدّم يا محمّد فو اللّه ما نال هذه الكرامة ملك مقرّب، و لا نبيّ مرسل، فأوحي لي

1- صحيح الترمذي ٢ : ٢٩٩. مستدرك الحاكم ٣ : ١٤.

2- مستدرك الحاكم ٣ : ٢١٠. خصائص النسائي : ١٧٤ ، ح ١٢٤.

3- ذخائر العقبي : ٩٢.

4- كنز العمّال ٣ : ٦١.

ربّي شيئا، فلمّا أن رجعت نادي مناد من وراء الحاجب: نعم الأب أبوك إبراهيم، و نعم الأخ أخوك عليّ، فاستوص به خيرا»(1).

و – قال رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله: «إذا كان يوم القيامة نوديت من بطنان العرش:

يا محمّد، نعم الأب أبوك إبراهيم، و نعم الأخ أخوك عليّ»(2).

ز – روي أبو الطفيل عامر بن وائلة قال: كنت علي الباب يوم الشوري، فارتفعت الأصوات بينهم، فسمعت عليّا يقول: «بايع النّاس أبا بكر و أنا و اللّه أولي بالأمر منه، و أحقّ به منه، فسمعت و أطعت، مخافة أن يرجع النّاس كفّارا يضرب بعضهم رقاب بعض بالسّيف، ثمّ بايع النّاس عمر و أنا و اللّه أولي منه، و أحقّ به منه، فسمعت و أطعت مخافة أن يرجع النّاس كفّارا يضرب بعضهم رقاب بعض بالسّيف، ثمّ أنتم تريدون أن تبايعوا عثمان إذن أسمع و اطيع، إنّ عمر جعلني في خمسة نفر أنا سادسهم، لا يعرف لي فضلا عليهم في الصّلاح، و لا يعرفونه لي، كلّنا فيه شرع سواء، و أيم اللّه لو أشاء أتكلّم ثمّ لا يستطيع عربيّهم و لا عجميّهم، و لا المعاهد منهم و لا المشرك، ردّ خصلة منها، لفعلت».

ثمّ قال: «نشدتكم اللّه أيّها النّفر جميعا، أ فيكم أحد أخو رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله غيري؟»، قالوا: اللّهمّ لا(3).

و حكي هذا الحديث أمرا بالغ الأهمّية، و هو إقدام الشيخين علي الاستيلاء علي الخلافة، و تجاهلهما لمقامه عليه السّلام مع علمهما أنّه أحقّ بالأمر و أولي بها منهما، خصوصا عمر، فقد تجاهل فضله بالمرّة فقرنه بأعضاء الشوري الذين لم يكن فيهم أحد يساوي مركزه، فهو أخو النبيّ، و صاحب المواقف المشهودة يوم بدر و احد

1- كنز العمّال ٣ : ١٦١.

2- المصدر السابق : ١٦٢.

3- المصدر السابق ٥ : ٧٢٥.

و الأحزاب... أمّا السبب في إحجامه عن منازعة القوم بالقوّة فهو خوفه علي ارتداد المسلمين و رجوعهم إلي الجاهلية الاولي، فأطاع و سمع، و لكن في الحلق شجي و في العين قذي علي حدّ تعبيره في خطبته الشقشقية.

ح – قال الإمام عليه السّلام: «أنا عبد اللّه، و أخو رسوله، و أنا الصّدّيق الأكبر، لا يقولها بعدي إلاّ كذّاب، صلّيت قبل النّاس بسبع سنين»(1).

ط – قال الإمام أبو جعفر عليه السّلام: «لمّا نزلت الآية وَ اجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي.

هارُونَ أَخِي. اُشْدُدْ بِهِ أَزْرِي(2)،

كان رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله علي جبل فدعا ربّه، و قال:

اللّهمّ اشدد أزري بأخي عليّ»(3).

3 – النبيّ و الإمام من شجرة واحدة:

أعلن النبيّ صلّي اللّه عليه و آله أنّه و الإمام من شجرة واحدة، و قد أثر عنه ذلك في طائفة من الأخبار، و هذه بعضها:

أ – روي جابر بن عبد اللّه قال: سمعت رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله يقول لعليّ: «يا عليّ، النّاس من شجر شتّي، و أنا و أنت من شجرة واحدة»، ثمّ قرأ رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله:

وَ جَنّاتٌ مِنْ أَعْنابٍ وَ زَرْعٌ وَ نَخِيلٌ صِنْوانٌ وَ غَيْرُ صِنْوانٍ يُسْقي بِماءٍ واحِدٍ(4).

ب – قال رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله: «أنا و عليّ من شجرة واحدة، و النّاس من أشجار شتّي»(5).

1– سنن ابن ماجة ١ : ١٢. مستدرك الحاكم ٣ : ١١١. تاريخ الطبري ٢ : ٥٦.

2– طه : ٢٩ _ ٣١.

3– كنز العمّال ٧ : ١١٣. مستدرك الحاكم ٣ : ٢١٠.

4– الرعد : ٤. كنوز الحقائق : ١٥٥.

5– كنز العمّال ٦ : ١٥٤.

ما أجلّ و أسـمي تلك الشـجرة التي تفرّع منها سيّد الكائنات و رائد الحضارة الإنسانية الرسول صلّي اللّه عليه و آله و باب مدينة علمه الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام... إنّها الشجرة المباركة التي أصلها ثابت و فرعها في السماء و التي أنتجت في جميع الأجيال ما ينفع الناس.

4 - الإمام وزير النبيّ:

أكّد النبيّ صلّي اللّه عليه و آله في كثير من الأحاديث أنّ الإمام عليه السّلام وزيره، و هذه بعضها:

أ - روت أسـماء بنت عميس قالت: سـمعت رسول اللّه صـلّي اللّه عليه و آله يقول: «اللّهمّ إنّي أقول كما قال أخي موسـي: اللّهمّ اجعل لي وزيرا من أهلي، أخي عليّا، اشدد به أزري، و أشركه في أمري، كي نسبّحك كثيرا، و نذكرك كثيرا، إنّك كنت بنا بصيرا»(1).

ب - روي الصـحابي الجليل أبو ذرّ الغفاري قال: صـلّيت مع رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله يوما من الأيام الظهر، فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئا، فرفع السائل يديه إلي السماء و قال: اللّهمّ اشهد إنّي سألت في مسجد نبيّك محمّد صلّي اللّه عليه و آله فلم يعطني أحد شيئا، و كان عليّ في الصـلاة راكعا فأومأ إليه بخنصره اليمني، و فيها خاتم، و ذلك بمرأي النبيّ و هو في المسجد، فرفع رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله طرفه إلي السماء و قال:

«اللّهمّ إنّ أخي موسي سألك فقال:

رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي. وَ يَسِّرْ لِي أَمْرِي. وَ احْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي. يَفْقَهُوا قَوْلِي. وَ اجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي. هارُونَ أَخِي. اُشْدُدْ بِهِ أَزْرِي.

وَ أَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي(2)، فأنزلت عليه قرآنا: سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَ نَجْعَلُ لَكُما 1

1- الرياض النضرة ٢ : ١٦٣.

2- طه : ٢٥ _ ٣٢.

سُلْطاناً فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُما(1)، اللّهمّ و إنّي محمّد نبيّك و صفيّك، اللّهمّ فاشرح لي صدري، و يسّر لي أمري، و اجعل لي وزيرا من أهلي، عليّا اشدد به ظهري».

قال أبو ذرّ: فما استتمّ دعاؤه حتي نزل عليه جبرئيل من عند اللّه بهذه الآية:

إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ راكِعُونَ(2)»(3).

5 - الإمام خليفة النبيّ:

أعلن النبيّ صلّي اللّه عليه و آله خلافة الإمام من بعده في بداية الدعوة الإسلامية، و ذلك حينما دعا الاسر القرشية إلي اعتناق الإسلام، و في ختام دعوته قال للقرشيّين:

«إذا هذا - يعني عليّا - أخي، و وصيّي، و خليفتي فيكم فاسمعوا له و أطيعوا»(4).

لقد قرن الرسول صلّي اللّه عليه و آله خلافة الإمام من بعده بالدعوة إلي الإسلام، و نبذ الوثنية و الشرك، و بالإضافة لذلك فإنّ هناك جمهرة من الأخبار أعلن فيها النبيّ صلّي اللّه عليه و آله خلافة الإمام من بعده، و هذه بعضها:

أ - قال رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله: «يا عليّ، أنت خليفتي علي أمّتي»(5).

ب - قال رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله: «عليّ بن أبي طالب أقدمهم سلما، و أكثرهم علما،

1- القصص : ٣٥.

2- المائدة : ٥٥.

3- نور الأبصار : ٧٠. تفسير الرازي ١٢ : ٢٦.

4- تاريخ الطبري ٢ : ١٢٧. تاريخ ابن الأثير ٢ : ٢٢. تاريخ أبي الفداء ١ : ١١٦. مسند أحمد ١ : ٣٣١. كنز العمّال ٦ : ٣٩٩.

5- المراجعات : ٢٠٨.

و هو الإمام و الخليفة بعدي»(1).

ج – قال رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله:

«معاشر النّاس، من أحسن من اللّه قيلا؟ إنّ ربّكم جلّ جلاله أمرني أن اقيم لكم عليّا علما و إماما و خليفة و وصيّا»(2).

د – قال رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله:

«عليّ منّي، و أنا من عليّ، قاتل اللّه من قاتل عليّا، عليّ إمام الخليقة بعدي»(3).

ه – قال صلّي اللّه عليه و آله:

«إنّ اللّه أوحي إليّ أنّه جاعل لي من أمّتي أخا، و وارثا، و خليفة، و وصيّا، فقلت: يا ربّ من هو؟ فقال: ذاك من احبّه و يحبّني، و هو عليّ بن أبي طالب»(4).

و كثير من أمثال هذه الأحاديث رويت بأسانيد صحيحة عن أئمّة الهدي عليهم السّلام و غيرهم، و هي صريحة الدلالة واضحة البيان، لا لبس و لا اجمال و لا غموض فيها، في أنّ النبيّ صلّي اللّه عليه و آله قد نصب الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام خليفة من بعده علي امّته و قائدا لمسيرتها نحو الأفضل،

فقد أكّد النبيّ صلّي اللّه عليه و آله ضرورة الخلافة من بعده فقد قال لعليّ: «لا ينبغي أن أذهب إلاّ و أنت خليفتي»(5).

6 – الإمام من النبيّ كهارون من موسي:

اشارة

و أثرت عن النبيّ صلّي اللّه عليه و آله جمهرة من الأحاديث ذات مضمون و مفاد واحد،

أنّه صلّي اللّه عليه و آله قال لعليّ: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسي...» و هذا عرض لبعضها:

1– المراجعات : ۲۰۹.

2– المراجعات : ۲۰۹.

3– المصدر السابق : ۱۱۰.

4– المصدر السابق : ۱۱۰.

5– فضائل الخمسة من الصحاح الستّة ۲ : ۲۱.

أ – قال النبيّ صلّي اللّه عليه و آله لعليّ: «أ ما ترضي أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسي إلاّ أنّه ليس نبيّ بعدي»(1).

ب – روي سعيد بن المسيّب، عن عامر بن سعد بن أبي وقّاص، عن أبيه سعد قال: قال رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله لعليّ: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسي إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي»، قال سعيد: فأحببت أن اشافه بها سعدا، فلقيت سعدا فحدّثته بما حدّثني به عامر، فقال: أنا سمعته، فقلت: أنت سمعته؟! فوضع اصبعه علي اذنيه فقال:

نعم، و إلاّ فاستكّتا(2).

ج – روي جابر بن عبد اللّه أنّ النبيّ قال لعليّ: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسي إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي»(3).

د – لمّا آخي النبيّ صلّي اللّه عليه و آله بين أصحابه قال عليّ عليه السّلام للنبيّ: «لقد ذهب روحي، و انقطع ظهري حين رأيتك فعلت بأصحابك ما فعلت، غيري، فإن كان هذا من سخط عليّ فلك العتبي و الكرامة»، فقال رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله: «و الّذي بعثني بالحقّ ما أخّرتك إلاّ لنفسي، و أنت منّي بمنزلة هارون من موسي غير أنّه لا نبيّ بعدي، و أنت أخي، و وارثي»، قال عليّ: «و ما أرث منك يا رسول اللّه؟»، قال: «ما ورّث الأنبياء من قبلي»، قال: «و ما ورّث الأنبياء من قبلك؟»، قال: «كتاب ربّهم، و سنّة نبيّهم، و أنت معي في قصري في الجنّة مع فاطمة ابنتي، و أنت أخي و رفيقي»(4).

1- مسند أبي داود ١ : ٢٩. حلية الأولياء ٧ : ١٩٥. مشكل الآثار ٢ : ٣٠٩. مسند أحمد بن حنبل ١ : ١٨٢. تاريخ بغداد ١١ : ٤٣٢. خصائص النسائي : ١٦.

2- اسد الغابة ٤ : ٢٦. خصائص النسائي : ١٥. صحيح مسلم _ كتاب فضائل الأصحاب ٧ : ١٢٠.

3- صحيح الترمذي ٢ : ٣٠١. تاريخ بغداد ٣ : ٢٨٨. مسند أحمد ٣ : ٢٣٨.

4- كنز العمّال ١٣ : ١٠٥.

ه – قال النبيّ صلّي اللّه عليه و آله لعقيل: «يا عقيل، و اللّه إنّي لأحبّك لخصلتين: لقرابتك، و لحبّ أبي طالب إيّاك، و أمّا أنت يا جعفر فإنّ خلقك يشبه خلقي، و أمّا أنت يا عليّ، فأنت منّي بمنزلة هارون من موسي غير أنّه لا نبيّ بعدي»(1).

و – قال عمر بن الخطّاب: كفّوا عن ذكر عليّ بن أبي طالب فإنّي سمعت رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله يقول: «في عليّ ثلاث خصال»، لأن يكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ ممّا طلعت عليه الشمس: كنت أنا و أبو بكر و أبو عبيدة الجرّاح و نفر من أصحاب رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله و النبيّ متّكئ علي عليّ بن أبي طالب، حتي ضرب بيده علي منكبه، ثمّ قال: «أنت يا عليّ، أنت أوّل المؤمنين إيمانا، و أوّلهم إسلاما»، ثمّ قال: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسي»(2).

ز – قال سعد بن أبي وقّاص: سمعت رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله يقول: لعليّ ثلاث خصال، لأن يكون لي واحدة منها أحبّ إليّ من الدنيا و ما فيها، سمعته يقول:

«أنت منّي بمنزلة هارون من موسي إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي»،

و سمعته يقول: «لاعطينّ الرّاية غدا رجلا يحبّ اللّه و رسوله و يحبّه اللّه و رسوله ليس بفرّار»،

و سمعته يقول:

«من كنت مولاه فعليّ مولاه...»(3).

و قد شاع هذا الحديث، و قد نظمه الشهيد الخالد زيد بن عليّ بن الحسين عليه السّلام بقوله:

و من فضل الأقوام يوما برأيه فإنّ عليّا فضّلته المناقب

و قول رسول اللّه و الحقّ قوله و إن رغمت منه الانوف الكواذب

بأنّك منّي يا عليّ معالنا كهارون من موسي أخ لي و صاحب

1- كنز العمّال ٦ : ١٨٨.

2- المصدر السابق : ٣٩٥. الرياض النضرة ٢ : ١٦٣.

3- المصدر السابق : ٤٠٥.

دعاه ببدر فاستجاب لأمره فبادر في ذات الإله يضارب(1)

أمّا دلالة الحديث فواضحة في أنّ الإمام وزير النبيّ و خليفته كهارون من موسي، فهو وزيره و خليفته من بعده علي امّته:

احتجاج الإمام بالحديث:

و احتجّ الإمام عليه السّلام بحديث المنزلة حينما بويع عثمان بن عفّان، فقد قال للمهاجرين و الأنصار: «فهل تعلمون أنّ رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله قال لي: أنت منّي بمنزلة هارون من موسي».. ثمّ قال: «فهل لخلق مثل هذه المنزلة؟ نحن صابرون ليقضي اللّه أمرا كان مفعولا»(2).

إنّ القوم سمعوا هذا الحديث من النبيّ صلّي اللّه عليه و آله، و سمعوا ما هو أعظم من ذلك صراحة، و هو حديث الغدير، و لكنّ الأطماع اترعت بها نفوسهم و صدّتهم عن الطريق القويم.

7 - الإمام باب مدينة علم النبيّ:

و كان ممّا أشاد به النبيّ بسموّ الإمام و عظيم منزلته أن جعله بابا لمدينة علمه، و قد روي هذا الحديث بعدّة طرق، و نال الدرجة القطعية في سنده، و قد أثر عن النبيّ صلّي اللّه عليه و آله في عدّة مناسبات منها:

أ - روي جابر بن عبد اللّه قال: سمعت رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله يوم الحديبية، و هو آخذ بيد عليّ عليه السّلام، و هو يقول: «هذا أمير البررة، و قاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله»، يمدّ بها صوته: «أنا مدينة العلم و عليّ بابها، فمن أراد البيت

1- فوات الوفيات ٢ : ٣٨.

2- كنز العمّال ٣ : ١٥٤.

فليأت الباب»(1).

ب – روي ابن عبّاس قال: قال رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله: «أنا مدينة العلم و عليّ بابها، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها»(2).

ج – قال صلّي اللّه عليه و آله: «عليّ باب علمي، و مبيّن لامّتي ما أرسلت به من بعدي، حبّه إيمان، و بغضه نفاق، و النّظر إليه رأفة»(3).

إنّ الإمام عليه السّلام باب مدينة علم النبيّ صلّي اللّه عليه و آله، فما يؤثر عنه من معالم الدين، و أحكام الشريعة، و محاسن الأخلاق، و قواعد الآداب، فإنّها مستمدّة من النبيّ صلّي اللّه عليه و آله و مأخوذة عنه، و لازم ذلك وجوب التعبّد و الأخذ بها.

إنّ النبيّ صلّي اللّه عليه و آله خلّف ينبوعا من العلم يمدّ الحياة بالحكمة و الازدهار، و قد أودعه عند الإمام عليه السّلام لتنتهل منه امّته، و لكن من المؤسف أنّ القوي الحاقدة علي الإمام من قريش قد سدّت نوافذ ذلك النور، و حرمت الامّة من الاستفادة منه، و تركتها تتخبّط في مجاهيل هذه الحياة.

8 – الإمام باب حكمة النبيّ:

أعلن النبيّ صلّي اللّه عليه و آله أنّ الإمام عليه السّلام باب دار حكمته، و قد أثرت في ذلك جمهرة من الأحاديث كان منها:

أ – قال رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله: «أنا دار الحكمة و عليّ بابها»(4).

1– تاريخ بغداد ٢ : ٣٧٧.

2– كنز العمّال ٦ : ٤٠١.

3– كنز العمّال ٦ : ١٥٦. الصواعق المحرقة : ٧٣.

4– صحيح الترمذي ٢ : ٢٩٩. حلية الأولياء ١ : ٦٤. كنز العمّال ٦ : ٤٠١.

ب – قال صلّي اللّه عليه و آله: «أنا مدينة الحكمة و عليّ بابها، فمن أراد الحكمة فليأت الباب»(1).

ج – و قريب من هاتين الروايتين قوله صلّي اللّه عليه و آله: «قسّمت الحكمة عشرة أجزاء فأعطي عليّ تسعة أجزاء و النّاس جزءا واحدا»(2).

لقد كان الإمام عليه السّلام رائد الحكمة، و دليلها الهادي الذي فتق أبواب الحكمة الإلهية و وضع اسسها، و فلاسفة المسلمين عليه عيال في هذا الباب.

9 – الإمام أحبّ الناس إلي النبيّ:

و الشيء المؤكّد أنّ الإمام عليه السّلام أحبّ الناس إلي النبيّ صلّي اللّه عليه و آله، فقد سئلت عائشة عن أحبّ النّاس إلي رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله قالت: فاطمة عليها السّلام، قيل لها: و من الرّجال؟ قالت: زوجها إن كان ما علمت صوّاما قوّاما(3).

و روي معاوية بن ثعلبة قال: جاء رجل إلي أبي ذرّ، و هو بمسجد رسول اللّه، فقال له: أ لا تخبرني عن أحبّ الناس إليك؟ فإنّي أعرف أنّ أحبّ الناس إليك أحبّهم لرسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله، قال أبو ذرّ: إي و ربّ الكعبة، أحبّهم إليّ أحبّهم لرسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله، هو ذلك الشيخ، و أشار إلي الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام(4).

10 – الإمام شبيه الأنبياء:

كان النبيّ صلّي اللّه عليه و آله في مجتمع من أصحابه، فقال لهم: «إن تنظروا إلي آدم في علمه، و نوح في همّه، و إبراهيم في خلقه، و موسي في مناجاته، و عيسي في

1– تاريخ بغداد ١١ : ٢٠٤.

2– حلية الأولياء ١ : ٦٤. وقريب منه في كنز العمّال ٦ : ١٥٤.

3– صحيح الترمذي ٥ : ٧٠١، رقم الحديث ٣٨٧٤. سنن الترمذي ٥ : ٣٦٠.

4– جواهر المطالب ١ : ٥٥.

سنّه، و محمّد في هديه و حلمه، فانظروا إلي هذا المقبل»، فتطاولت الأنظار إليه فإذا هو الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام، و قد نظم ذلك الشاعر الكبير أبي عبد اللّه المفجّع في قصيدته العصماء التي نظم فيها الكثير من مآثره و مناقبه يقول:

أيّها اللاّئمي لحبّي عليّا قم ذميما إلي الجحيم خزيّا

أ بخير الأنام عرّضت لا زل ت مذودا عن الهدي مزويّا

أشبه الأنبياء طفلا و زولا(1) و فطيما و راضعا و غذيّا

كان في علمه كآدم إذ ع لم شرح الأسماء و المكنيّا

و كنوح من الهلاك نجا في مسير و إذ علا الجوديّا(2)

11 - الإمام سيّد العرب:

روي الإمام الحسين عليه السّلام عن جدّه صلّي اللّه عليه و آله أنّه قال لأنس: «يا أنس، إنّ عليّا سيّد العرب» فبادرت عائشة قائلة: أ لست سيّد العرب؟ فقال: «أنا سيّد ولد آدم، و عليّ سيّد العرب»(3).

12 - الإمام أحبّ الخلق إلي اللّه:

روي أنس قال: قدّمت لرسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله طيرا، فسمّي رسول اللّه و أكل لقمة، و قال: «اللّهمّ ائتني بأحبّ الخلق إليك»، فضرب الباب، فقلت: من أنت؟ قال:

عليّ، قلت: إنّ رسول اللّه لعلي حاجة، ثمّ أكل لقمة اخري، و قال مثل الاولي، فضرب عليّ الباب، فقلت: من أنت؟ قال: عليّ، قلت: إنّ رسول اللّه علي حاجة، ثمّ أكل النبيّ لقمة اخري و قال مثل ذلك، و ضرب عليّ الباب و رفع صوته،

1- الزّول : الفتي ، الفطن.

2- معجم الأدباء ١٧ : ٢٠٠.

3- حلية الأولياء ٥ : ٣٨.

فقال النبيّ: «يا أنس، افتح له الباب»، ففتحت الباب فدخل، فلمّا رآه تبسّم ثمّ قال: «الحمد للّه الّذي جاء بك فإنّي أدعو في كلّ لقمة أن يأتيني اللّه بأحبّ الخلق إليه و إليّ، فكنت أنت»، فقال: «و الّذي بعثك بالحقّ إنّي لأضرب الباب ثلاثا و يردّني أنس»، فقال رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله لأنس: «لم رددته؟» قلت: كنت أحبّ أن يكون رجلا من الأنصار، فتبسّم النبيّ، و قال: «ما يلام الرّجل علي حبّ قومه»(1).

إنّ حديث الطائر المشوي من أوثق الأحاديث النبوية، و قد تمسّكت به الشيعة في الاستدلال علي أحقّية الإمام للخلافة؛ لأنّ أحبّ الناس إلي اللّه تعالي إنّما هو أفضلهم و أتقاهم و أعلمهم، فلا بدّ أن يكون أحقّ الناس بالخلافة(2)، و ذلك لتوفّر هذه الصفات فيه.

13 - إطاعة الإمام إطاعة للرسول:

و أكّد النبيّ صلّي اللّه عليه و آله في كثير من أحاديثه أنّ طاعة الإمام إطاعة للّه تعالي و لرسوله كان منها هذا الحديث:

قال صلّي اللّه عليه و آله: «من أطاعني فقد أطاع اللّه، و من عصاني فقد عصي اللّه، و من أطاع عليّا فقد أطاعني، و من عصي عليّا فقد عصاني»(3).

14 - من أحبّ عليّا فقد أحبّ اللّه:

و تظافرت الأخبار عن النبيّ صلّي اللّه عليه و آله في أنّ من أحبّ الإمام عليه السّلام فقد أحبّ اللّه تعالي، و هذه طائفة من الأخبار متقاربة المعني و هي:

1- ذخائر العقبي : ٦١ ، وقريب منه في : تاريخ بغداد ٣ : ١٧١. اسد الغابة ٤ : ٣٠. كنز العمّال ٦ : ٤٠٦. صحيح الترمذي ٢ : ٢٩٩.

2- دلائل الصدق ٢ : ٤٣.

3- مستدرك الحاكم ٣ : ١٢٤.

أ – قال صلّي اللّه عليه و آله:

«أوصـي من آمن بي و صـدّقني بولايـة عليّ بن أبي طالب، فمن تولاّه فقـد تولاّني، و من تولاّني فقد تولّي اللّه، و من أحبّه فقد أحبّني، و من أحبّني فقد أحبّ اللّه، و من أبغضه فقد أبغضني، و من أبغضني فقد أبغض اللّه عزّ و جلّ»(1).

ب – قال صلّي اللّه عليه و آله لعليّ عليه السّلام لمّا اختاره لقراءة سورة براءة علي أهل مكّة:

«من أحبّك أحبّني، و من أحبّني أحبّ اللّه، و من أحبّ اللّه أدخله الجنّة»(2).

ج – روي ابن عبّاس قال: خرج رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله قابضا علي يد عليّ عليه السّلام ذات يوم فقال:

«ألا من أبغض هذا فقد أبغض اللّه و رسوله، و من أحبّ هذا فقد أحبّ اللّه و رسوله»(3).

د – روي أبو رافع قال: بعث رسول اللّه صـلّي اللّه عليه و آله عليّا أميرا علي اليمن، و خرج معه رجل من أسلم يقال له عمرو بن شاس، فرجع و هو يذمّ عليّا و يشـكوه، فبعث إليه رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله، فقال له: «اخسأ يا عمرو، هل رأيت من عليّ جورا في حكمه، أو أثرة في قسمة؟»، قال: اللّهمّ لا.

قال: «فعلام تقول الّذي بلغني؟» قال: أبغضه، و لا أملك نفسي، فغضب رسول اللّه حتي عرف ذلك في وجهه ثمّ قال:

«من أبغضه فقد أبغضني، و من أبغضني فقد أبغض اللّه، و من أحبّه فقد أحبّني، و من أحبّني فقد أحبّ اللّه تعالي»(4).

1- الرياض النضرة ٢ : ١٦٦. مجمع الزوائد ٩ : ١٠٨. كنز العمّال ٦ : ١٥٤.

2- كنز العمّال ٦ : ٣٩١.

3- كنز العمّال ٦ : ٣٩١.

4- مجمع الهيثمي ٩ : ١٢٩.

حكت هـذه الأحـاديث أنّ الإمـام أمير المؤمنين عليه السّـلام نفس رسول اللّه صـلّي اللّه عليه و آله، و أنّ مـا يرضـي عليّا فهو يرضـيه، و ما يسخطه فهو يسخطه، و بذلك فقد نال الإمام عليه السّلام منزلة من النبيّ صلّي اللّه عليه و آله لم ينالها أحد غيره.

15 - حبّ عليّ إيمان، و بغضه نفاق:

أعلن النبيّ صلّي اللّه عليه و آله أنّ حبّ الإمام إيمان و تقوي، و بغضه نفاق و معصية، و هذه بعض ما أثر عنه:

أ - قال عليّ عليه السّلام:

«و الّذي فلق الحبّة و برأ النّسمة إنّه لعهد النّبيّ الامّي إليّ أن لا يحبّني إلاّ مؤمن، و لا يبغضني إلاّ منافق»(1).

ب - روي المساور الحميري عن امّه قالت: دخلت علي أمّ سلمة فسمعتها تقول: كان رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله يقول:

«لا يحبّ عليّا منافق، و لا يبغضه مؤمن»(2).

ج - روي ابن عبّاس قال: نظر رسول اللّه صـلّي اللّه عليه و آله إلي عليّ عليه السّـلام فقال: «لا يحبّك إلاّ مؤمن، و لا يبغضك إلاّ منافق، من أحبّك فقد أحبّني، و من أبغضك فقد أبغضني، و حبيبي حبيب اللّه، و بغيضي بغيض اللّه، ويل لمن أبغضك بعدي»(3).

د - روي أبو سعيد الخدري قال: قال رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله لعليّ عليه السّلام: «حبّك إيمان،

1- صحيح الترمذي ٢ : ٣٠١. صحيح ابن ماجة : ١٢. تاريخ بغداد ٢ : ٢٥٥. حلية الأولياء ٤ : ١٨٥.
2- صحيح الترمذي ٢ : ٢٩٩.
3- مجمع الزوائد ٩ : ١٣٣.

و بغضك نفاق، و أوّل من يدخل الجنّة محبّك، و أوّل من يدخل النّار مبغضك»(1).

و شاعت هذه الأحاديث عند الصحابة، و صاروا يطبّقونها علي من أحبّ الإمام فوصفوه بالإيمان، و علي من أبغضه بالنفاق، يقول الصحابي الجليل أبو ذرّ الغفاري: ما كنّا نعرف المنافقين إلاّ بتكذيبهم اللّه و رسوله، و التخلّف عن الصلوات، و البغض لعليّ بن أبي طالب(2).

و قال الصحابي الكبير جابر بن عبد اللّه الأنصاري: ما كنّا نعرف المنافقين إلاّ ببغض عليّ بن أبي طالب عليه السّلام(3).

16 - عنوان صحيفة المؤمن حبّ عليّ:

إنّ الصحيفة المشرقة للمؤمنين يوم يلقون اللّه تعالي هي الولاء و المحبّة للإمام أمير المؤمنين عليه السّلام. و روي ذلك عن النبيّ صلّي اللّه عليه و آله،

يقول أنس بن مالك: و اللّه الذي لا إله إلاّ هو سمعت رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله يقول:

«عنوان صحيفة المؤمن حبّ عليّ بن أبي طالب»(4).

17 - إخبار النبيّ بما يجري علي الإمام من بعده:

استشفّ النبيّ صلّي اللّه عليه و آله من وراء الغيب ما يعانيه الإمام من بعده، و ما يجري عليه من صنوف المحن و الخطوب فقال له:

«أما إنّك ستلقي بعدي جهدا».

فانبري الإمام قائلا:

1- نور الأبصار _ الشبلنجي : ٧٢.
2- مستدرك الحاكم ٣ : ١٢٩.
3- الاستيعاب ٢ : ٤٦٤.
4- تاريخ بغداد ٤ : ٤١٠.

«أ في سلامة من ديني؟».

و سارع النبيّ صلّي اللّه عليه و آله قائلا:

«في سلامة من دينك»(1).

و لم يحفل الإمام بما يواجهه من الأزمات و المصاعب ما دام علي ثقة من دينه.

18 - النبيّ يخبر الإمام بغدر الامّة به:

و أحاط النبيّ صلّي اللّه عليه و آله وصيّه و باب مدينة علمه الإمام عليه السّلام بغدر الامّة به من بعده، و قد أخبر الإمام عليه السّلام بذلك، فقال:

«و اللّه إنّه لعهد النّبيّ الامّي إليّ أنّ الامّة ستغدر بي»(2).

و روي حيّان الأسدي قال: سمعت عليّا عليه السّلام يقول:

«قال لي رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله: إنّ الامّة ستغدر بك بعدي، و أنت تعيش علي ملّتي، و تقتل علي سنّتي، من أحبّك أحبّني، و من أبغضك أبغضني و إنّ هذه - و أشار إلي كريمته - ستخضب من هذا، و أشار إلي رأسه»(3).

لقد غدرت الامّة برائد العدالة الإسلامية الممثّل الأوّل لهدي النبيّ صلّي اللّه عليه و آله و سيرته فأقصته عن مركزه، و أبعدته عن مقامه، و تركته في أرباض بيته يسامر الهموم، و يعالج البرحاء، فإنّا للّه و إنّا إليه راجعون.. و بهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض الأحاديث النبوية التي رواها أصحاب الصحاح و السنن عن النبيّ صلّي اللّه عليه و آله في سموّ منزلة الإمام و عظيم مكانته عنده.

1- مستدرك الحاكم ٣ : ١٤٠.

2- مجمع الزوائد ٩ : ١٣٧.

3- مستدرك الحاكم ٣ : ١٤٢. كنز العمّال ٦ : ١٥٧.

الكوكبة الثانية

اشارة

و ننتقل إلي عرض بعض الأخبار التي أثرت عن النبيّ صلّي اللّه عليه و آله في شأن الإمام عند اللّه تعالي، و ما أعدّ له من الكرامة.

منزلة الإمام في الدار الآخرة:

اشارة

و تحدّثت كوكبة من الأخبار التي أثرت عن النبيّ صلّي اللّه عليه و آله فيما أعدّ اللّه تعالي من الكرامة للإمام في الدار الآخرة، و هذه بعضها:

1 - الإمام حامل لواء الحمد:

و تظافرت الأخبار الصحاح عن النبيّ أنّ الإمام في يوم القيامة يمنحه اللّه تعالي شرف حمل لواء الحمد، و هو وسام لم يمنح لغيره، و هذه بعض الأخبار:

أ - قال صلّي اللّه عليه و آله لعليّ عليه السّلام: «أنت أمامي يوم القيامة، فيدفع لي لواء الحمد فأدفعه إليك، و أنت تذود النّاس عن حوضي»(1).

ب - روي ابن عبّاس قال: سمعت عمر بن الخطّاب يقول: كفّوا عن ذكر عليّ ابن أبي طالب، فلقد رأيت من رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله فيه خصالا لأن تكون لي واحدة منهنّ في آل الخطّاب أحبّ إليّ ممّا طلعت عليه الشمس، كنت أنا و أبو بكر و أبو عبيدة في نفر من أصحاب رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله فانتهينا إلي باب أمّ سلمة، و عليّ قائم علي الباب، فقلنا: أردنا رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله، فقال: «يخرج إليكم»، فخرج رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله فسرنا إليه، فاتّكأ علي عليّ بن أبي طالب، ثمّ ضرب بيده علي منكبه، و قال له:

«إنّك مخاصم تخاصم... أنت أوّل المؤمنين إيمانا، و أعلمهم بأيّام اللّه، و أوفاهم بعهده، و أقسمهم بالسّويّة، و أرأفهم بالرّعيّة، و أعظمهم رزيّة، و أنت

1- كنز العمّال ٦ : ٤٠٠.

عاضدي، و غاسلي، و دافني، و المتقدّم إلي كلّ شدّة و كريهة، و لن ترجع بعدي كافرا، و أنت تتقدّمني بلواء الحمد، و تذود عن حوضي»(1).

حكي هذا الحديث بعض الصفات الماثلة في الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام، و التي منها:

- إنّ الإمام أوّل الناس إسلاما، و أقدمهم إيمانا.

- إنّه أعلم المسلمين و أكثرهم إحاطة بأيام اللّه تعالي، بل و في أحكامه.

- إنّه أوفي الناس بالعهد.

- إنّه أسمي و أجلّ حاكم في دنيا الإسلام، فهو الذي يقسّم بالسوية و لا يخضع لأيّة عاطفة أو هوي سوي مرضاة اللّه تعالي.

- إنّه أرأف حاكم بالرعية.

- إنّه من أعظم المسلمين رزية و بلاء، فقد أحاطت به الرزايا بعد وفاة النبيّ صلّي اللّه عليه و آله، و التي سنتحدّث عنها في بعض فصول الكتاب.

- إنّه عضد النبيّ صلّي اللّه عليه و آله، و القائم بجميع شئونه، و التي منها قيامه بغسل النبيّ و دفنه بعد وفاته.

- إنّه السابق لكلّ شدّة و كريهة تحلّ بالنبيّ فيكشفها عنه.

- إنّه يتقدّم النبيّ صلّي اللّه عليه و آله يوم الحشر بحمل لواء الحمد.

2 - الإمام صاحب حوض النبيّ:

و تواترت الأخبار عن النبيّ صلّي اللّه عليه و آله أنّ الإمام عليه السّلام هو صاحب حوض النبيّ الذي

1- كنز العمّال ٦ : ١١٧.

هو من أعظم أنهار الجنّة في عذوبة مائه و حلاوته، و جمال منظره، و لا يفوز بالشرب منه إلاّ من كان مواليا و محبّا للإمام عليه السّلام، و لننظر إلي بعض الأخبار التي وردت فيه:

أ – قال رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله: «عليّ بن أبي طالب صاحب حوضي يوم القيامة، فيه أكواب كعدد نجوم السّماء، وسعة حوضي ما بين الجابية و صنعاء»(1).

و وصف السيّد الحميري هذا الحوض و قد حانه الذي يمنحه اللّه تعالي للإمام بقوله:

حوض له ما بين صنعا إلي أيلة أرض الشّام أو أوسع

ينصب فيه علم للهدي و حوض من ماء له مترع

فيه أباريق و قد حانه يذبّ عنها الأنزع الأصلع

يذبّ عنه ابن أبي طالب ذبّك جربي إبل تشرع(2)

ب – روي أنس بن مالك قال: بعثني رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله إلي أبي برزة الأسلمي، فلمّا حضر عنده قال له و أنا أسمعه:

«يا أبا برزة، إنّ ربّ العالمين تعالي عهد إليّ في عليّ بن أبي طالب، فقال – أي اللّه تعالي –: عليّ راية الهدي، و منار الإيمان، و إمام أوليائي، و نور جميع من أطاعني.

يا أبا برزة، عليّ بن أبي طالب معي غدا يوم القيامة علي حوضي، و صاحب لوائي، و معي غدا علي مفاتيح خزائن جنّة ربّي»(3).

ج – قال رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله لعليّ عليه السّلام: «أنت أمامي يوم القيامة، فيدفع إليّ لواء

1- مجمع الزوائد ١ : ٣٦٧.

2- ديوان الحميري : ٢٦٤.

3- تاريخ بغداد ١٤ : ٩٨.

الحمد فأدفعه إليك، و أنت تذود النّاس عن حوضي»(1).

د – روي أبو هريرة أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السّلام قال لرسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله: «يا رسول اللّه، أيّما أحبّ إليك أنا أم فاطمة؟».

قال صلّي اللّه عليه و آله: «فاطمة أحبّ إليّ منك، و أنت أعزّ عليّ منها، و كأنّي بك و أنت علي حوضي تذود عنه النّاس، و أنّ عليه لأباريق مثل عدد نجوم السّماء»(2).

و هذه الكرامة لم يظفر بها أي أحد من الاسرة النبويّة و لا غيرها من بقيّة الصحابة.

3 – الإمام قسيم الجنّة و النار:

من الأوسمة الشريفة التي قلّدها الرسول صلّي اللّه عليه و آله إلي باب مدينة علمه الإمام عليه السّلام أنّه قسيم الجنّة و النار،

فقد روي ابن حجر أنّ الإمام عليه السّلام قال لأعضاء الشوري الذين انتخبهم عمر: «انشدكم باللّه، هل فيكم أحد قال له رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله: يا عليّ، أنت قسيم الجنّة و النّار يوم القيامة غيري؟»، فقالوا: اللّهمّ لا. و علّق ابن حجر علي هذا الحديث بقوله: معناه ما روي عن الإمام الرضا عليه السّلام أنّه صلّي اللّه عليه و آله قال له – أي للإمام –: أنت قسيم الجنّة و النار في يوم القيامة، تقول للنار هذا لي، و هذا لك(3).

و من المؤكّد أنّه لم ينل أحد من أولياء اللّه، قبل الإسلام و بعده، مثل ما ناله الإمام من هذه الكرامة التي لا حدود لأبعادها، لقد حباه اللّه تعالي بذلك تقديرا لجهوده و جهاده في سبيل الإسلام، و نكرانه لذاته، و تفانيه في خدمة الحقّ.

4 – الاجتياز علي الصراط بإجازة من الإمام:

و ثمّة مكرمة اخري حباها اللّه تعالي لسيّد الوصيّين و إمام المتّقين الإمام أمير

1– كنز العمّال ٦ : ٤٠٠.

2– مجمع الزوائد ٩ : ١٧٣.

3– الصواعق المحرقة : ٧٥.

المؤمنين عليه السّلام، و هي أنّه لا يجتاز أحد علي الصراط إلاّ بإجازة و توقيع منه، و قد تظافرت الأخبار بذلك، كان منها:

أ - قال رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله: «إذا جمع اللّه الأوّلين و الآخرين يوم القيامة، و نصب الصّراط علي جسر جهنّم، ما جازها أحد حتّي كانت معه براءة(1) بولاية عليّ بن أبي طالب»(2).

ب - روي أنس بن مالك قال: لمّا حضرت وفاة أبي بكر، قال أبو بكر: سمعت رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله يقول: «إنّ علي الصّراط لعقبة لا يجوزها أحد إلاّ بجواز من عليّ بن أبي طالب»(3).

ج - روي قيس بن حازم قال: التقي أبو بكر و عليّ بن أبي طالب فتبسّم أبو بكر في وجه عليّ، فقال له: «ما لك تبسّمت؟»، قال: سمعت رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله يقول:

«لا يجوز أحد علي الصّراط إلاّ من كتب له عليّ الجواز»(4).

5 - الإمام مع النبيّ في الجنّة:

و خصّ اللّه تعالي الإمام بمكرمة و هي أنّه يكون مع النبيّ صلّي اللّه عليه و آله في قصره في الجنّة، و قد أعلن النبيّ صلّي اللّه عليه و آله ذلك حينما آخي بين أصحابه، و لم يؤاخ بين عليّ و أحد من أصحابه، فتأثّر الإمام عليه السّلام،

فقال له النبيّ: «و الّذي بعثني بالحقّ ما أخّرتك إلاّ لنفسي، و أنت منّي بمنزلة هارون من موسي، غير أنّه لا نبيّ بعدي، و أنت أخي و وارثي»، فقال له الإمام: «و ما أرث منك يا رسول اللّه؟» قال:

1- البراءة : المنشور.

2- الرياض النضرة ٢ : ١٧٢.

3- تاريخ بغداد ١٠ : ٣٥٦.

4- الرياض النضرة ٢ : ٢٠٩.

«مـا ورّثت الأنبياء من قبلي»، قال: «و ما ورّث الأنبياء من قبلك؟»، قال: «كتاب ربّهم، و سـنّة نبيّهم، و أنت معي في قصـري في الجنّـة مع فاطمة ابنتي، و أنت أخي و رفيقي»(1).

قـال صـلّي اللّه عليه و آله لعليّ: «أ مـا ترضـي أنّك معي في الجنّـة و الحسن و الحسـين، و ذرّيّتنا خلف ظهورنا، و أزواجنا خلف ذرّيّتنا، و شيعتنا عن أيماننا و شمائلنا»(2).

و أكّد النبيّ صلّي اللّه عليه و آله ذلك في حديث آخر له فقال للإمام:

«يا عليّ، أنت أخي و صاحبي و رفيقي في الجنّة»(3).

و بهـذا نطوي الحـديث عن بعض ما أثر عن النبيّ صـلّي اللّه عليه و آله فيما أعـدّ اللّه تعالي من المنزلة الكريمة لوصـيّه و باب مدينة علمه و سيّد عترته سلام اللّه عليه.

الأخبار النبوية في فضل العترة

اشارة

و تواترت الأخبار عن النبيّ صلّي اللّه عليه و آله في فضل عترته الطاهرة و لزوم مودّتهم و التمسّك بهم، و هذه بعضها:

حديث الثقلين:

إنّ حديث الثقلين من أروع الأحاديث النبوية، و من أصحّها سندا، و من أكثرها شيوعا و انتشارا بين المسلمين، فقد دوّنته الصحاح و السنن، و تلقّاه العلماء بالقبول، و من الجدير بالذكر أنّ النبيّ صلّي اللّه عليه و آله قد أدلي بهذا الحديث في مواضع متعدّدة كان منها:

1- كنز العمّال ۵ : ۴۰.

2- الصواعق المحرقة : ۹۶. الرياض النضرة ۲ : ۲۰۹.

3- تاريخ بغداد ۱۲ : ۲۶۸.

1 – روي زيد بن أرقم أنّ النبيّ صـلّي اللّه عليه و آله قال: «إنّي تارك فيكم الثّقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضـلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآـخر: كتـاب اللّه، حبـل ممـدود من السّماء إلي الأرض؛ و عترتي أهل بيتي، و لن يفترقا حتّي يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»(1).

2 – أعلن النبيّ صلّي اللّه عليه و آله هذا الحديث و هو في حجّه يوم عرفة، و قد

رواه جـابر بن عبـد اللّه الأنصـاري، قـال: رأيت رسول اللّه صـلّي اللّه عليه و آله و هو في حجّه يوم عرفـة، و هو علي نـاقته القصوي يخطب، فسمعته يقول: «يا أيّها النّاس، إنّي تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب اللّه، و عترتي أهل بيتي»(2).

3 – روي زيـد بن أرقم قـال: نزل رسول اللّه صـلّي اللّه عليه و آله الجحفـة، ثمّ أقبل علي الناس فحمـد اللّه و أثني عليه ثمّ قال: «إنّي لا أجد لنبيّ إلاّ نصف عمر الّذي قبله، و إنّي اوشك أن ادعي، فما أنتم قائلون؟».

فهتفوا جميعا: نصحت.

ثمّ وجّه إليهم هذه الكلمات:

«أ ليس تشهدون أن لا إله إلاّ اللّه، و أنّ محمّدا عبده و رسوله، و أنّ الجنّة حقّ، و النّار حقّ؟».

سارعوا قائلين: نشهد.

و رفع النبيّ صلّي اللّه عليه و آله يده فوضعها علي صدره الشريف و قال:

«أ لا تسمعون؟».

نعم.

1- صحيح الترمذي ٢ : ٣٠٨.
2- صحيح الترمذي ٢ : ٣٠٨. كنز العمّال ١ : ٨٤.

«فإنّي فرط(1) علي الحوض، و أنتم واردون علي الحوض، و أنّ عرضه ما بين صنعاء و بصري، فيه أقداح عدد النّجوم من فضّة فانظروا كيف تخلفوني في الثّقلين؟».

فناداه من بهو المجلس مناد: و ما الثقلان يا رسول اللّه؟ «كتاب اللّه طرف بيد اللّه عزّ و جلّ، و طرف بأيديكم فتمسّكوا به، و الآخر عشيرتي(2)، و إنّ اللّطيف الخبير نبّأني أنّهما لن يفترقا حتّي يردا عليّ الحوض، فسألت ذلك ربّي، فلا تقدموهما فتهلكوا، و لا تقصّروا عنهما، و لا تعلّموهم فهم أعلم منكم...».

ثمّ أخذ بيد أخيه الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام و قال:

«من كنت أولي به من نفسه فعليّ وليّه، اللّهمّ وال من والاه، و عاد من عاداه»(3).

4 - خاطب النبيّ صلّي اللّه عليه و آله أصحابه و هو علي فراش الموت فقال لهم:

«أيّها النّاس، يوشك أن اقبض قبضا سريعا، فينطلق بي، و قد قدّمت إليكم القول معذرة إليكم ألا إنّي مخلّف فيكم كتاب ربّي عزّ و جلّ، و عترتي أهل بيتي».

ثمّ أخذ بيد عليّ عليه السّلام و قال:

«و هذا عليّ مع القرآن، و القرآن مع عليّ، لا يفترقان حتّي يردا عليّ الحوض»(4).

1- فرط : المتقدّم قومه إلي الماء.

2- في كنز العمّال ١ : ٤٨ : بدل « عشيرتي » لفظ « عترتي ».

3- مجمع الهيثمي ٩ : ١٦٣.

4- الصواعق المحرقة : ٧٥.

و لا بدّ لنا من وقفة قصيرة للتأمّل و النظر في هذا الحديث سندا و دلالة:

سند الحديث: أمّا هذا الحديث فهو من أوثق الأحاديث النبوية في سنده، و قد نقل المناوي عن السمهودي أنّه قال: و في الباب ما يزيد علي عشرين من الصحابة كلّهم قد رووا هذا الحديث(1).

و قال ابن حجر: و لهذا الحديث طرق كثيرة عن بعض و عشرين صحابيا(2)، و لا يخامر أي باحث شكّ في صحّة الحديث و سلامته من الوضع و الضعف.

دلالة الحديث: أمّا دلالة الحديث و مفاده فهي عصمة أهل البيت من كلّ إثم و رجس، فقد قرنهم الرسول صلّي اللّه عليه و آله بالكتاب العزيز، فكما أنّ الكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، فكذلك العترة، و إلاّ لما صحّت المقارنة بينهما، فالحديث يدلّ - بوضوح - علي عصمة أهل البيت عليهم السّلام، و من الطبيعي أنّ أي انحراف في سلوك أهل البيت يعدّ افتراقا عن الكتاب العزيز، و قد صرّح النبيّ صلّي اللّه عليه و آله بعدم افتراقهما حتي يردا عليه الحوض.

إنّ البحث عن معطيات هذا الحديث الشريف يستدعي وضع كتاب خاصّ فيه، و قد عرض جماعة من العلماء إلي البحث عنه بصورة موضوعيّة و شاملة(3).

حديث السفينة:

روي أبو سعيد الخدري قال: سمعت النبيّ صلّي اللّه عليه و آله يقول: «إنّما مثل أهل بيتي

1- فيض القدير ٣ : ١٤.

2- الصواعق المحرقة : ٣٦.

3- عرض لذلك الإمام شرف الدين في المراجعات : ٤٩. الحجّة السيّد الحكيم في الاصول العامّة : ١٦٤ ، وألّفت دار التقريب في القاهرة رسالة خاصّة في هذا الحديث عرضت فيه لرواته وسنده.

فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا، و من تخلّف عنها غرق، و إنّما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطّة في بني إسرائيل، من دخله غفر له»(1).

حكي هذا الحديث الشريف لزوم التمسّك بالعترة الطاهرة فإنّ فيه نجاة للامّة و سلامة من الغرق في متاهات هذه الحياة، فأهل البيت عليهم السّلام سفن النجاة و أمن العباد، يقول الإمام شرف الدين نضّر اللّه مثواه:

و أنت تعلم أنّ المراد من تشبيههم عليهم السّلام بسفينة نوح أنّ من لجأ إليهم في الدارين فأخذ فروعه و اصوله عن أئمّتهم نجا من عذاب النار، و من تخلّف عنهم كان كمن أوي يوم الطوفان إلي جبل ليعصمه من أمر اللّه غير أنّ ذاك غرق في الماء، و هذا في الحميم، و العياذ باللّه.

و الوجه في تشبيههم عليهم السّلام بباب حطّة هو أنّ اللّه تعالي جعل ذلك الباب مظهرا من مظاهر التواضع لجلاله، و البخوع لحكمه، و بهذا كان سببا للمغفرة. هذا وجه الشبه، و قد حاول ابن حجر إذ قال – بعد أن أورد هذه الأحاديث و غيرها من أمثالها –:

و وجه تشبيههم بالسفينة أنّ من أحبّهم، و عظّمهم شكرا لنعمة شرفهم، و أخذ بهدي علمائهم نجا من ظلمة المخالفات، و من تخلّف عن ذلك غرق في بحر كفر النعم، و هلك في مفاوز الطغيان – إلي أن قال –: «و باب حطّة» يعني وجه تشبيههم بباب حطّة، أنّ اللّه تعالي جعل دخول ذلك الباب الذي هو باب أريحا أو بيت المقدّس مع التواضع و الاستغفار سببا للمغفرة، و جعل لهذه الامّة مودّة أهل البيت سببا لها(2).

1- مجمع الزوائد ٩ : ١٦٨. المستدرك ٢ : ٤٣. تاريخ بغداد ٢ : ١٢٠. الحلية ٤ : ٣٠٦. الذخائر : ٢٠.

2- مستدرك الحاكم ٣ : ١٤٩. كنز العمّال ٦ : ١١٦. وفي فيض القدير ٦ : ٢٩٧. ومجمع الزوائد ٩ : ١٧٤ : إنّ النبيّ قال : « النجوم أمان لأهل الأرض ، وأهل بيتي أمان لأمّتي ».

أهل البيت أمان للامّة:

و فرض النبيّ صلّي اللّه عليه و آله مودّة أهل بيته علي امّته، و جعل التمسّك بهم أمان لها من الهلاك،

قال صلّي اللّه عليه و آله:

«النّجوم أمـان لأهـل الأـرض من الغرق، و أهـل بيتي أمـان لاـمّتي من الاختلاـف، فـإذا خـالفتهم قبيلـة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس»(1).

النبيّ سلم لمن سالم أهل بيته:

و أعلن النبيّ صلّي اللّه عليه و آله في كثير من أحاديثه أنّه صلّي اللّه عليه و آله سلم لمن سالم أهل بيته، و حرب لمن حاربهم،

قال صلّي اللّه عليه و آله لعليّ و فاطمة و الحسن و الحسين: «أنا حرب لمن حاربتم، و سلم لمن سالمتم»(2).

و روي أبو بكر قال: رأيت رسول اللّه صـلّي اللّه عليه و آله و هو متّكئ علي قوس عربية و في الخيمة عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السّـلام، فقال: «معاشر المسلمين، أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة، و حرب لمن حاربهم، و وليّ لمن والاهم، لا يحبّهم إلاّ سعيد الجدّ، و لا يبغضهم إلاّ شقيّ الجدّ رديء الولادة»(3).

و معني الحديثين أنّ النبيّ صلّي اللّه عليه و آله جعل أهل بيته بمنزلة نفسه، فهو سلم لمن سالمهم و حرب لمن حاربهم.

1- الرياض النضرة ٢ : ٢٥٢ ، وقريب منه في صحيح الترمذي ٢ : ٣١٩. سنن ابن ماجة ١ : ٥٢.

2- مسـند أحمد ١ : ٧٧. صحيح الترمذي ٢ : ٣٠١ ، حـدّث بهـذا الحديث نصـر بن عليّ في أيام المتوكّل فنقل : فأمر بضـربه ألف سوط فكلّمه فيه جعفر بن عبد ، وقال له : إنّه من أهل السنّة حتي عفا عنه _ تهذيب التهذيب ١٠ : ٤٣.

3- فرائد السمطين ٢ : ٤٠ ، ح ٣٧٣. شرح الأخبار ٣ : ٥١٥.

من أحبّ أهل البيت كان مع النبيّ:

أعلن النبيّ صلّي اللّه عليه و آله أنّ من أحبّ أهل بيته حشر معه في الفردوس الأعلي،

قال صلّي اللّه عليه و آله و قد أخذ بيد الحسن و الحسين: «من أحبّني و أحبّ هذين و أباهما كان معي في درجتي يوم القيامة»(1).

معرفة أهل البيت أمان من العذاب:

قال صلّي اللّه عليه و آله: «معرفة آل محمّد براءة من النّار، و حبّ آل محمّد جواز علي الصّراط، و الولاية لآل محمّد أمان من العذاب»(2).

السؤال عن محبّة أهل البيت:

قال رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله: «لا تزول قدما عبد - يوم القيامة - حتّي يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، و عن جسده فيم أبلاه، و عن ماله فيم أنفقه و من أين اكتسبه، و عن محبّتنا أهل البيت»(3).

الاقتداء بأهل البيت:

قال صلّي اللّه عليه و آله: «اجعلوا أهل بيتي منكم مكان الرأس من الجسد، و مكان العينين من الرّأس، و لا يهتدي الرّأس إلاّ بالعينين»(4).

و قال صلّي اللّه عليه و آله: «من سرّه أن يحيا حياتي، و يموت مماتي، و يسكن جنّة عدن غرسها ربّي فليوال عليّا من بعدي، و ليوال وليّه، و ليقتد بأهل بيتي من بعدي، فإنّهم عترتي خلقوا من طينتي، و رزقوا من فهمي و علمي، فويل للمكذّبين بفضلهم

1- مسند أحمد ١ : ٧٧. كنز العمّال ١٢ : ٩٧ و ١٣ : ٣٩.

2- المراجعات _ الإمام الأعظم شرف الدين : ٥٤.

3- المراجعات : ١٥٨.

4- المراجعات : ٥٨ ، نقلا عن الشرف المؤبّد.

من أمّتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم شفاعتي»(1).

الممات علي حبّ أهل البيت:

قال رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله: ألا من مات علي حبّ آل محمّد مات شهيدا، ألا من مات علي حبّ آل محمّد مات مغفورا له، ألا من مات علي حبّ آل محمّد مات تائبا، ألا من مات علي حبّ آل محمّد مات مؤمنا مستكملا للإيمان، ألا من مات علي حبّ آل محمّد بشّره ملك الموت بالجنّة ثمّ منكر و نكير، ألا من مات علي حبّ آل محمّد يزفّ الي الجنّة كما تزفّ العروس إلي بيت زوجها، ألا من مات علي حبّ آل محمّد فتح له في قبره بابان إلي الجنّة، ألا من مات علي حبّ آل محمّد جعل اللّه قبره مزار ملائكة الرّحمن، ألا من مات علي حبّ آل محمّد مات علي السّنّة و الجماعة، ألا من مات علي بغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه «آيس من رحمة اللّه»(2).

هذه بعض الأحاديث التي روتها الثقات و دوّنتها الصحاح و السنن عن النبيّ صلّي اللّه عليه و آله، و هي تشيد بفضل عترته الطيّبين دعاة العدل و الأدلاّء علي مرضاة اللّه.

و المتأمّل في هذه الأحاديث يطلّ علي الغاية المنشودة للنبيّ صلّي اللّه عليه و آله أنّ غرضه ترشيحهم للخلافة العظمي من بعده حتي لا تزيغ امّته في مسيرتها، و لا تنحرف في سلوكها عمّا أراده اللّه لها من السيادة العامّة علي جميع امم العالم و شعوب الأرض.

و علي أي حال فهذه الأخبار التي وردت في فضل عترة النبيّ صلّي اللّه عليه و آله شاملة لسيّد العترة الطاهرة الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام رائد العدالة الاجتماعية في دنيا الإسلام، و بهذا ينتهي بنا المطاف في هذا البحث.

1

1- المراجعات : ٥٨ ، نقلا عن الشرف المؤبّد.

2- المراجعات : ٥٩ ، نقلا عن الثعلبي في تفسير آية المودّة.

مع الثّورة الإسلاميّة

اشارة

ص:193

إنّ الثورة الإسـلامية الكبري أعظم ثورة إصـلاحية عرفتها الإنسانيـة في جميع مراحل تأريخها... إنّها ثورة الفكر، و ثورة القيم الكريمة علي التخلّف و الانحطـاط، إنّهـا ثورة العلم علي الجهـل، و ثورة الفقراء و المستضـعفين علي أسـيادهم المسـتعبدين.. إنّها الثورة العظمي التي أقامت هيكلا رفيعا للتطوّر و الابداع في جميع مراحل هذه الحياة.

إنّ الثورة الإسـلامية العظمي التي فجرّها الرسول صـلّي اللّه عليه و آله في مكّـة قـد أوجـدت زلزالا مـدمّرا للحياة الفكريـة و الاجتماعيـة و الاقتصاديـة في ذلك المجتمع الـذي كان فيه، و كانت أشـدّ هولا، و أعظم محنة علي طغاة القرشـيّين، فقد اسـتهدفت تدمير معتقداتهم، و إقصاء عاداتهم و تقاليدهم التي كانوا يؤمنون بها، و دعتهم إلي نظام مشرق جديد يفتح لهم آفاقا من العزّة و الكرامة لم يألفوها، و لم يحلموا بها من قبل، و هذه صور مشرقة من بنود الثورة الإسلامية.

1 - تحطيم الأصنام:

أمّا الأصـنام فكانت مسـرحا للحياة الفكريـة و العقائدية في مكّة و ما جاورها، فقد اتّخذها المجتمع آلهة يعبدونها من دون اللّه تعالي، و قد علّقت علي جدران الكعبة ما يزيد علي ثلاثمائة صنم، و كان أعظمها مكانة و أعزّها شأنا عندهم الأصنام التالية:

- هبل.

ص:195

- اللاّت.

- عزّي.

- مناة.

و كانت هذه الأصنام آلهة لمعظم أهالي مكّة، فقد نشئوا علي عبادتها، و فطروا علي الإيمان بها، و اعتقدوا اعتقادا جازما أنّها خالقة الكون و واهبة الحياة، و قد تفانوا في عبادتها مقلّدين لآبائهم الذين هم كالأنعام بل أضلّ سبيلا.

و كان أوّل ما أعلنه الرسول صلّي اللّه عليه و آله في دعوته الخلاّقة الدعوة إلي عبادة اللّه تعالي خالق الكون و واهب الحياة، و تدمير الأصنام التي لا تعي و لا تعقل، و التي تمثّل الانحطاط الفكري، و تلحق الإنسان بقافلة الحيوان الأعجم.

و كان من أشدّ المؤمنين بالأصنام، و المتفانين في الولاء لها الجاهلي أبو سفيان عميد الاسرة الامويّة، و شيخ القرشيّين، و هو الذي فزع كأشدّ ما يكون الفزع حينما رأي النبيّ صلّي اللّه عليه و آله يطوف حول الكعبة، و يقرأ نشيد الإسلام:

«لبّيك اللّهمّ لبّيك، لبّيك لا شريك لك، إنّ الحمد و النعمة لك و الملك، لا شريك لك لبّيك».

فقد إهابه، و صاح بأعلي صوته:

اعل هبل.

فردّ عليه النبيّ صلّي اللّه عليه و آله بعنف:

«يا أبا سفيان، اللّه أعلي و أجلّ».

و كان من شدّة إيمان القرشيّين بالأصنام أن خفّ إلي النبيّ صلّي اللّه عليه و آله عصابة منهم

فعرضوا عليه أن يعبد أصنامهم سنة، و يعبدون اللّه تعالي معه سنة اخري، فنزلت علي الرسول سورة: قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ. لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ. وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ...(1).

لقد فزعت قريش و ضاقت بها الأرض حينما أعلن الرسول صلّي اللّه عليه و آله دعوته لسحق الأصنام و تدميرها و تطهير البيت الحرام منها، و اعتبروا ذلك تحطيما لكيانهم العقائدي فهبّوا جميعا لمناجزة الرسول و مقاومته، و حاربوه بجميع طاقاتهم، و ما يملكونه من وسائل القوّة.

2 - تحرير العبيد و المستضعفين:

أمّا العبيد في العصر الجاهلي فهم المعذّبون في الأرض، قد نبذهم المجتمع و احتقرهم، و لم ير لهم أي كيان، و قد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ممّا عانوه من صنوف الذلّ و العبودية، و تبنّي النبيّ صلّي اللّه عليه و آله قضاياهم، و دعي إلي تحريرهم و مساواتهم لبقيّة أبناء المجتمع، و قد بشّرهم بأنّهم سيكونون مع المستضعفين أسياد المجتمع، و كان من بينهم بلال الحبشي، و عمّار بن ياسر و أبوه ياسر، و امّه سميّة، و عبد اللّه بن مسعود، و غيرهم من المؤمنين الذين ألهبت أجسامهم سياط القرشيّين.

لقد دوي صوت الرسول صلّي اللّه عليه و آله في آفاق مكّة إنه «لا فضل لأبيض علي أسود إلاّ بالتّقوي».

و قد ورمت آناف سادات العبيد من القرشيّين و انتفخ سحرهم من دعوة النبيّ صلّي اللّه عليه و آله بأنّ عبيدهم سينعمون بالحرية الكاملة، و أنّهم سيكونون سادة لهم فهبّوا متضامنين أجمعين اكتعين لمناجزته، و الاجهاز علي دعوته.

1- الكافرون : ١ _ ٣.

3 - تحرير المرأة:

اشارة

أمّا المرأة في العصر الجاهلي فقد عانت من القسوة و الظلم ما لا يوصف لمرارته و شدّته، فقد استهان بها العرب، و حمّلوها من أمرها رهقا، و كان من مظاهر ظلمها ما يلي:

أ - وأد البنات:

و كان من الظلم الفاحش للمرأة في العصر الجاهلي أنّه إذا ولد لشخص بنت ظلّ وجهه مسودّا و هو كظيم، كما حكي القرآن ذلك بقوله: وَ إِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثي ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٌ(1)، و الأدهي من ذلك و أشدّ بلاء أنّ بعضهم كان يسارع إلي وأد ابنته و هي حيّة، و قد نعي القرآن عليهم ذلك بقوله تعالي: وَ إِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ. بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ(2)، و كانت هذه البادرة القاسية شائعة عند بعض القبائل كربيعة و كندة و تميم و غيرهم، و من الأمثال الشائعة: دفن البنات من المكرمات.

ب - حرمانها من الميراث:

أمّا المرأة في العصر الجاهلي فلا ترث زوجها و أباها و سائر أقربائها، و لا حظّ لها من الميراث مطلقا.. و قد انتصر لها الإسلام، و فتح لها آفاقا كريمة من الحياة الرفيعة، و شرّع لها من الحقوق بما لم يقنّنه أي نظام قديما و لا حديثا، فقد ساوي بينها و بين الرجل مساواة كاملة في جميع الحقوق و الواجبات، و جعلها مسئولة عن حماية الجيل، و صيانته من التلوّث بالجرائم و الموبقات، و أوجب علي الزوج القيام بالإنفاق عليها، و جعلها ترث و تورّث، و فرض عليها التفقّه في الدين،

1- النحل : ٥٨.

2- التكوير : ٨ _ ٩.

و طلب العلم، كما جعل لها الحرية في اختيار الزوج، و لكن بمشاركة أبيها إذا كانت باكرا - كما ذهب إلي ذلك بعض الفقهاء -؛ لأنّه أدري منها بمعرفة الرجال خوفا أن يكون ما اختارته شاذّا في سلوكه و منحرفا في شخصيّته و هي لا تعلم ذلك، إلي غير ذلك من الحقوق الكاملة التي قنّنها الإسلام لها، و كانت معاملة الإسلام للمرأة بهذه الصورة من الاحتفاء و التكريم غريبة علي العرف الجاهلي، لم يألفوها، فقد جافت تقاليدهم و عاداتهم.

ج - الزواج بأرملة الأب:

من عادات الجاهلية التي حرّمها الإسلام أنّ الرجل منهم إذا توفّي قام أكبر أولاده فألقي ثوبه علي امرأة أبيه، و ورث بذلك نكاحها، فإذا لم يكن له إرب فيها زوّجها من بعض اخوته أو غيرهم، و أخذ مهرها، و قد حرّم الإسلام زواج ولد الميّت بها قال تعالي: وَ لا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ(1).

و كانوا يتوارثون النساء كما يتوارثون الأموال، و كان زواجهنّ بيد آبائهنّ و اخوانهنّ، فإن شاءوا زوّجوهنّ و أخذوا صداقهنّ، و إن شاءوا تركوهنّ عوانس أو يفدين أنفسهن بالمال، و قد حرّرهن الإسلام من هذه القيود و الأغلال، و بني لهنّ اطارا من العزّة و الكرامة ما لم يحلمن به.

4 - المساواة بين الناس:

من المبادئ العليا التي تبنّاها الإسلام المساواة العادلة بين جميع أبناء البشر علي اختلاف جنسياتهم و قوميّاتهم، فلا فرق بين حاكم و محكوم، و لا بين غني و فقير، فالناس كلّهم متساوون أمام القانون و في الحقوق و الواجبات و المسئوليات، لا امتياز لقوم علي آخرين، و كانت هذه المساواة لذيذة و مقدّسة عند المستضعفين

1- النساء : ٢٢.

و البؤساء، فآمنوا بالإسلام إيمانا مطلقا،

يقول الرسول الأعظم صلّي اللّه عليه و آله: «لا فضل لعربيّ علي عجميّ، و لا لأبيض علي أسود إلاّ بالتّقوي».

و قد نفرت جبابرة قريش و ساداتها من هذه المساواة، فكانوا يرون أنّهم سادة المجتمع و أشرف من بقيّة القوميّات، فلذا هبّوا لمناجزة الرسول صلّي اللّه عليه و آله و تعذيب من آمن به من عبيدهم و أبنائهم و نسائهم.

5 - حماية الحقوق:

من القيم الخلاّقة التي رفع شعارها الإسلام حماية حقوق الناس و الأخذ بظلامة الضعيف من القويّ، و ليس لأي أحد سلطان علي أحد، و إنّما الجميع سواسية أمام القانون، و فزعت قريش من ذلك، و جنّدت جميع طاقاتها لمحاربة الإسلام.

6 - تحريم الربا:

و اصطدمت دعوة الرسول صلّي اللّه عليه و آله بمصالح الرأسماليّين من قريش الذين كانوا يعتمدون في معاملاتهم و تجارتهم علي الربا، و قد انتشر بصورة هائلة في مكّة، و كان ممّن يتعاطاه العباس بن عبد المطّلب، و قد حرّمه النبيّ صلّي اللّه عليه و آله تحريما باتّا؛ لأنّه يوجب تكدّس الثراء العريض عند فئة من الناس و شيوع الفقر و الحاجة عند الأكثرية الساحقة، و قد ذعر أصحاب رءوس الأموال من دعوة الرسول و ناجزوه بجميع ما يملكون من قوّة.

7 - تحريم الخمر:

أمّا الخمر فكان شائعا في العصر الجاهلي، و منتشرا عند جميع الأوساط، و لمّا حرّمه الإسلام أوجد ضجّة و اصطدم مع ملذّاتهم و عاداتهم، و أضمروا في نفوسهم الحقد علي النبيّ صلّي اللّه عليه و آله.

8 - تحريم الاستغلال:

و حرّم الإسلام استغلال الإنسان لأخيه الإنسان، و الاستيلاء علي جهوده و أتعابه مجّانا و بلا عوض، فإنّ ذلك ممّا يؤدّي إلي إشاعة الفقر و الحاجة في المجتمع.

9 - إقصاء الفقر:

من المبادئ التي رفع شعارها الرسول صلّي اللّه عليه و آله إقصاء الفقر و إزالته عن المجتمع، و اعتبره كالكافر في وجوب مكافحته، و أنّه كارثة مدمرة و مصدر لكلّ جريمة و موبقة تقع في البلاد، ففرض الضرائب في أموال الأغنياء و التي من أهمّها الزكاة، و جعل الدولة مسئولة عن جبايتها و توزيعها علي الفقراء، كما فرض لهم التكافل الاجتماعي، و التضامن الاجتماعي و غيرهما من مبيد الفقر.

10 - إشاعة العلم:

من المبادئ التي تبنّاها الرسول صلّي اللّه عليه و آله إشاعة العلم و نشره بين الناس، و إقصاء الجهل، و قد جعل طلب العلم فريضة علي كلّ مسلم، و أهاب بالمسلمين أن يرفعوا عنهم كابوس الجهل، و ينمّوا عقولهم بالعلم؛ لأنّه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تقوم لهم قائمة و هم يرسفون في قيود الجهل، و قد عرضنا إلي بحوث مهمّة في هذا الموضوع في كتابنا «النظام التربوي في الإسلام».

هذه بعض المثل الكريمة و المبادئ الرفيعة التي رفع شعارها النبيّ صلّي اللّه عليه و آله، و لم يفهمها المجتمع القرشي في مكّة، فكانت غريبة عليه، فاندفع بجميع قواه إلي مناهضتها و إطفاء نورها.

الإمام يصف الإسلام:

اشارة

و وصف الإمام الإسلام وصفا رائعا و ملمّا بواقعه في كثير من خطبه و كلماته

كان منها ما يلي:

1 – قال عليه السّلام:

ثمّ إنّ هذا الإسلام دين اللّه الّذي اصطفاه لنفسه، و اصطنعه علي عينه، و أصفاه خيرة خلقه، و أقام دعائمه علي محبّته.

أذلّ الأديان بعزّته، و وضع الملل برفعه، و أهان أعداءه بكرامته، و خذل محادّيه(1) بنصره، و هدم أركان الضّلالة بركنه(2).

أ رأيتم هذا الوصف الكامل الدقيق للإسلام! فهو دين اللّه تعالي الذي اصطفاه و وهبه لعباده يقيم أودهم و يصلح شئونهم و يهديهم للتي هي أقوم.

2 – قال عليه السّلام:

الحمد للّه الّذي شرع الإسلام فسهّل شرائعه لمن ورده، و أعزّ أركانه علي من غالبه، فجعله أمنا لمن علقه(3)، و سلما لمن دخله، و برهانا لمن تكلّم به، و شاهدا لمن خاصم عنه، و نورا لمن استضاء به، و فهما لمن عقل، و لبّا لمن تدبّر، و آية لمن توسّم، و تبصرة لمن عزم، و عبرة لمن اتّعظ، و نجاة لمن صدّق، و ثقة لمن توكّل، و راحة لمن فوّض، و جنّة لمن صبر.

فهو أبلج المناهج، و أوضح الولائج؛ مشرف المنار، مشرق الجوادّ، مضيء المصابيح، كريم المضمار، رفيع الغاية، جامع الحلبة، متنافس

1- المحادي : الشديد المخالفة.

2- نهج البلاغة _ محمّد عبده ٢ : ١٧٤.

3- علقه : أي من تعلّق به.

السّبقة، شريف الفرسان. التّصديق منهاجه، و الصّالحات مناره، و الموت غايته، و الدّنيا مضماره، و القيامة حلبته، و الجنّة سبقته(1).

و لقد وعي الإمام عليه السّلام الإسلام، و آمن بقيمه و أهدافه، فوصفه هذا الوصف الرائع الذي أحاط بمقوّماته و مكوّناته.

الإمام أوّل من صلّي مع النبيّ:

و الشيء المحقّق عند الرواة و المحقّقين هو أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام هو أوّل من آمن و صلّي مع النبيّ صلّي اللّه عليه و آله في البيت الحرام(2)، و قد نقل المؤرّخون بعض من شاهد صلاته مع النبيّ صلّي اللّه عليه و آله و هم:

1 - عفيف الكندي:

روي عفيف الكندي قال:

جئت في الجاهلية إلي مكّة، و أنا اريد أن ابتاع لأهلي من ثيابها و عطرها، فأتيت العبّاس بن عبد المطلب، و كان تاجرا، فأنا عنده جالس انظر إلي الكعبة، و قد حلّقت الشمس في السماء فارتفعت و ذهبت إذ جاء شاب فرمي ببصره إلي السماء ثمّ قام مستقبلا الكعبة، ثمّ لم يلبث إلاّ يسيرا حتّي جاء غلام فقام علي يمينه، ثمّ جاءت امرأة فقامت خلفهما، فركع الشاب فركع معه الغلام و المرأة، ثمّ رفع الشاب رأسه فتابعه الغلام و المرأة، و سجد الشاب فسجد معه الغلام و المرأة، فقلت متعجّبا:

1- نهج البلاغة ١ : ٢٣١.

2- صحيح الترمذي ٢ : ٣٠٠. تاريخ الطبري ٢ : ٥٥. البداية والنهاية ٣ : ٢٧. مستدرك الحاكم ٣ : ١١٢. شرح نهج البلاغة _ ابن أبي الحديد ٤ : ١٦٩.

يا عبّاس، أمر عظيم!! و طفق العباس قائلا:

نعم، أمر عظيم!! أ تدري من هذا الشاب؟ لا.

هـذا محمّـد بن عبد اللّه ابن أخي، أ تدري من هذا الغلام؟ هذا عليّ ابن أخي، أ تدري من هذه المرأة؟ هذه خديجة بنت خويلد زوجته. إنّ ابن أخي هـذا – و أشار إلي محمّـد صـلّي اللّه عليه و آله – أخبرني أنّ ربّه ربّ السـماء و الأرض أمره بهـذا الدين الذي هو عليه، لا و اللّه ما علي الأرض كلّها أحد علي هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة(1).

2 – عبد اللّه بن مسعود:

روي عبد اللّه بن مسعود قال: إنّ أوّل شيء علمته من أمر رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله قدمت مكّة مع عمومة لي فأرشدونا إلي العبّاس بن عبد المطّلب، فانتهينا إليه و هو جالس إلي زمزم، فجلسـنا إليه، فبينا نحن عنده إذ أقبل رجل من باب الصفا أبيض تعلوه حمرة، له وفرة جعدة إلي أنصاف اذنيه، أقني الأنف، برّاق الثنايا، أدعج العينين، كثّ اللحية، دقيق المسربة، شثن الكفّين و القدمين، عليه ثوبان أبيضان، كأنّه القمر ليلة البدر، يمشـي عن يمينه غلام أمرد حسن الوجه، مراهق أو محتلم، تقفوه امرأة قد سترت محاسـنها، حتي قصد نحو الحجر فاسـتلمه، ثمّ استلمه الغلام، ثمّ استلمته المرأة، ثمّ طاف بالبيت سبعا، و الغلام و المرأة يطوفان معه.

قلنا: يا أبا الفضل، إنّ هذا الدين لم نكن نعرفه فيكم، أو شيء حدث؟

1– خصائص النسائي : ٣. مسند أحمد ١ : ٣٠٩. طبقات ابن سعد ٨ : ١٠.

فقال العبّاس: هذا ابن أخي محمّد صلّي اللّه عليه و آله، و الغلام عليّ بن أبي طالب، و المرأة خديجة، و تابع ابن مسعود حديثه قائلا:

أما و اللّه! ما علي وجه الأرض من أحد نعلمه يعبد اللّه بهذا الدين إلاّ هؤلاء الثلاثة(1).

و هذه الفضيلة للإمام عليه السّلام لم يفز بها أحد غيره من الصحابة و غيرهم، و قد اعترف بها سعد بن أبي وقّاص مع انحرافه عن الإمام، فقد اجتاز علي قوم مجتمعين علي فارس و هو يسبّ الإمام فبادر إليه سعد قائلا:

يا هذا، علي ما تشتم عليّ بن أبي طالب؟ أ لم يكن أوّل من أسلم؟ أ لم يكن أوّل من صلّي مع رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله؟ أ لم يكن أزهد الناس؟ أ لم يكن أعلم الناس؟ أ لم يكن ختن رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله علي ابنته؟ أ لم يكن صاحب راية رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله في غزواته؟ و استقبل سعد القبلة، و رفع يديه بالدعاء، و قال: اللّهمّ إنّ هذا يشتم وليّا من أوليائك فلا تفرّق هذا الجمع حتي تريهم قدرتك، و لم يلبثوا يسيرا حتي نفرت به دابته فرمته علي هامته في تلك الأحجار فانفلق دماغه(2).

الإمام مع النبيّ في بداية دعوته:

و واكب الإمام عليه السّلام الرسول صلّي اللّه عليه و آله في بداية دعوته، و كان في فجر الصبا و روعة الشباب، و قد آمن بوعي و فكر برسالة الإسلام، و انطبعت في دخائل نفسه، و أعماق ذاته، و حينما أمر الرسول صلّي اللّه عليه و آله بتبليغ رسالة ربّه إلي عشيرته بهذه الآية:

وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ(3) دعا الإمام و أخبره بما امر به من تبليغ الدعوة

1- مجمع الهيثمي ۹ : ۲۲٤. كنز العمّال ۷ : ٥٦.

2- مستدرك الحاكم ۳ : ٤۹۹.

3- الشعراء : ۲۱٤.

المباركة إلي عشيرته الأقربين، و أحاطه علما أنّهم لا يستجيبون له، و لا يؤمنون برسالته، و لكنّه مأمور بذلك لإقامة الحجّة عليهم، فأعدّ لهم وليمة و شرابا من لبن، و سارع الإمام إلي دعوتهم فاستجابوا له، و كان فيهم من أعمامه مؤمن قريش أبو طالب و حمزة و العبّاس و أبو لهب، و لمّا حضروا قدّم لهم الإمام الطعام، فتناول النبيّ صلّي اللّه عليه و آله قطعة من اللحم فشقّها بأسنانه، و ألقاها في نواحي الصفحة، و قال لهم:

«خذوا بسم اللّه»، فأكلوا جميعا، و الطعام باق علي حاله، و كان الرجل يأكل مقدار ما في الصفحة إلاّ أنّها ببركة النبيّ صلّي اللّه عليه و آله لم ينقص منها شيء، و بادر الإمام فسقاهم اللبن حتي ارتووا.

و قام النبيّ صلّي اللّه عليه و آله فدعاهم إلي اعتناق الإسلام و نبذ الأصنام، فقطع الأثيم أبو لهب كلامه، و خاطب المجتمعين قائلا:

لقد سحركم.

فتفرّقوا بين مستهزء و ساخر، و لم يحدّثهم النبيّ صلّي اللّه عليه و آله شيئا، فقد قطع أبو لهب عليه كلامه، و في اليوم الثاني دعاهم النبيّ صلّي اللّه عليه و آله إلي تناول الطعام فأكلوا و شربوا

و انبري النبيّ خطيبا فقال:

«يا بني عبد المطّلب، إنّي و اللّه ما أعلم شابّا في العرب جاء قومه بأفضل ممّا قد جئتكم به، إنّي قد جئتكم بخير الدّنيا و الآخرة، و قد أمرني اللّه تعالي أن أدعوكم إليه، فأيّكم يؤازرني علي هذا الأمر علي أن يكون أخي و وصيّي و خليفتي فيكم؟».

فأحجم القوم كلّهم و لم ينبس أحد منهم ببنت شفة كأنّ علي رءوسهم الطير، و لم يجبه أحد منهم، فانبري إليه الإمام أمير المؤمنين فقال له بحماس:

«أنا يا نبيّ اللّه أكون وزيرك عليه».

فأخذ النبيّ صلّي اللّه عليه و آله برقبته، و خاطب القوم قائلا:

«إنّ هذا أخي و وصيّي و خليفتي فيكم فاسمعوا له و أطيعوا».

و تعالت أصوات اولئك الأقزام بالسخرية و الاستهزاء قائلين لأبي طالب:

قد أمرك أن تسمع لابنك و تطيع(1).

و هـذا الحـديث من أوضح الأدلّة، و من أكثرها بيانا و عطاء علي إمامة الإمام أمير المؤمنين، و أنّه وزير النبيّ صـلّي اللّه عليه و آله و خليفته الشرعي من بعده علي امّته.

لقـد قرن النبيّ صـلّي اللّه عليه و آله دعوته إلي التوحيـد بالـدعوة إلي الخلافة و الوزارة و الإمامة من بعده، و قلّدها إلي الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام، فهو أوّل من آمن بالرسول صلّي اللّه عليه و آله، و أجاب دعوته، و صدّق برسالته، و الذي ينكر ذلك فليس برشيد.

و وصف الشاعر الملهم السيّد الحميري دعوة النبيّ صلّي اللّه عليه و آله اسرته إلي الإسلام، و نكوصهم عن إجابته، و إيمان الإمام بها بقوله:

و يوم قال له جبريل قد علموا أنذر عشيرتك الأدنين إن بصروا

فقال يا قوم إنّ اللّه أرسلني إليكم فأجيبوا اللّه و ادّكروا

فأيّكم يجتبي قولي و يؤمن بي أنّي نبيّ رسول فانبروا غدر

فقال تبّا أ تدعونا لتلفتنا عن ديننا ثمّ قام القوم فاشتمروا

من الذي قال منهم و هو أحدثهم سنّا و خيرهم في الذّكر إذ سطروا

آمنت باللّه قد اعطيت نافلة لم يعطها أحد جنّ و لا بشر(2)

1- تاريخ الطبري ٢ : ٦٣. تاريخ ابن الأثير ٢ : ٢٤. مسند أحمد ١ : ٦٣. ومن الغريب أنّ ابن كثير في تفسـيره ذكر الحادثـة ، وكتب علي كلام النبيّ : « أيّكم يوازرني ليكون أخي ووصـيّي وخليفتي فيكم » كتب يقول : أيّكم يوازرني علي أن يكون كـذا وكذا ، وكذلك كتب علي قول : النبيّ : « هـذا أخي ووصـيّي ... إلـخ » أيّكم يوازرني علي أن يكون كـذا وكذا ، قاتل الله هذه العصبية التي تنمّ عن نفس لا علاقة لها بالواقع ولا صلة لها بالتعبّد بقول النبيّ.

2- ديوان الحميري : ٢٠٣.

و قال الحميري في قصيدة اخري منها هذه الأبيات:

فقال لهم إنّي رسول إليكم و لست أراني عندكم بكذوب

فأيّكم يقفو مقالي؟ فأمسكوا فقال: ألا من ناطق فمجيبي؟

ففاز بها منهم عليّ و سادهم و ما ذاك من عاداته بغريب(1)

و علي أي حال فقد انفضّ القوم، و لم يفلح أي أحد منهم بإجابة الرسول صلّي اللّه عليه و آله و تصديقه سوي أخيه و ابن عمّه الإمام عليه السّلام.

فزع القرشيّين:

و فزعت قريش كأشدّ ما يكون الفزع من دعوة الرسول صلّي اللّه عليه و آله و اضطربت حياتهم الاجتماعية و الفردية، و انتشرت الكراهة و البغضاء في أوساطهم، فقد صبا إلي الإسلام فريق من شبابهم، و بعض السيّدات من نسائهم، و الأرقّاء من عبيدهم، و المستضعفون في ديارهم أمثال عمّار و ياسر و سميّة، فكان الولد ينفر من أبويه، و أمّا المرأة فقد خلعت طاعة زوجها، و احتقرته و لا تقرب منه، و أمّا الأرقّاء و المستضعفون فقد فتح لهم الإسلام آفاقا كريمة من العزّة و الكرامة و بشّرهم بمستقبل كريم، إنّهم سيكونون سادة المجتمع، و ستكون جبابرة قريش و طغاتها أذلاّء صاغرين.

لقد عمّت الاضطرابات معظم بيوت مكّة، و حدث زلزال عنيف في ذلك المجتمع، و استحكم العداء بين الولد و أبويه، و الأخ مع أخيه و السادة مع أرقّائهم.

إجراءات قاسية:

اشارة

و أجمعت قريش علي مناجزة الرسول صلّي اللّه عليه و آله و مناهضته بجميع ما تملك من

1- ديوان الحميري : ١١٨.

وسائـل القوّة، كمـا أجمعت علي تعـذيب من آمن به من شـبابهم و نسائهم و أرقّائهم و المستضـعفين منهم، و قـد اتّخـذوا من الاجراءات القاسية ضدّ النبيّ صلّي اللّه عليه و آله و أصحابه ما يلي:

1 - إغراء صبيانهم بمحاربة النبيّ:

و أوعزت قريش إلي صبيانهم بمحاربة النبيّ صلّي اللّه عليه و آله و إلقاء الحجارة و التراب و الرماد عليه، و إنّما عمدت لذلك لتعتذر من أبي طـالب حامي النبيّ، و المـدافع عنه، و تنفي عنها المسـئولية و تلقيها علي أطفالهم و صبيانهم الـذين لا يعقلون، و لا يؤاخـذون بشـيء من أعمالهم، و قـد تصـدّي لأولئك الصبيان الإمام عليه السّلام، و كان في سـنّه المبكّر قويّ الساعـدين، يحمل عليهم بعنف و قسوة فيوجعهم لكما و ضـربا، فإذا خرج النبيّ صـلّي اللّه عليه و آله سار الإمام خلفه، فإذا رأوه فرّوا منهزمين إلي آبائهم و امّهاتهم يسايرهم الرعب و الخوف من الإمام.

2 - اتّهام النبيّ بالجنون:

من الوسائل التي لجأت إليها قريش في محاربة النبيّ صـلّي اللّه عليه و آله رميه بالجنون لأنّه جاءهم بشريعة مجافية لعقولهم التي ران عليها الجهل و خيّم عليها الشرك.

لقد اتّهموه بالجنون، و هو العقل المدبّر للإنسانية، و الدماغ المفكّر الذي استوعب بوعي جميع قضايا الإنسان و وضع لها الحلول الحاسمة، لقد اتّهموه بذلك لإفشال دعوته، و صدّ الجماهير من اعتناقها، و قد باءوا بالفشل و الخزي، و سارت دعوة الرسول كالضوء، فقد آمنت كوكبة من الشباب بالدعوة المباركة، و وقفوا قوّة ضاربة لحمايتها.

3 - اتّهامه بالسحر:

و أشاعت قريش أنّ النبيّ صلّي اللّه عليه و آله ساحر و أنّه غير مرسل من السماء.. و قد

اتّهموه بـذلك حينمـا كـان يتلو عليهم كتـاب اللّه تعالي البالغ حـد الاعجاز في بلاغته و فصاحته، و ما كان يلقيه عليهم من روائع الحكم و الآداب التي تأخذ بمجامع العقول و النفوس، بالاضافة إلي ما كان يريهم من آيات معجزاته التي أمدّه اللّه تعالي بها لتصديقه، و إيمان الناس به، و قد باءت هذه التهمة بالفشل، و لم تلق أي اذن صاغية لها.

4 - تعذيب المؤمنين:

و صبّ القرشـيّون جام غضـبهم علي من آمن بالرسول صـلّي اللّه عليه و آله من أبنائهم و نسائهم و أرقّائهم و المستضعفين منهم، فقد نكّلوا بهم كأقسي و أفظع ما يكون التنكيل، فقد عذّبوا ياسرا و سميّة و عمّارا عذابا منكرا و أليما، و كان النبيّ يجتاز عليهم فيراهم يئنّون تحت وطأة التعذيب فتتقطّع أنياط قلبه عليهم ألما، فقال فيهم كلمته الخالدة التي كانت و سام شـرف و فخر لهذه الاسرة الكريمة في جميع الأحقاب و الآباد:

«صبرا آل ياسـر إنّ موعدكم الجنّة». و استشـهد ياسـر، و استشـهدت معه سـميّة بأيدي جبابرة قريش، و نجا الصـحابي العظيم عمّار بعد ما عذّب.

و قـد عـاني المؤمنون من الرجال و النساء جميع صـنوف التعـذيب و الاضـطهاد و التنكيل ممّا اضـطرّهم إلي الهجرة من وطنهم مكّـة إلي الحبشة، و كان فيهم جعفر الطيّار، و قد لاحقتهم قريش لإرجاعهم إلي مكّة لتصفيتهم جسديا إلاّ أنّ ملك الحبشة لم يستجب لهم و أبقاهم في بلده و لم يعرض لهم أحد بمكروه.

5 - تعاهد سادات قريش علي حبس النبيّ صلّي اللّه عليه و آله و أهل بيته في شعب أبي طالب:

اشارة

و أجمع رأي وجوه القرشـيّين و سـاداتهم علي حبس النبيّ صـلّي اللّه عليه و آله و أهـل بيته في شـعب أبي طـالب، و فرض الإقامـة الجبرية عليهم حتي لا يختلطوا بالناس فيغيّروا

عقائدهم و يغسلوا أدمغتهم من براثن الجاهلية، و قد اتّخذوا من القرارات ما يلي:

1 - أن لا يزوّجوا هاشميّا بامرأة منهم.

2 - لا يتزوّج أحد منهم بهاشمية.

3 - لا يبايعون هاشميا و لا يشترون شيئا منهم.

و كتبوا في ذلك وثيقة علّقوها في جوف الكعبة، و أقام الرسول صلّي اللّه عليه و آله و من آمن به من الهاشميّين في شعب أبي طالب، و هم يعانون أشقّ و أقسي ألوان الاضطهاد و الضيق، و قد أمدّتهم بجميع ما يحتاجون إليه أمّ المؤمنين خديجة الكبري رضي اللّه عنها حتي نفد ما عندها من الثراء العريض، فما أعظم عائدتها علي الإسلام و المسلمين!

الافراج عن النبيّ و آله:

و بقي النبيّ صلّي اللّه عليه و آله معتقلا في السجن سنتين أو ما يزيد عليهما، و قد سلّط اللّه تعالي الأرضة علي صحيفة قريش فأتت عليها، فأخبر النبيّ صلّي اللّه عليه و آله عمّه أبا طالب بذلك فهرع إليهم و أخبرهم بالأمر فخفّوا مسرعين إلي الصحيفة فوجدوها كما أخبر النبيّ صلّي اللّه عليه و آله، فذهلوا و وجموا، و انبري جماعة من قريش فطالبوا قومهم برفع الحصار عن الهاشميّين فعارضهم أبو جهل، إلاّ أنّ معارضته لم تجد شيئا، فقد أطلقوا سراح النبيّ صلّي اللّه عليه و آله مع من آمن به، و خرجوا من الشعب و هم في أقصي ما يتصوّر من الجهد و العناء.

و خرج النبيّ صلّي اللّه عليه و آله من الشعب و هو يدعو الناس إلي الإيمان بالإسلام و نبذ الجاهلية، و لم يحفل بتهديد القرشيّين و إجماعهم علي مناهضته، فقد احتمي بعمّه أبي طالب شيخ البطحاء و مؤمن قريش، فكان مع أبنائه سدّا حصينا و قوّة ضاربة يحتمي بها، و قد شجّعه علي أداء رسالته و مقاومة المدّ الجاهلي قائلا له:

اذهب بنيّ فما عليك غضاضة اذهب و قرّ بذاك منك عيونا

و اللّه لن يصلوا إليك بجمعهم حتّي اوسّد في التّراب دفينا

و دعوتني و علمت أنّك ناصحي و لقد صدقت و كنت قبل أمينا(1)

و لقد علمت بأنّ دين محمّد من خير أديان البريّة دينا(2)

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة و ابشر بذاك و قرّ منك عيونا(3)

و دلّ هذا الشعر علي إيمان أبي طالب و تفانيه في الولاء لابن أخيه و تصديقه لرسالته.

و علي أي حال فقد ورمت قلوب القرشيّين غيظا علي النبيّ صلّي اللّه عليه و آله و حسدا له، و ممّا زاد في بغضهم للنبيّ صلّي اللّه عليه و آله ما يعلنه من التنديد بالأصنام التي اتّخذوها آلهة يعبدونها من دون اللّه تعالي، و قد ازداد حسد الطغاة من قريش للنبيّ حينما كانت الأندية تتحدّث عن سموّ أخلاقه و عظيم ما جاء به من هدي و رحمة و خير إلي الناس و إيمان بعض الناس برسالته.

وفاة أبي طالب و خديجة:

و رزء النبيّ صلّي اللّه عليه و آله بكارثة كبري، و هي وفاة عمّه أبي طالب حامي الإسلامي و أقوي مدافع عنه، كما و رزئ بوفاة زوجته أمّ المؤمنين خديجة التي كانت من أقوي المناصرين له، فقد وهبت جميع ما تملكه من الثراء العريض في سبيل الإسلام، و كانت وفاتها بعد وفاة عمّه أبي طالب بثلاثة أيام(4)، و بلغ الحزن من النبيّ صلّي اللّه عليه و آله

1- إيمان أبي طالب : ٢٥٧.

2- تاريخ أبي الفداء ١ : ١٢٠.

3- أسني المطالب : ١٨.

4- إيمان أبي طالب : ٢٦١ ، وفي تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٥ أنّ أمّ المؤمنين توفّيت في شهر رمضان قبل الهجرة بثلاث سنين ، وتوفّي أبو طالب بعدها بثلاثة أيام.

أقصاه، فقد فقد عمّه و زوجته الرءوم، و قد سمّي ذلك العامّ عام الحزن، فلم يجد بعد عمّه ركنا شديدا يأوي إليه، و بقي في أرباض مكّة تسايره الهموم و الأحزان خوفا من بطش القرشيّين و كيدهم.

إجماع القرشيّين علي قتل النبيّ:

و بعد ما نكب الرسول صلّي اللّه عليه و آله بفقد عمّه حامي الإسلام صمّم علي مغادرة مكّة و الهجرة إلي يثرب؛ لأنّه وجد فيها ركنا شديدا يأوي إليه، و هم الذين آمنوا بدعوته من الأوس و الخزرج، فقد كانوا قوّة ضاربة تحمي دعوته.

و حينما اشيع عزم النبيّ صلّي اللّه عليه و آله علي الهجرة إلي المدينة اضطرب القرشيّون و تعاظم سخطهم، و ورمت آنافهم، فاجتمعوا بدار الندوة، و عرضوا فيها الأخطار الهائلة التي منوا بها من دعوة النبيّ صلّي اللّه عليه و آله التي صبا إليها شبابهم و نساؤهم و رقيقهم و المستضعفون في ديارهم، فصمّموا علي قتل النبيّ صلّي اللّه عليه و آله مهما كلّفهم الأمر، و كان فيما يروي بعض المؤرّخين قد حضر إبليس في ندوتهم فأشار عليهم بإسناد تنفيذ الجريمة إلي عدد يربو علي أربعين شخصا ينتمي كلّ واحد منهم إلي قبيلة معيّنة حتي من الاسرة الهاشمية، و بذلك يتّخذ قتله صفة عامّة لجميع القبائل فلا تكون قبيلة معيّنة مسئولة عن دمه حتي لا يستطيع أنصاره و المؤمنون به التأثر منهم جميعا، و قد عيّنوا يوما لذلك سمّوه يوم الزحمة، و أخبر اللّه تعالي نبيّه العظيم بما عزمت عليه قريش في قتله(1).

هجرة النبيّ إلي يثرب:

و لمّا حان اليوم الذي عيّنته قريش لقتل النبيّ صلّي اللّه عليه و آله أحاطوا ليلا بداره من جميع الجهات شاهرين سيوفهم يترقّبون بفارغ الصبر طلوع الفجر لتمزّق سيوفهم جسم

1- امتاع الأسماع _ المقريزي ١ : ٣٨.

النبيّ صلّي اللّه عليه و آله و يطفئوا ذلك النور الذي أراد أن يحرّرهم من ظلمات الجاهلية و مآثم الحياة. لقد أرادت قريش أن تنصر أصنامها و أوثانها و تعيد ما فقدته من الهيبة في أوساط العرب.

مبيت الإمام علي فراش النبيّ:

و أوعز النبيّ صلّي اللّه عليه و آله إلي أخيه و ابن عمّه الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام أن يبيت في فراشه، و يتّشح ببردته الخضراء(1)؛ ليوهم علي اولئك الأقزام أنّه النبيّ صلّي اللّه عليه و آله حتّي يسلم من شرّهم، و تلقّي الإمام عليه السّلام أمر النبيّ بمزيد من السرور و الابتهاج و شعر بالسعادة التي لم يحلم بها من قبل ليكون فداء لرسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله.

و خرج النبيّ من الدار، و رماهم بحفنة من التراب أتت علي وجوههم الكريهة قائلا:

«شاهت الوجوه ذلاّ».

و أخذ النبيّ صلّي اللّه عليه و آله يتلو قوله تعالي: وَ جَعَلْنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ (2).

إنّ مبيت الإمام عليه السّلام علي فراش النبيّ صلّي اللّه عليه و آله و وقايته له بنفسه صفحة مشرقة من جهاده، و منقبة لا تعدّ لها أيّة منقبة، و قد أنزل اللّه تعالي آية من كتابه، قال تعالي:

وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللّهِ(3)، و يقول الرواة: إنّ اللّه تعالي باهي ملائكته بالإمام، فقد أوحي إلي جبرئيل و ميكائيل أنّي آخيت بينكما، و جعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر، فأيّكما يؤثر صاحبه بالحياة،

1- امتاع الأسماع _ المقريزي ١ : ٣٩.

2- يس : ٩.

3- البقرة : ٢٠٧.

فاختـار كلاهمـا الحيـاة علي صـاحبه، فأوحي اللّه عزّ و جلّ إليهما: أ فلا كنتما مثل عليّ ابن أبي طالب آخيت بينه و بين محمّـد فبات علي فراشه يفـديه بنفسه و يؤثره بالحياة، اهبطا إلي الأرض فاحفظاه من عدوّه، فنزلا فكان جبرئيل عند رأس عليّ، و ميكائيل عند رجليه، و جبرئيل يقول للإمام:

«بخّ بخّ، من مثلك يا ابن أبي طالب، يباهي اللّه عزّ و جلّ به الملائكة»، فأنزل اللّه علي رسوله و هو متوجّه إلي المدينة في شأن علي:

وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللّهِ وَ اللّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ(1).

إنّ مبيت الإمام في فراش النبيّ صلّي اللّه عليه و آله يوحي أنّه الشخصية الثانية في رسالة الإسلام الذي يخلف النبيّ و يمثّل شخصيّته و يقوم مقامه، و لهذه الكرامة دور مهم في دعوة الإسلام لم ينلها أحد من اسرة النبيّ صلّي اللّه عليه و آله و أصحابه.

و يقول الشاعر الملهم الكبير الشيخ هاشم الكعبي في رائعته:

و مواقف لك دون أحمد جاوزت بمقامك التّعريف و التّحديدا

فعلي الفراش مبيت ليلك و العدي تهدي إليك بوارقا و رعودا

فرقدت مثلوج الفؤاد كأنّما يهدي القراع لسمعك التّغريدا

فكفيت ليلته و قمت معارضا بالنّفس لا فشلا و لا رعديدا

و استصبحوا فرأوا دوين مرادهم جبلا أشمّ و فارسا صنديدا

رصدوا الصّباح لينفقوا كنز الهدي أ و ما دروا كنز الهدي مرصودا

1- اسـد الغابة ٤ : ٢٥. نور الأبصـار : ٧٧. تفسير الرازي ٥ : ٢٢٣ في تفسـير هذه الآية. مسند أحمد ١ : ٣٤٨. تاريخ بغداد ١٣ : ١٩١. طبقات ابن سعد ٨ : ٣٥ ، وغيرها. ذكرت مبيت الإمام في فراش النبيّ ووقايته له بنفسه.

دعاء الإمام:

و أنفق الإمام عليه السّلام ليله ساهرا يدعو اللّه تعالي لينقذه و أخاه من هذه المحنة الحازبة، و هذا دعاؤه:

يا من ليس له ربّ يدعي، يا من ليس فوقه خالق يخشي، يا من ليس دونه إله يتّقي، يا من ليس له وزير يرشي، يا من ليس له نديم يغشي، يا من ليس له حاجب ينادي، يا من لا يزداد علي كثرة السّؤال إلاّ كرما وجودا، يا من لا يزداد علي عظيم ذنوب عباده إلاّ رحمة و عفوا(1).

و أثر عنه أنّه دعا في تلك الليلة الحازبة بهذا الدعاء أيضا و هو:

أمسيت اللّهمّ معتصما بذمامك المنيع الّذي لا يحاول و لا يطاول، من شرّ كلّ غاشم و طارق من سائر من خلقت، و ما خلقت من خلقك الصّامت و النّاطق، في جنّة من كلّ مخوف، بلباس سابغة بولاء أهل بيت نبيّك محمّد صلواتك عليه و عليهم، محتجبا من كلّ قاصد لي بأذيّة، بجدار حصين الإخلاص في الاعتراف بحقّهم، و التّمسّك بحبلهم، موقنا أنّ الحقّ لهم و معهم و فيهم، و بهم و منهم و إليهم، اوالي من والوا، و أعادي من عادوا، و اجانب من جانبوا.

فصلّ علي محمّد و آل محمّد و أعذني اللّهمّ بهم اتّقي من شرّ كلّ ما اتّقيه يا عظيم، حجزت عنّي الأعادي ببديع السّماوات و الأرض و جعلنا من بين ايديهم سدّا و من خلفهم سدّا فأغشيناهم فهم لا يبصرون يا أرحم الرّاحمين(2).

1- الصحيفة العلوية الثانية : ١١٧.

2- البلد الأمين : ٢٧ _ ٢٨.

و ظلّ الإمام راقدا في فراش النبيّ صلّي اللّه عليه و آله، و لمّا اندلع نور الصبح هجم الطغاة شاهرين سيوفهم علي سرير النبيّ صلّي اللّه عليه و آله، فطلع منه الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام كالأسد الضاري شاهرا سيفه، فلمّا رأوه ذهلوا و جبنوا، و صاحوا به:

أين محمّد؟ فقابلهم الإمام بعنف قائلا:

«جعلتموني حارسا عليه؟».

و نكصوا علي أعقابهم يجرّون رداء الخيبة و الخسران، فقد فلت من قبضتهم الرسول صلّي اللّه عليه و آله الذي جاء ليحرّرهم من ويلات الجاهلية و خرافاتها.

و حقدت قريش علي الإمام كأشدّ ما يكون الحقد، و رمته بنظرات حادّة، فقد أفلت منها بسببه محمّد، و صفعها الإمام بتلك الصفعة المذلّة، و تحدّاها و استخفّ بها، و جعل يغدو و يروح أمامها ساخرا و مستهزئا بها.

مرافقة أبي بكر للرسول:

و غادر النبيّ صلّي اللّه عليه و آله مكّة ميمّما وجهه صوب يثرب، و قد أنجاه اللّه من شرّ اولئك الوحوش الكاسرة الذين اترعت نفوسهم بالآثام و الرذائل، و صادفه في الطريق أبو بكر فصحبه، و سار معه حتي انتهيا إلي جبل ثور(1)، و في أعلاه غار فدخلا فيه، و أقاما فيه ثلاثة أيام، و أرسل اللّه تعالي زوجا من الحمام فباضا في مدخله، و أوحي اللّه تعالي إلي العنكبوت فنسجت بيتا لها فيه، و خفّت قريش مسرعة في طلب النبيّ صلّي اللّه عليه و آله، يتقدّمهم سراقة بن مالك، و كان عالما بصيرا بمعرفة الأثر، فانتهي إلي باب الغار فرأي البيض و بيت العنكبوت، فقال: لو دخله أحد

1- جبل ثور : يقع في يمين مكّة علي مسيرة ساعة _ الكشّاف ٢ : ٢١٣.

لانكسر البيض،

و النبيّ صلّي اللّه عليه و آله يراهم و هو يدعو:

«اللّهمّ أعم أبصارهم».

و أعمي اللّه أبصارهم، و سلب لبّهم، و قال أبو بكر للنبيّ صلّي اللّه عليه و آله: لو نظروا إلي أقدامهم لرأونا.. و بلغ به الخوف أقصاه،

فقال له النبيّ:

«لا تخف إنّ اللّه معنا».

و نزلت الآيـة الكريمـة علي النبيّ العظيم: إِلاّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُما فِي الْغارِ إِذْ يَقُولُ لِصاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنا فَأَنْزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَ أَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْها وَ جَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلي وَ كَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيا وَ اللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (1)، و نزل رجل من قريش فبال علي باب الغار ففزع أبو بكر، و قال: يا رسول اللّه، قد أبصرونا، فنهره النبيّ و قال له: «لو أبصرونا ما استقبلونا بعوراتهم»(2).

و لمّا أمن النبيّ و أبو بكر من الطلب خرجا من الغار متّجهين نحو المدينة المنوّرة.

استقبال المدينة للرسول:

و لمّا علم أهالي يثرب بتشريف النبيّ صلّي اللّه عليه و آله هرعوا جميعا لاستقباله، و قد علت زغاريد النساء و هن ينشدن:

طلع الفجر علينا من ثنيّات الوداع

وجب الشّكر علينا ما دعا للّه داع(3)

1- التوبة : ٤٠.

2- مجمع البيان ٥ : ٣٠.

3- البداية والنهاية ٣ : ٢٤١.

و كـان ذلـك اليوم مشـهودا لم يمرّ علي يثرب مثله، و حينما اسـتقرّ النبيّ صـلّي اللّه عليه و آله فيها أخـذ يؤسّـس معالم دولته الكبري دولة التوحيد التي تبنّت القضايا المصيرية لجميع شعوب العالم و امم الأرض، و أعلنت حقوق الإنسان، و ما يسمو به من الآداب و الفضائل.

و قد وجد النبيّ صـلّي اللّه عليه و آله من ولاء أهل المدينة له و تباشـيرهم بقدومه ما ملأ قلبه فرحا و سـرورا، و أيقن أنه سـيجد منهم أنصارا لدعوته و بناة لدولته.

هجرة الإمام إلي يثرب:

و لمّا نزح الرسول صلّي اللّه عليه و آله من مكّة إلي يثرب قام الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام بأداء الأمانات التي عند النبيّ، و ردّ الودائع، و قضاء ديونه صـلّي اللّه عليه و آله، و أمر مناديا ينادي بالأبطح من كانت له عند رسول اللّه صـلّي اللّه عليه و آله أمانة فليأت و يسـتلم أمانته، و بعد ما أدّي ذلك حمل السـيّدات الزاكيات من الفواطم و هاجر بهنّ إلي يثرب، فلحقه سـبعة من عتاة قريش لصدّه عن السـفر، فانبري إليهم الإمام ببسالة و عزم، فقتل واحدا منهم، و هرب الباقون(1).

و سار الإمام يطوي البيداء لا يلوي علي شيء حتّي انتهي إلي يثرب، و قيل إلي قبا قبل أن يدخل النبيّ إلي المدينة(2).

و لمّا بلغ النبيّ قدوم عليّ أمر بإحضاره فقيل له إنّه لا يقدر علي المشي، فأتاه النبيّ فلمّا رآه اعتنقه و بكي رحمة لما بقدميه من الورم من كثرة المشي فأخذ النبيّ من ريقه و مسح به رجليه فبرئتا، و لم يشك بعد ذلك منهما شيئا(3).

1- أعيان الشيعة ٣ : ٩٢.

2- طبقات ابن سعد ٣ : ٢٢.

3- اسد الغابة ٤ : ٩٢.

الاخوّة بين المسلمين:

و أوّل عمل قام به الرسول صلّي اللّه عليه و آله أنّه آخي بين المهاجرين و الأنصار، و ربط بينهم برباط الاخوة الصادقة فشارك كلّ واحد منهم أخاه في مكاره الدهر و لينه، و آخي بينه و بين الإمام عليه السّلام(1)، كما قام صلّي اللّه عليه و آله بالإصلاح و إشاعة المودّة بين الأوس و الخزرج اللذين كانا يشكّلان الأكثرية الساحقة من سكّان المدينة المنوّرة، و كانت البغضاء سائدة بينهما فأطفأها النبيّ.

تأسيس الجامع النبوي:

و حينما استقرّ النبيّ صلّي اللّه عليه و آله في يثرب قام بتأسيس مسجده المعظّم ليكون مقرّا لحكومته، و مركزا لعبادته، و معهدا لتعاليمه، و كان عرضه (60) ذراعا، و طوله كذلك، و قد انبري المسلمون من المهاجرين و الأنصار إلي العمل فيه، و كان النبيّ صلّي اللّه عليه و آله من جملة العمّال، و قد انبري أحد المسلمين محرّضا لهم علي العمل قائلا:

لئن قعدنا و النّبيّ يعمل لذاك منّا العمل المضلّل

و ردّد المسلمون في أثناء عملهم قائلين:

لا عيش إلاّ عيش الآخرة... اللّهمّ ارحم الأنصار و المهاجرة

و كان النبيّ صلّي اللّه عليه و آله يردّد:

«لا عيش إلاّ عيش الآخرة... اللّهمّ ارحم المهاجرين و الأنصار» و كان من جملة العاملين الصحابي العظيم الطيّب ابن الطيّب عمّار بن ياسر،

1- الطبقات ٣ : ٢٢ ، وجاء فيه : أنّ النبيّ 9 قال للإمام : « أنت أخي ترثني وأرثك ».

و قد أثقله بعض الحاقدين عليه بحمل الكثير من اللبن، فجاء إلي النبيّ صلّي اللّه عليه و آله و قد أعياه التعب قائلا:

يا رسول اللّه، قتلوني، يحمّلون عليّ ما لا يحملون.

قالت أمّ سلمة: رأيت رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله ينفض وفرة عمّار بيده و يقول له:

«ويح ابن سميّة، ليسوا بالّذين يقتلونك، إنّما تقتلك الفئة الباغية».

و كان الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام من جملة العاملين في تأسيس الجامع النبوي و هو يرتجز:

لا يستوي من يعمر المساجدا يدأب فيه قائما و قاعدا

و من يري عن الغبار حائدا(1) و تمّ بناء الجامع النبوي و مساكن النبيّ صلّي اللّه عليه و آله و أهله، و سرعان ما انتشر الإسلام في يثرب و نواحيها، و بذلك تشكّلت الدولة الإسلامية العظمي، و بهذا ينتهي بنا الحديث عن الحلقة الاولي من هذه الموسوعة.

1- السيرة النبوية ١ : ٤٩٦ _ ٤٩٧.

المحتويات

الإهداء... 4

كلمة النّاشر... 5

كلمة شكر... 7

تقديم... 9

النّسب الوضّاح 17-38

المآثر الكريمة... 19

1 - عبادة اللّه... 19

2 - حلف الفضول... 20

3 - إخراج ماء زمزم... 21

4 - سقاية الحاج... 22

5 - إطعام الطعام... 22

أعمدة الشرف من الهاشميّين... 23

1 - هاشم... 23

2 - عبد المطّلب... 24

3 - أبو طالب... 25

رعايته للنبيّ صلّي اللّه عليه و آله... 25

ص:223

حمايته للإسلام... 26

مع النبيّ صلّي اللّه عليه و آله في الشعب... 29

تبنّي أبي طالب الدعوة الإسلامية... 31

وصيّته الخالدة... 32

في ذمّة الخلود... 33

تأبين النبي له... 34

4 – فاطمة بنت أسد أمّ الإمام... 36

سبقها إلي الإسلام... 36

مبايعتها للنبيّ صلّي اللّه عليه و آله... 36

رعايتها للنبيّ صلّي اللّه عليه و آله... 36

روايتها للحديث... 36

إقامتها في بيت الإمام... 37

وفاتها... 37

وليد الكعبة 39–68

كيفيّة ولادته... 42

مشرق النور... 42

مع الشعراء... 43

1 – السيّد الحميري... 43

2 – بولس سلامة... 44

3 – منعم الفرطوسي... 44

تسمية امّه له... 45

تسمية أبي طالب له... 46

سنة ولادته... 47

ص:224

ألقابه... 47

1 – الصدّيق... 47

2 – الوصي... 47

مع الشعراء... 48

1 – خزيمة بن ثابت... 48

2 – عبد الرحمن الجمحي... 49

3 – جرير بن عبد اللّه البجلي... 49

4 – سعيد بن قيس... 49

5 – حجر بن عدي... 50

6 – النعمان بن عجلان... 50

7 – أبو الأسود الدؤلي... 50

8 – الفضل بن العباس... 51

9 – حسّان بن ثابت... 51

10 – الكميت... 51

11 – المتنبّي... 51

12 – أبو تمام الطائي... 51

13 – دعبل الخزاعي... 52

3 – الفاروق... 52

4 – يعسوب الدين... 53

5 – الوليّ... 54

6 – أمير المؤمنين... 55

7 – الأمين... 56

8 – الهادي... 56

9 – الأذن الواعية... 56

10 – المرتضي... 57

ص:225

11 – الأنزع البطين... 57

12 – الشريف... 57

13 – بيضة البلد... 58

14 – خير البشر... 58

15 – سيّد العرب... 59

16 – حجّة اللّه... 59

كناه... 60 1 – أبو الريحانتين... 60

2 – أبو السبطين... 60

3 – أبو الحسن... 60

4 – أبو الحسين... 61

5 – أبو تراب... 61

مع الأمويّين... 64

ملامحه و صفاته... 65

1 – وصف النبيّ له... 65

2 – وصف ضرار للإمام... 66

3 – وصف ابنه محمّد له... 67

4 – وصف المغيرة له... 67

5 – وصف بعض المعاصرين له... 68

نشأته 69–91

احتضان النبيّ للإمام... 71

التربية النبوية للإمام... 72

1 – نكران الذات... 73

ص:226

2 – التحلّي بالصفات الكريمة... 74

3 – الاجتناب عن الصفات المذمومة... 76

سبقه للإسلام... 80

حبّه للنبيّ صلّي اللّه عليه و آله... 82

قيامه بخدمة النبيّ صلّي اللّه عليه و آله... 82

نماذج من أدعيته للنبيّ صلّي اللّه عليه و آله... 83

تمجيده للنبيّ صلّي اللّه عليه و آله... 86

كتابته للوحي... 87

كتابته لعهود الرسول صلّي اللّه عليه و آله... 88

تحطيمه للأصنام... 88

1 – مناة... 89

2 – صنم طيّ... 89

3 – أصنام مكّة... 89

نقش خاتم الإمام... 90

اجتنابه للخضاب... 90

دار سكناه... 91

عناصره النّفسيّة 93–132

إيمانه الوثيق باللّه... 95

إنابته للّه تعالي... 96

العصمة من الذنوب... 100

زهده... 103

صور مذهلة من زهده... 103

1 - لباسه... 104

ص:227

2 – طعامه... 106

بطولته النادرة... 109

قوّته الهائلة... 111

حلمه... 112

بوادر من حلمه... 112

صبره... 115

تواضعه... 116

شذرات من تواضعه... 117

عيادته المرضي... 118

كراهته للمدح... 119

إجابته لدعوة من دعاه لتناول الطعام... 120

سخاؤه... 120

شذرات من جوده... 121

الرأفة بالفقراء... 123

عدله... 126

بوادر من عدله... 126

سعة علومه... 130

سرعة الجواب... 131

الإمام في رحاب القرآن الكريم 133–157

الآيات النازلة في حقّه... 135

الآيات النازلة في أهل البيت عليهم السّلام... 142

احتجاج العترة بالآية... 144

1 - الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام... 144

ص:228

2 – الإمام الحسين عليه السّلام... 144

3 – الإمام زين العابدين عليه السّلام... 145

الآيات النازلة في الإمام و خيار الصحابة... 154

الآيات النازلة في حقّه و ذمّ مخالفيه... 155

الإمام في ظلال السّنّة 159–192

الكوكبة الاولي... 161

مكانته عند النبيّ صلّي اللّه عليه و آله... 161

1 – الإمام نفس النبيّ صلّي اللّه عليه و آله... 162

2 – الإمام أخو النبيّ صلّي اللّه عليه و آله... 162

3 – النبيّ صلّي اللّه عليه و آله و الإمام عليه السّلام من شجرة واحدة... 165

4 – الإمام عليه السّلام وزير النبيّ صلّي اللّه عليه و آله... 166

5 – الإمام عليه السّلام خليفة النبيّ صلّي اللّه عليه و آله... 167

6 – الإمام عليه السّلام من النبيّ صلّي اللّه عليه و آله كهارون من موسي... 168

احتجاج الإمام عليه السّلام بالحديث... 171

7 – الإمام عليه السّلام باب مدينة علم النبيّ صلّي اللّه عليه و آله... 171

8 – الإمام عليه السّلام باب حكمة النبيّ صلّي اللّه عليه و آله... 172

9 – الإمام عليه السّلام أحبّ الناس إلي النبيّ صلّي اللّه عليه و آله... 173

10 – الإمام عليه السّلام شبيه الأنبياء... 173

11 – الإمام عليه السّلام سيّد العرب... 174

12 – الإمام عليه السّلام أحبّ الخلق إلي اللّه... 174

13 – إطاعة الإمام عليه السّلام إطاعة للرسول صلّي اللّه عليه و آله... 175

14 - من أحبّ عليّا عليه السّلام فقد أحبّ اللّه... 175

15 - حبّ عليّ عليه السّلام إيمان، و بغضه نفاق... 177

ص:229

16 – عنوان صحيفة المؤمن حبّ عليّ عليه السّلام... 178

17 – إخبار النبيّ صلّي اللّه عليه و آله بما يجري علي الإمام عليه السّلام من بعده 178

18 – النبيّ صلّي اللّه عليه و آله يخبر الإمام عليه السّلام بغدر الامّة به... 179

الكوكبة الثانية... 180

منزلة الإمام عليه السّلام في الدار الآخرة... 180

1 – الإمام عليه السّلام حامل لواء الحمد... 180

2 – الإمام عليه السّلام صاحب حوض النبيّ صلّي اللّه عليه و آله... 181

3 – الإمام عليه السّلام قسيم الجنّة و النار... 183

4 – الاجتياز علي الصراط بإجازة من الإمام عليه السّلام... 183

5 – الإمام عليه السّلام مع النبيّ صلّي اللّه عليه و آله في الجنّة... 184

الأخبار النبوية في فضل العترة... 185

حديث الثقلين... 185

سند الحديث... 188

دلالة الحديث... 188

حديث السفينة... 188

أهل البيت عليهم السّلام أمان للامّة... 190

النبيّ صلّي اللّه عليه و آله سلم لمن سالم أهل بيته... 190

من أحبّ أهل البيت عليهم السّلام كان مع النبيّ صلّي اللّه عليه و آله... 191

معرفة أهل البيت عليهم السّلام أمان من العذاب... 191

السؤال عن محبّة أهل البيت عليهم السّلام... 191

الاقتداء بأهل البيت عليهم السّلام... 191

الممات علي حبّ أهل البيت عليهم السّلام... 192

ص:230

مع الثّورة الإسلاميّة 193-221

1 - تحطيم الأصنام... 195

2 - تحرير العبيد و المستضعفين... 197

3 - تحرير المرأة... 198

أ - وأد البنات... 198

ب - حرمانها من الميراث... 198

ج - الزواج بأرملة الأب... 199

4 - المساواة بين الناس... 199

5 - حماية الحقوق... 200

6 - تحريم الربا... 200

7 - تحريم الخمر... 200

8 - تحريم الاستغلال... 201

9 - إقصاء الفقر... 201

10 - إشاعة العلم... 201

الإمام يصف الإسلام... 201

الإمام أوّل من صلّي مع النبيّ... 203

1 - عفيف الكندي... 203

2 - عبد اللّه بن مسعود... 204

الإمام مع النبيّ في بداية دعوته... 205

فزع القرشيّين... 208

إجراءات قاسية... 208

1 - إغراء صبيانهم بمحاربة النبيّ صلّي اللّه عليه و آله... 209

ص:231

2 – اتّهام النبيّ صلّي اللّه عليه و آله بالجنون... 209

3 – اتّهامه بالسحر... 209

4 – تعذيب المؤمنين... 210

5 – في شعب أبي طالب... 210

الافراج عن النبيّ صلّي اللّه عليه و آله و آله... 211

وفاة أبي طالب و خديجة... 212

إجماع القرشيّين علي قتل النبيّ صلّي اللّه عليه و آله... 213

هجرة النبيّ صلّي اللّه عليه و آله إلي يثرب... 213

مبيت الإمام عليه السّلام علي فراش النبيّ صلّي اللّه عليه و آله... 214

دعاء الإمام عليه السّلام... 216

مرافقة أبي بكر للرسول صلّي اللّه عليه و آله... 217

استقبال المدينة للرسول صلّي اللّه عليه و آله... 218

هجرة الإمام عليه السّلام إلي يثرب... 219

الأخوّة بين المسلمين... 220

تأسيس الجامع النبوي... 220

المحتويات 223-232

ص:232

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِی الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: 9

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم 129، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹